

Obelikan.com

الجنة الخامسة

الكتاب: الجثة الخامسة

المؤلف: حسين السيد

تصميم الغلاف: أسامه علام

تدقيق لغوي: مريهام الغنم

مرفق الإيداع: 2014/9505

الترقيم الدولي: 1-67-6436-977-978

الطبعة الأولى: 2014

20 عمارات منتصر - الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

[Noon\\_publishing@yahoo.com](mailto:Noon_publishing@yahoo.com)

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

للنشر  
والتوزيع

# الجنة الخامسة

رواية

د. حسين السيد

للنشر  
والتوزيع

obeikan.com

إليه وَحْدَهُ !

إلى من أتى بي للحياة ، فكان همّه الأول أن يعلمنى معناها ..

إلى من علمنى أن الحياة قلمٌ يكتب وكتابٌ يُقرأ ..

إلى من علمنى أن الحلم حلٌّ وأن النجاح ممكنٌ ..

إلى من علمنى كيف أكون إنساناً ، قبل أن أكون فرداً ذكراً ..

إلى من أفتقده فى كل حينٍ ، وأتظن كثيراً اليوم الذى يجتمعنا فيه الله

به ثانيةً ..

إلى أبى ..

ذلك الرجل الطيب ..

أعوام عشر قد مضت منذ رحيلك ..

وها هو كتابى الأول الذى آمنت أنه آت لارىب ..

إليك وحدك يا أبى كتابى هذا ..

أحبك

obeikan.com

عم منصور!

obeikan.com

امتناز عم منصور بصفتين رئيسيتين .. الأولى أن الرجل هو أهم شخص طوال  
العامين الأولين في كلية الطب لغالبية الطلاب، إن لم يكن جميعهم.. ولما لا، وهو  
خازن قلعة الأسرار ..

المشرحة !!

الربع والصدمة الأولى التي تنتظرها، وتلقاها في أول عهدك بدراسة  
الطب .. اللحظة التي تتخيلها كثيراً قبل أن تلتحق بالكلية .. ربما لأن دراسة  
الطب تعنى للكثيرين عالم من الجثث الممزقة والأشلاء الدامية!  
يحدثك صديقك حين تعود من الكلية، بعد يوم واحد من التحاقك بما  
بانهار عن عدد الجثث التي قمت بتسريحها .. وتنظر إليك أمك بتوحس فور أن  
تعود من الكلية، وعيناها لاتفارقان يديك بتأفف متسائلةً:

- ألن تستحم أو تغتسل !؟

ظناً منها أنك ربما تسبح في الكلية في بحر من الجثث والدماء والأشلاء، بينما  
تتأفف أختك التي تجلس بجوارها الى المائدة، متسائلةً باستنكار:

-هل تظن أنك ستأكل معنا!؟

طبعاً ستجيب من بين أسنانك، وأنت تجاهد نفسك كي لا تقضم رقبتهما:

- بالطبع لا .. من قال هذا؟ أنا فقط أجلس بجواركم كي أستمتع برؤيتكم،

وانتم تتناولون الطعام .. إن هذا هو ما يشبني.

لاتغضب يا صديقي لو حدث هذا لك، وغالباً سوف يحدث .. ستتحول في  
أعينهم الى كائن موبوء مصاب بالجرب، وسيستمر هذا بعض الوقت الى أن  
يعتادوا عليك مرة أخرى، أو تعتاد أنت على اشمئزازهم منك، فلا تبالى بعد ذلك

..

لذا من الصعب أن تتخيل أن هناك أشياء كثيرة مهمة في دراسة الطب، بل وربما تستحق ذعراً أكبر بكثير مما تنتظرة من المشرحه والجلث ..  
كلمنى عن عوالم علم دراسة الأنسجه (المستولوجى) وشرائحها المتشابهة،  
وصبغياتها القاتمة اللعينه .. حدثنى عن الكيمياء الحيويه بمعادلاتها الشيطانية التى  
لا تنتهى ..

حدثنى عن الامتحانات الشفهية .. رعب قوطى يستحق الاهتمام والدراسة،  
ولا يعلمه إلا من عايشه .. صدقتى لو أدركت عوالم هذه الاشياء المخيفة، لما  
سببت لك المشرحة بجلثها كل هذا الرعب.

الشيء الآخر المميز فى عم منصور، هو شراسته المتناهية فى التدخين ..  
فلم أره أبداً إلا وكان يدخن .. سجائر .. شيشة .. وبالتأكيد ذلك الملك  
المتوج لأصحاب المزاج العالى، المدعو الحشيش .. كان الرجل يدخن كمرجل  
بخارى نهم لا يرتوي ..

كان (ابن مزاج) حقيقى !

اعتدنا حين كنا طلاباً فى المرحلة الأولى من كلية الطب على هيئته التى لم تتغير  
أبداً، دوماً كنا نراه أمام باب المشرحة الخشبية ذو الزجاج المدهون بطلاء أبيض  
باهت سقيم .. يجلس على كرسى خشبى عتيق متهالك، ويضع على مسنده  
الخلفى وسادة قطنية؛ لتريح ظهره من قسوة الخشب.

يثير فى نفسك الكثير من التوتر بهيئته الضخمة وملاحمه الغليظة، وجبهته  
العريضة الناتئة .. كان دوماً يذكرنى بمسخ فرانكشتين، لو كنت قد شاهدت  
الفيلم يوماً ما، وتذكر كيف كان المسخ.

كان عليك أن تحرص على أن تعلن له احترامك .. إياك أن تعامله على أنه  
مجرد عامل فى المشرحة .. لن ينسى لك هذا أبداً لو فعلت .. بالتأكيد لن

يتناول عليك أبدأ .. لكن حين يقترب ميعاد امتحان منتصف العام أو آخره، وتتداخل في ذهنك عشرات الأعصاب ومئات العضلات، والأوردة، والأوتار، ولا تدري من أين يبدأ هذا، وكيف ينتهي ذاك، وتحتاج لمن يعيد ترتيب هذه الأشياء في ذهنك مرة أخرى، ستتذكر المشرحة وتذكره .. حينها لا تلومن إلا نفسك حين يرفض أن تدخل المشرحة في غير أوقاتها المحددة لك، ولا تتذمر حين تعلم من أحد أصدقائك أن عم منصور ساعده بالأمس، وأخرج من أجله بعض أشلاء الجثث الطازجة التي لم تتدهور بعد من مباحث التشريح الكثيرة التي جرت عليها، أو تناقلها بين أيدي الطلاب مئات المرات.

طبعاً لا يقدم عم منصور هذه الخدمات مجاناً .. فهناك دوماً الدخان، والشاي الذي لا يمل منه .. لكن أى قيمة لمثل تلك الأشياء الصغيرة أمام مغارة على بابا التي باستطاعته أن يفتحها لك ..؟

\*\*\*\*\*

عرفته في أوائل الثمانينات من القرن الماضي، حين التحقت بكلية الطب .. كنت غارقاً حينها في أنشودة البدايات السوداء، التي يعرفها كل طالب التحق بكلية الطب يوماً ما .. من الصعب أن تنسى المصطلحات الكثيرة التي كنت تسمع عنها لأول مرة، ولا تدري كيف تنطقها أو تكتبها .. وهناك المذاكرة التي تشعرك في البداية أنك جاهل أحمق، ولم تكن لتصلح لأن تكون أكثر من صبي كواء .  
هذه ذكريات تنسيك بمحنة الحياة نفسها، في وقت كان عليك أن تعيش فيه هذه المباحج !

عرفت عم منصور بقامته الضخمة للغاية، ووجهه ذو الفك البارز والعينين الجاحظتين دائماً، كأنما ترمعان مغادرة رأسه يوماً ما، وأطرافه الطويلة العريضة

المائلة الحجم .. فيما بعد علمت أنها حالة متقدمة لفرط إفراز هرمون النمو أثناء الطفولة .. لكن في ذلك الوقت كان من المستحيل اصلاح مثل هذا الخلل فعاش به.

وحين عرفته، وتنفيذاً لنصائح أحد زملائي من الطلاب الأقدم سنأحرصت على أن تكون علاقتي به طيبة .. توددت إليه، فساعدني الرجل كثيراً. فحين تقترب الامتحانات، كان يكفي أن أذهب الى المشرحة ليخرج لي حينها أجزاء طازجة من جثث جديدة لم تُس بعد، يحتفظ بها للامتحانات. كنت دوماً كريماً معه، لم أنس سجائره أو معاملته بصورة لائقة .. وكان خدوماً لي بالرغم من الفظاظة التي كثيراً ما يظهرها للطلاب..

كان الرجل صورة حية للمقولة التي تدعوك لئلا تربط بين تكوين الرجل الخارجي وقلبه .. فبالرغم من ملامحه الغليظة، وفظافته التي كثيراً ما كان يبديها للطلاب، إلا أنه كان يمتلك طيبةً شديدةً .. طيبة تذكرك بحنو جدك الراحل والتي تتذكرها بين طبقات ذكرياتك المهمة عنه..

مرت أعوام الدراسة سريعاً، كما ينتظر منها أن تمر، وبالرغم من انتهاء حاجتي للمشرحة بعد عامين فقط من التحاقى بكلية الطب؛ لإنهاء دراستي حينها لمادة التشريح، إلا أنني حرصت على استمرار زيارته بحجرتي بالمشرحة من حين لآخر، حيث لاحظت سعادته بمثل هذه الزيارات ..

كان دوماً يرى أن الطلاب يعاملونه بصورة جيدة، ويتوددون إليه طالما هم في حاجة إليه .. أما بعد ذلك، فكثير منهم يتجاهلونه، وإن قابلهم مصادفةً، فالكثير منهم قد يشيحون بوجوههم بعيداً عنه بشيء من التعالي، أو يجيونه بصورة باردة بلا ود حقيقي في الغالب، كأنما يتذكرون فجأة أنهم سيصيرون أطباءً بعد أعوام قليلة، أما هو فسيظل دوماً عامل المشرحة البسيط وليس أكثر..

كنت أطيب خاطره حينها بكلمات طيبة، فيهز رأسه بغير اقتناع، وهو يسحب دفقةً كبيرةً من دخان سيجارته التي لاتفارق يده، ليقول بعد أن يزفرفها، وهو يرنو للسقف بعينين تسعان الفراغ كله:

-لا تؤاخذني يادكتور ولا تغضب مما سأقوله الآن، إن مايقوم به زملائك ندعوه في عرفنا (قلة أصل).

بالطبع لم أكن أدري بما أجيبه، لذا كنت أكتفى بجز رأسي بحركات مبهمة لا توحى بشئ، وإن وافقته بداخلي على مايدعيه .. إن ما يقومون به هو نوع من نكران الجميل والتعالى لا مبرر له، فليس ذنب الرجل أن مهنته بسيطة، ولا يجب أن نشعر الرجل بأنه لاقيمة له إلا باحتياجنا له.

وتخرجت بعد حين من الكلية .. وتباعدت زياراتي لها، إلا أننى حرصت على زيارته بالمشرفة حين كنت أزورها..

كنت ألاحظ أن الرجل - عاماً بعد عام - يزداد هرمًا، وتتكاثر بصورة مخيفة التجاعيد فى وجهه، وحول فمه و عينيه .. كما لاحظت فى الأعوام الأخيرة أن صدره لم يعد على مايرام .. صار يعانى من نوبات ربو حادة تستدعى أحياناً أن يتم تنويمه بعناية الصدر بالمستشفى بضعة أيام ..

صار صدره يعمل كصافرة لاتكف أبدأعن الصراخ والشكوى !

المشكلة هاهنا أن الرجل كان أسوأ مريض من الممكن أن يقابله طبيب يوماً ما.. فبالرغم من خطورة حالته، وسوء حالة رئتيه، فإنه ظل يدخن كقطار بخارى .. حاولت مراراً أن أثنيه وأقنعه بتقليل مرات التدخين بلا أمل فى استجابة منه .. كان دوماً يضحك ضحكته المشروخة المصحوبة بسعال عنيف، ثم يقول، وهو يمسح بيده الغليظة قطرتين من الدموع أفرزتهم عيناه بعد نوبة السعال العنيفة التي تتنابه:

-يا دكتور دعك مما تقوله .. الدخان هو الشيء الوحيد الذى لن يضر الصدر أبداً .. إياك وتصديق كلام الكتب التى درستها هنا ..كلنا يعلم أن الصدر فى حاجة للتدفئة، والدخان هو أفضل من يقوم بهذا الأمر..

ثم يقطع حكمته تلك، ليدخل بعدها فى نوبة سعالٍ عنيفٍ مرةً أخرى، حتى أظن أنه سيصق روحه نفسها بعد قليل .. فأرقمه مشفقاً صامتاً، لكنى أفاجأ به يقول بعد أن يهدم سعاله ويسكن :

-هل تعلم يا دكتور أن الدخان الذى نشربه مفيد للصحة جداً؟ .. نعم إنه مفيد للغاية، أنت لا تصدقنى فيما أقوله لكننى لا أمرح وأقول الحق .

وابتسمت رغما عنى لطرافة كلماته، وسألته متصنعا الجذ :

-وكيف هذا برأيك أيها الحكيم ..؟

إنبعث حينها بعض البريق من عينيه، قبل أن يجيب بصوته الخشن بجديّة حقيقية:

-نعم يا دكتور .. الدخان شيء صحى جداً أكثر من الهواء نفسه .. هل تعتقد يا دكتور أن هناك ميكروباً ما يستطيع العيش وسط سحب الدخان التى نستنشقها حين ندخن .. بالطبع هذا مستحيل .. الدخان يا صديقي قادر على قتل أى ميكروب مهما كان، ولا بد أنه يقوم بفعل هذا الشيء حين نشربه .. إنه بلاشك يطهرهما من الميكروبات التى قد تعلق بهما.. ألا يُعد هذا أمراً صحياً يادكتور؟.

أطلقت حينها ضحكةً عاليةً، مدركاً أنه من العبث أن أجادله .. الرجل له قناعاته التى عاش عليها، ولن يتركها بعد كل هذا العمر، كى يصدق هذا الهراء الذى يطلقه أمثالنا من الأطباء على آذانه..

كان الأمر عجبياً عجبياً .. رجل يعمل في كلية الطب لأعوام طوال .. فيرى أن مايلقونونه من علوم لأطباء المستقبل هو الهراء، ولا يؤمن إلا بآرائه .. كان من المستحيل إقناعه بخطأ ما يعتقد، لذا قلت له باستسلام متنهداً:

—ربما كان الدخان مفيداً كما تقول، فمن يدري ياعم منصور؟!

\*\*\*\*

مضت أعوام كثيرة بعدها، سافرت خلالها إلى إحدى بلدات الخليج طلباً للنعوذ، كما يفعل أغلب الأطباء، ولم أعد أتردد مرة أخرى إلى الكلية .. وتواري حينها عم منصور في ثايَا ذكرياتي المتناثرة، كالكتير من الذكريات الأخرى التي عشتها من قبل يوماً ما ونسيتها.

لم أتذكره إلا حين أردت الحصول على بعض الكتب الطبية الحديثة، وذهبت إلى الكلية لأبتاعهم من إحدى مكباتها، قررت حينها زيارته متوقفاً أن أجده بعد كل هذه الأعوام الكثيرة، قابلاً في مكانه الأزلي، على كرسية الخشب العتيق أمام المشرحة !

كنت واهماً .. عرفت هذا حين وجدت شاباً آخر يجلس على كرسي خشبي مختلف أمام المشرحة .. سألته عن عم منصور فأجابني بتعجب، وهو يتفحصني بشيء من اللزوجة في نظراته:

— وهل كنت تعرفه؟

أجبتُه بتحفظ اعتراضاً مني على تطفله:

— نعم أعرفه .. لكن أين يمكنني أن أجده الآن؟.

— عم منصور (تعيش أنت) يا أستاذ .. مات بالمستشفى في حادث منذ خمسة أعوام .. إنني أتعجب أنك لا تعلم هذا، وأنت تزعم أنك تعرفه.

غادرت المكان شاعراً بالصدمة والضيق دون أن أجيبه، فهاهو جزء آخر من ذكرياتي قد انتهى للأبد .. لا أدري لماذا سطعت في رأسي الكثير من الذكريات مع الرجل ..؟ بعض دعاباته ذات الإيحاءات الجنسية غالباً، والتي كان يستمتع بروايتها، والضحك عليها دون ان ينتظر ليرى هل أعجبت مثل هذه النكات من يلقيها عليه أم لا ..؟ كان يضحك عندئذ كأنما كان يلقيها لنفسه ليضحك هو عليها.

وهنا طفت على سطح ذاكرتي، ذكرى أخرى حكاها لي الرجل في واحدة من المرات التي جمعتنا سوياً بمفردنا .. كنت قد سألته يوماً عن عالم الجثث الذي يعيش فيه .. فالرجل منذ عرفته لا يغادر المشرحة تقريباً، كما أنه لم يتزوج؛ ولهذا فإنه قد اتخذ المشرحة بيتاً له .. ولأنه أقدم العمال فقد سمحت له إدارة الكلية أن يعيش في حجرة بداخل المشرحة في شيء استثنائي .. وسألته يوماً بشيء من الجدل، والكثير من المداعبة :

-ألا تخشى الجثث يا عم منصور ..؟ الألتخاف أن يظهر لك عفريت جثة ما في أى لحظة، وأنت تنام على بعد خطوات منها ..؟ الألتخشى أن تنتقم أشباحها منك لما تفعله بها ..؟ لو كنت مكانك لاهتممت بهذا الأمر، وخشيت على نفسي .. إن أرواح الموتى كما أعلم لا تعرف المزاح.

هذه المرة رأيت عيني الرجل ولأول مرة، زانغتين مرتعشتين .. شحب وجهه كثيراً، قبل أن يجيب بصوت مضطرب معاتباً:

-هذه أشياء لا يصح السخرية منها أو الضحك فيها يا دكتور .

شعرت بالدهشة من رد فعله البادى على وجهه .. بدا واضحاً أن الرجل يهاب شيئاً ما .. كانت هذه أول مرة أرى تعبيراً كهذا في صفحة وجهه، ولم أكن لأتركه حينها حتى يفصح عما يخفيه، فقلت ملحاً:

- هل تعنى كلماتك هذه أنك قد صادفت شيئاً من هذه الأشياء من قبل؟ ..  
أشعر أن هذا قد حدث بالفعل، وأرى الإجابات في عينيك تقفز مؤكدة ما  
أعتقد .

أخذ حينها نفساً عميقاً من سيجارته التي بيده، وكنمه للحظات داخل صدره  
كأنما يلتمس به بث الطمأنينة في صدره، ثم أطلقه ببطء نائراً سحباً من الدخان  
الكثيفة حولنا، وأجاب ببطء، وبصوت هامس:

- هل تصدقني يا دكتور لو أخبرتك أنهم حولنا طوال الوقت، بل وإنني كثيراً  
ما أراهم، وأسمع أصواتهم، وصرخاتهم وبكائهم .. نعم أسمع بكائهم، ونحيبهم كأنما  
هناك ما يحزنهم ويسوءهم .. إنني لست واهما فيما أذعيه، ولن أكذبك الحديث  
أبداً بعد هذا العمر ..

نعم، في البداية كنت أخشاهم، وأشعر بالرعب والهلع منهم حين أشعر بهم،  
لكنني بعد حين اعتدت عليهم، فلم أعد أكثرث بهذا كالسابق .. فبعد أن  
قضيت أكثر من أربعين عاماً من العمل مع الموتى، لا تتوقع أن تجد ما يخيفني ..  
حتى الموت نفسه صرت لا أخافه كالسابق .. إنني أراه، وأعايشه كل يوم ..  
-أتعنى بما تقوله أن هناك بالفعل أشباحاً للموتى و عفاريت لهم ؟.. إذا هذه  
الأشياء موجودة بالفعل .. أليس كذلك !؟

-إنني لا أدري ماذا يكونون بالضبط ؟.. هل هم أشباح أم عفاريت أم أنهم  
قربن الموتى من الجان .. صدقني لا أدري ما حقيقتهم .. لكن هناك بالفعل أشياء  
مربعة تدور دوماً حول الجثث .. أشياء شاب لها شعري مذ كنت شاباً صغيراً ..  
لكني كما ذكرت لك لم أعد أعياً بها الآن، وقد صرت شيخاً كبيراً، على أعتاب  
الموت .. ليكونوا مايكونون، فعماً قريب سألحق بهم، وحينها حتماً سأعرف  
الإجابات كلها.

كان مايقوله مثيراً، وشعرت بنشوة هائلة مما أسمعته .. كانت هذه أول مرة أرى فيها من يجزم بوجود أشباح عايشها .. خيرة تمنيت أن أعايشها، ولو مرة واحدة في عمري، وإن كنت أخشى حدوثها بشدة .. ولا أدري حقاً ماذا سأفعل لو واجهت شبها في يوم ما .. هل سأعدو هاربا منه ؟.. أم ترائي سأفحصه ثابت الجنان ؟.. لن أعرف حقاً إلا لو واجهتهم.

لذا ملت نحوه متسانلاً بحماس :

-إذا أخبرني بالله عليك كيف تراهم ؟ .. وكيف يبدوون لك ؟.. هل تراهم كطيف مثلاً .. أو ضباب كما يصفهم البعض، أم أنهم يتخذون شكلا ماديا محسوسا ؟..

-إنني لا أراهم بعيني بصورة واحدة متشابهة .. أحيانا هم كالظلال، وأحيانا أخرى أراهم كالأحياء يجمون حول الطاولات التي تحوى جثثهم .. لكن في الكثير من الأحيان لا أراهم بعيني، بل أشعر بوجودهم حولى .. إن لهم حضورا مميزا لا شك فيه، ولو كنت دقيق الملاحظة، فسوف تشعر بهم حتما حين يكونون حولك.

صمت بعدها، وأخذ نفساً عميقاً وأخيراً من الجزء الباقي من سيجارته، كأنما يعتصر دخانها المتبقى كله، قبل أن يلقيها أسفل قدمه ويسحقها، ثم سعل مرة أخرى بشدة ، وبصق على الأرض، قبل أن يكمل:

-لا أتكلم عن الأصوات والصرخات والأشياء التي تتحرك بلاسبب .. كل هذا يحدث كثيراً .. لكنني أتحدث عن الإحساس بهم وهم يحيطون بك .. دوماً هناك ذلك البرد الذى يتسلل إلى جسدك، فتكون تلك الارتجافة التي تحترق نخاع عظامك نفسه .. هناك ذلك الإحساس المريب أن هناك من يقف خلفك، فإذا ما التفت لاتجد أحداً .. أحياناً ترى تلك الظلال المنعكسة على الحوائط، والتي

لا تمت بصلة للموجود بداخلها .. إنها أمور غريبة تحدث، وتنبئك بأن شيئاً ما غامضاً يدور حولك ولا تراه .. لكن في أحيان قليلة أخرى، قد أرى صاحب الجثة نفسه في الفراغ شاخصاً نحوى بعيون جامدة مفرعة .. هذه المرات النادرة هي ما أهاجها بشدة وأخشاها.

وبدت حركة ما مفاجئة حينها، فالتفت كالمسوع ونظرت حولي بتوتر .. كنا حينها في المشرحة، ولا أحد حولنا الآن على الإطلاق .. لم يكن اليوم يوماً دراسياً فلا محاضرات هناك أو طلاب، لذا بدا المكان مهجوراً تقريباً .. وشعرت بالرهبة للحظة، واعتزاني هاجس سخييف أن عم منصور يراقب هلعي المفاجئ هذا باستمتاع .. لم أرغب في أن أراه يرمقني هكذا ساخراً، لذا قلت بتوتر :

- ومع كل هذا مازالت تنام بالمشرحة بمفردك .. من العسير أن أتخيل نفسي مكانك .. أنت تملك قلباً فولاذياً لتفعل هذا.

أطلق ضحكته المشروخة حينها، مجيباً بشيء من اللامبالاة:

-أكل العيش يادكتور .. أكل العيش الذي لا يرحم.

صمّت لوهلة متخيلاً أكل العيش الذى قد يدفع صاحبه للجنون أو الموت رعباً .. هذا مالا يمكنى ان أفهمه .. ما لذة الطعام أو الشراب أو الأموال لو عشت دوماً في فزع أو خوف ؟ .. وكيف تتذوق حلاوة هذه الأشياء دون أن تحياً مطمئناً ؟ .. ورمقته بحيرة وأنا لا أدري كيف أكمل حديثي، بينما أشعل هو سيجارة جديدة، وقال لى باسمًا:

-هل ترغب في تناول كوب من الشاي معي ؟

أفقت من تأملاتي قائلاً على الفور:

-لاداعي لهذا .. أشكرك .. لكن أخبرني، هل حاولت هذه الأشباح يوماً أن

تؤذيك، أو تعترضك وتخيفك مثلاً، أم أنها تكتفى بالتواجد فقط.

بدأت نظرة شاردة على عينيه، وأخذ في التدخين بشيء من العصبية، لاحظتها في ارتجافة خفيفة سرت في أصابع يده الممسكة بلفافة التبغ ، وعيناه اللتان ارتفعتا مقلتاها نحو سقف الحجرة .. شعرت بأن هناك ذكرى ما يتذكرها الآن .. ذكرى ربما ذكره كلامي بها .. وبدأت تلك الذكرى وكأنها غير سعيدة أبداً ..

بدأ هذا بشدة في ملامحه التي تقلصت بتوتر ، ويده التي واصلت الارتجاف ..

إلا أن فضولي كان عاتياً .. وأردت أن أسمع منه ما عاشه أو رآه في تلك المنطقة الغامضة .. عالم الأشباح والأرواح .. هذه خبرات قد لا يعايشها المرء في حياته كلها .. والغالبية من البشر قد لا تصدق بوجودها، وترفض الإيمان بها .

أنا شخصياً، وبالرغم من قراءاتي لم أعيش مثل هذه الخبرات إلا بين صفحات الكتب أو عوالم السينما .. لا أرفض وجودها كلية، ولا أقبلها كذلك كأمر مسلم به .. المشكلة الحقيقية أن الأفاقين من شهود هذه الأحداث كثيرون للغاية، حتى لتختفي الروايات الصادقة بين أمواج الروايات الهزلية الملفقة .. لهذا أردت أن أسمع من عم منصور ما حدث له .. فالرجل مع طبيته هذه محدود التعليم، وقليل الخيال بالتأكيد، كما أنه غير كاذب .. هذا شيء عرفته عنه منذ زمن، ولهذا فمن الصعب أن أكذب ما سيقوله لي .. ربما لا يكون دقيقاً تماماً فيما يذكره، إلا أنه حتماً لن يلفقه .

وطال صمته حينها فقلت له مداعباً، محاولاً حثه على البوح بما يخفيه عني:

-أين ذهبت بعقلك أيها العجوز !؟.

بدأت انتفاضة خافتة في وجهه، وقد أفاق من تأملاته .. قال بعدها راسماً

ابتسامته باهتة على وجهه :

-مازلت معك يا دكتور .. لقد سح عقلى نحو أحداث، جرت هاهنا منذ أكثر

من خمسة وعشرين عاماً .. أحداثاً مخيفة، وشريرة لأقصى حد .. إن الكثير من

شعيرات رأسى البىضاء التى تراها الآن حدثت حينها .. ذكريات طالما تمنيت أن أساها، وطالما دعوت الله كثيراً ألا تتكرر مثل هذه الأحداث مرة أخرى .. فلم يعد قلبى كالسابق، قادراً على احتمال مثل هذه الأحداث الشيطانية، ولا شيخوختى عادت لتسمح للإثارة أن يكون لها دور فى أيامى المتبقية.

وسحب النفس الأخير فى بقايا السيجارة الثانية التى يدخنها، تاركاً إيأى أتطلع إليه مترقبا، ثم قال بصوت خافت كأنما يخشى أن يسمعه أحد ما:

-هل تعلم أنى طالما كنت أحاول أن أتناسى هذه الأيام المشئومة .. وحين كانت بعض أحداثها تراودنى فى يقظتى أو ككوابيس فى أحلامى، كنت أحاول أن أتسأها بالقيام بالكثير من الأعمال أو بالصلاة وتلاوة القرآن ..

وارتسمت ابتسامة باهتة على وجهة، زادت تجاعيده، وأكمل:

-هل تعلم يادكتور أنى لجأت للحشيش حينها كى أنسى .. كنت فى حاجة لأن أغيب أحيانا عن الواقع ، وأن أنسى ما حدث .. هذه الذكريات لم تحمل لى الرعب فحسب، بل فقدت خلالها أحد ما كنت أعده ابنا لى.

شعرت بالشفقة نحوه .. بدا لى الآن أنى أخطأت حين أيقظت بداخله تلك الذكريات الأليمة .. تمنيت لو كنت قد كتمت فضولى، لذا قلت معتذراً :

-أنا آسف بحق ياعم منصور لو كنت قد أزعجتك بفضولى .. وأرجو أن تسامحنى على هذا، فلم أقصد أن أذكرك بتلك الذكرى السيئة .. لو كنت أعلم أن هذا سيقرب عليك آلام مدفونة لما تحدثت أبداً .. لذا تجاهل أسئلتى كلها، ولا تحاول أن تتذكر أو تحكى أى شيء .. بل إنى سأنصرف الآن كى لا أضايقك أكثر من هذا.

وهضت حينها مبدياً جديقتى فى الانصراف، إلا أنه أسرع قاتلاً لى، وهو يجذبنى من ذراعى داغياً إيأى لأن أنتظر:

- لا بأس أبداً بما قلته يادكتور .. أنت لا تزعجني بالفعل ، لذا اجلس أرجوك.. ربما يدهشك أني أريد الآن أن أحكى لك ما حدث .. إن هذه أول مرة أحكى فيها ما حدث لأحد ما .. فالكثير من الأشخاص الذين عايشوا ما حدث قد ماتوا، ومن عاش منهم ربما لم يعد يتذكرها الآن .. إنني مازلت أذكر كل شيء .. أذكر أشياءً أردت أن احتفظ بها لنفسى، وكنت أنتوى أن أخذها معى حتى قبرى .. لكننى الآن أريد أن أحكى .. إن ماكتمته لأعوام طوال ليموج فى صدرى الآن ملحاً على أن يرى النور ثانية، لذا فلا بأس من أن أقص عليك ماجرى.

- صدقنى ياعم محروس أنا لا أريد مطلقاً أن أثقل عليك .. لقد كنت فقط أداعبك قليلاً .. لايهم كثيراً أن تقص عليّ أى شيء .. ما يهمنى هو ألا أوقظ فى نفسك ما قد يؤلمك أو يضايقك.

قلتها صادقاً مشفقاً، شاعراً بالأسف الحقيقى نحوه .. لكنه قال مصرأً:  
- كلا يادكتور .. أنت دوماً على الرحب والسعة .. ولكن هل لديك الوقت الكافى كى أقص عليك ما حدث، أم أن وقتك محدود؟.. إن حديثنا سيطول.  
نظرت إلى ساعتى .. كانت مازالت الحادية عشر صباحاً، ولم يكن هناك أى موعد لى قبل الرابعة عصرأً، فقلت له مطمئناً:

- لا تقلق بشأنى أيها العجوز .. فما زال أمامى متسع من الوقت لأسمعك ..  
يمكنك أن تحكى كما تشاء .

وتنهى بإرتياح ونهض متجهأً إلى -سبرتاية- عتيقة قابعة على طاولة خشبية بجوار أحد جدران حجرته، وهو يقول:  
-حسناً ليكن ذلك .. لكن دعنى أولاً أعد بعض الشاى الثقيل من أجلنا.

أخذ يعد الشاى بشرود كأنما يرتب ذكرياته ويصنفها في عقله ،ورحت أراقبه بلهفة، وأنا أنتظر ما سيلقيه على أذناى .. كنت متحمسا بشدة كى أسمع، يومها حكى لي الأحداث التى مر بها منذ أعوام بعيدة .. وكالعادة كنت مهوراً كثيراً بما حكى .. بالطبع كانت الأحداث مرعبةً ومخيفةً وعسيرة التصديق .. إلا إننى لم أستطع أن أكذبه .. وقلت لنفسى حينها "مالذى يدفع رجل مثل هذا، وقد بلغ من الكبر عتياً، أن يخلق مثل هذه الأحداث؟.. لاشيء بالتأكيد.. إن ماقصه علي لا بد أنه قد حدث بالفعل، أو على الأقل هو يؤمن أنه قد حدث، لكنه لا يكذب."

بالطبع كنت محظوظاً؛ فقد استطعت بعدها الحصول على الكثير من تفاصيل القصة من أهم أبطالها الذين عايشوها ..  
الدكتور محمد شاهين.. كان له دور رئيسى بالقصة، وحكى لى فيما بعد ما يتذكره عن تلك القصة..

واكتملت حينها خيوط القصة بأكملها فى رأسى .. وكان عليّ أن أحكيها لكم

..  
وها أنا أفعل..

obeikan.com

(1)

**كانت** البداية قبل أسبوع واحد من بداية العام الدراسي !

و كانت هذه هى أيام العناء الحقيقي فى عمل المشرحة .. كان هناك الكثير من أعمال الصيانة للمشرحة .. والكثير من الزيارات إلى مشرحة زينهم، وغيرها لجلب الجثث التى يحتاجها الطلاب فى دراستهم .. ثم تبدأ بعدها عملية تحضير الجثث، وحفظها بالفورمالين كى لاتتحلل أو تتلف .. مع العمل على جلب الكثير من العظام، والهيكل العظمية للطلاب لبيعها لهم أو إعارتها إياهم. كان هذا صيف 1971م، تلك الأيام الكئيبة التى عاشتها مصر بأكملها ما بين مرارة الهزيمة التى بددت الأحلام الضبابية التى عاشها المصريون طويلاً، وخاصة قدرة الجيش على إلقاء إسرائيل، ومن عاوتها فى البحر، ولهب الترقب فى انتظار الحرب التى ستأتى بالثأر، و تعيد إلى الشعب جزءاً من كرامته المهذرة وأحلامه المفقودة.

كان عم منصور قد أمضى فى عمله بالمشرحة أكثر من عشرة أعوام .. تعلم خلالها كل أسرارها حتى صار كبير العمال بها .. لم يكن يعمل بمفرده بالطبع، فقد كان هناك ثلاثة عمال آخرين للمساعدة ..

كان الأول هو عبدالدايم النوبى .. نوبى أسمر البشرة .. كان نحيل الجسم كعود تقاب، لكنه كان نشيطاً كمنحلة، كان فى بداية العشرينات من عمره، وكان فيه كل ما فى أبناء النوبة من طيبة ووداعة، ولهذا كان عم منصور يشعر نحوه بالراحة ويحبه ..

كان هناك - أيضاً- متولى الديب .. فلاح من البحيرة، أدرك بفتنة أن أعمال الفلاحة والزراعة لن تغني شهوته للمال الذى يرغب فيه بشدة، فقرر هجرها، وباع القراريط القليلة التى يملكها فى بلده، ليهاجر بزوجته، وابنيه إلى القاهرة !

كانت العاصمة قاسيةً معة في البداية، ولم تعانقه مرحبةً به كما ظن .. وأدرك أن عليه أن يلتحق بعمل ما حتى يعرف طريقه، ويختار طريقاً ما يهينى له أن يصير ثرياً يوماً ما كما يحلم .. لهذا لم يتردد في أن يعمل في المشرحة حين أخبره أحد جيرانه بالحقى الشعبى الذى انتقل إليه للعيش فيه، أن كلية الطب تطلب عمالاً للمشرحة.

تقدم بأوراقه، وتم قبوله في الحال .. كان لثيماً ماكرا، وإن لم يكن خبيثاً .. أدرك هذا عم منصور منذ النظرة الأولى، فلم يرتح له كثيراً .. لكن ماجدوى مشاعره هذه ؟.. إنه لن يتزوج أخته بالطبع، ومايربطه به هو العمل فقط .. كان متولى قد مضى على عمله بالمشرحة في ذلك الحين عامين كاملين، والحق يقال، أنه قد تعلم بسرعة أسرار العمل، وصار مفيداً بصورة ما.

في العام الماضى تحدث لعم منصور عن قدرته على إحضار مايلزم المكان من عظام الموتى التى يحتاجها الطلاب .. طبعاً مكان ن العبث أن يسأله عم منصور عن مصدرها ..

سيسرقها بالتأكيد من المقابر .. بالتأكيد هذا ما كان يفعله. ولم يشأ عم منصور أن يتورط معه في أمر كهذا، لهذا أخبره أن لاجاجة به إلى ما يجلبه من تلك العظام ..

لكنه راح يلحظ من بعيد كيف صار متولى يتغيب عن العمل، من حين لآخر ليومين أو ثلاثة، ليعود بعدها بالكثير من العظام .. لا بد أنه يجلبها من مقابر

قريته أو مقابر قرى المجاورة لها.. بالطبع صار الأمر أكثر بجمحة لمتولى وقد ابتسمت الدنيا له .. وفي شهور قليلة صار مقصد الكثير من الطلاب، حيث يشتركون منه ما يحتاجونه من العظام .. كما ثارت -أيضا - بعض الأقوال عن قدرته على جلب بعض الجثث الكاملة أو أجزاء منها لمن يريد مادام قادراً على الدفع !

كان عم منصور قد سمع، ورأى من قبل، مثل هذه النوعيات من البشر، التي لا تتردد في فعل أى شيء من أجل المال .. في الغالب لن يمضي وقت طويل قبل أن يكون متولى في السجن بتهمة نيش المقابر، هذا بالطبع إن لم يفتك به أصحاب تلك المقابر التي ينتهكها، ويسرقها لو نجحوا في اصييطاده يوماً ما.. كان العامل الأخير هو جمال عبد الهادى .. ب دين، أخرق، وكسول .. كان من القاهرة، وكان لا يفعل شيئاً إلا النوم، والأكل، والنميمة، والشكوى من زوجته التي تسيء معاملته بلسانها السليط حتى أحالت حياته لجهنم صالية، كما يجب أن يقول..

هؤلاء كانوا عمال المشرحة ..

وقبل أن يبدأ العام ظهرت المشكلة...

لم يكن هناك إلا جثث ثلاث فقط بالمشرحة .. كان هذا العدد ضئيلاً للغاية، ولم يكن هذا العدد كافياً لمتطلبات الدراسة .. كان المعتاد أن يتوافر بالمشرحة عشر جثث على الأقل في بدء العام الدراسي، كى تكفى أعداد الطلاب المتزايدة .. ولم يتوافر إلا تلك الجثث الثلاث، وهنا كانت المشكلة.

ذهب عم منصور أكثر من مرة لمشرحة زينهم، عسى أن يحصل منها على المزيد من الجثث، لكنها كانت تعاني من قلة الجثث الواردة إليها في ذلك الحين.. بدا الأمر حينها كأثما كف الناس عن الموت .

بالطبع كان هناك الكثير من الاتصالات من الدكتور نعيم، رئيس قسم التشريح في ذلك الوقت، وغيره من الأساتذة بالمسؤولين بمشرفة زينهم، لكن كل هذا كان بلا جدوى، فالمشرفة بالفعل لم تحوى أى جثث لنذهب لكلية الطب.

وفي قاعة المشرفة قال الدكتور نعيم، وهو ينفث دخان سيجارته بحنق، وعيناه تتأمل الجثث الثلاث باستنكار:

-لست أصدق ما أراه .. ثلاث جثث فقط هي كل مالدينا؟! .. هذا مستحيل .. لن يبدأ العام الدراسي بهذا العدد القليل أبداً .. علينا أن نفعل شيئاً ما.

تبعه عم منصور، وهو يقول محاولاً تهدئته:

-لا تقلق يا دكتور .. مازال أماننا بعض الوقت .. وأعدك أن أبذل قصارى جهدى كى أوفر الجثث المطلوبة .. لقد طلبت من عبد الكريم كبير العمال بمشرفة زينهم أن يعلمنى لو توافرت أى جثث جديدة لديهم، ووعدنى أن يفعل. -أعطه يامنصور بعض الأموال لو تطلب الأمر، ليهتم .. أماننا أقل من أسبوع واحد على بدء الدراسة، ولا بد أن نحصل على جثتين آخرتين على الأقل قبل ذلك.

-لقد وعدته بإكرامية معقولة يا دكتور فاطمنن .. ولن أتركه إلا بعد أن يمدنا بما نحتاجه من الجثث.

-هذا ما أنتظره منك يا منصور .. إننى أعتمد عليك فى هذا.

وغادر المشرفة فى عصبية، وهو يتمتم بكلمات مبهمه غير مفهومة، بينما اتجه عم منصور إلى الداخل حيث انهمك العمال الثلاثة فى تحضير الجثث الثلاث، لحقنها بالفورمالين.

وهنا انبعثت الرائحة الشيطانية التي لا تطاق .. إنه الفورمالين لمن لا يعلم ..  
حيث الكثير من الدموع والنيران الملتهبة التي تفتك الأنف والعينين، مصحوبة  
بتلك الحرائق التي تشتعل طوال الوقت داخل الحلق، ولا يُجدي معها السعال أو  
أى شيء آخر .. إنه حجيم حقيقي يا فتى لا يمكنك الفرار منه أو تجنبه.  
هنا اقترب منه متولى، وهو يمسح عينيه الدامعتين المحتقنتين بطرف كفه، وقال  
راسماً ابتسامة تعبق بالسماجة على وجهه:

- لماذا كان الدكتور نعيم عصبياً هكذا .. هل هناك ما يغضبه؟ .  
- إنه حائق لقلة الجثث بالمشرحة، إن الجثث الثلاث لا تكفيه ويرغب في توفير  
المزيد منها.

- لكنك قد ذهبت بالأمس إلى مشرحة زينهم من اجل هذا كما اعتقد .. لماذا  
إذاً لم تجلب المزيد من الجثث من هناك؟ ..  
- لا يوجد لديهم جثثاً تصلح لنا .. اللجنة الوحيدة المتوافرة بما الأن محترقة تماماً،  
ولا تصلح للدراسة عليها.

- وماذا تنوى أن تفعل؟  
- لا أدري! .. لكنني بالتأكيد لن أهبط إلى السوق مثلاً لأجلها .. ليس بيدنا  
أى شيء إلا أن ننتظر .

هنا سعل متولى للحظة كأنما يطرد شيء ما من حلقه، قبل أن يميل نحو عم  
منصور، ويهمس في أذنه بصوت كالفحيح وعيناه تبرقان:  
-وماذا لو كنت أستطيع توفير جثث طازجة للمشرحة، وبأى عدد ترغبون فيه  
.. يمكنني أن أقوم بهذا الأمر بالطبع لو شئتم.

واتسعت عيناه عم منصور بالكثير من الامتعاض والدهشة، وقد أدرك مايلمح  
به متولى .. بالطبع لم يكن ليقبل بشيء كهذا .. لذا قال له بحدة:

-اصمت يا رجل .. إننا لا نرغب في جثتك المشوهة تلك..احتفظ بما  
لزيائنك، وحين أحتاج إليك سأخبرك.

تجاهل متولى نظرة الامتعاض التي رمقه به عم منصور كعادته، ومضى مبتعداً  
ببساطة، وبرود، كأنما لم يحدث شيء، وشعر عم منصور بالغيظ .. هل صنع هذا  
الرجل من الثلج؟.. كان يحنقه بروده الشديد .. إنه رجل لا تنتظر منه أن ينجل  
منك لأى سبب ما، أو يتأثر برأيك فيه، أو نظرتك عنه .. هذه أشياء لاتترجم  
لديه إلى أموال، لهذا لا يعبأ بما ..

وسمع متولى يقول ،وهو يتعد متجهاً إلى الطاولة التي رقدت عليها الجثة التي  
يعمل عليها.

-لقد كنت أعرض خدماتي فقط .. لا أدري لماذا تغضب؟!..

- لكننا لاحتاجها .. ظننت هذا واضحاً.

أجابه عم منصور ببرود ، وعقله يفكر فيما يمكنه أن يفعله حل هذه المشكلة..  
لكنه لم يصل لحل يرضيه .. فقرر أن يترك الأمر لله ، فرمما يأتي الفرج قريباً!

(2)

ظل الأمر هكذا إلى يوم الأربعاء، ولم يعد متبقيا غير أيام ثلاث، قبل أن تبدأ الدراسة .. لم ينجحوا إلا في توفير جثة أخرى .. لكن بالرغم من هذا مازال عدد الجثث بالمشرحه غير كافٍ .. ومازال الدكتور نعيم في جنون.

وراح الدكتور نعيم يتجول بالمشرحه بعصبيه وحنق، ووجهه محتقن؛ حتى تخال أن الدماء المحتشدة في أوردته سوف تنفجر منها في أى لحظة، كان بصحبه اثنان من أستاذة القسم الكبار، وعلى مقربة منهم بالخلف تبعهم عم منصور ..

كان الرجل كعادته يدخن بشراهة وحنق، وهو يتطلع الى الجثث الأربعة الراقدة أمامه على طاولاتها الرخامية، وعيناه لاتصدق أن يبدأ العام الدراسي بهذه الجثث الأربع فقط .. كانت الجثث مغطاة بغطاء بلاستيكي قاتم، ومازلت رائحة الفورمالين الطازجة تفوح منها بصورة خانقة أدمعت العيون كافة، وأشعلت نيرانها، وهيجت أغشية الأنوف فأسالتها .. وتوقف في منتصف القاعة، وصاح بعصبيه وهو يضرب كفاً بكف:

- لا أدري كيف سنبدأ الدراسة بأربع جثث فقط .. هذا عبث !.. سوف يتكدر الطلاب حول الجثث، ونصفهم على الأقل لن يرى أى شيء .. إننا نرتكب جريمة حقيقية بحق الطلاب، لوقبلنا بهذا و لم نجد حلاً ما.

قال الدكتور مصطفى رئيس القسم السابق محاولاً تهدئته، وقد كان يسير إلى يمينه:

- إنما ورطة بالفعل .. لكنني أرى أن نلجأ لحلول مؤقتة حتى نحصل على باقى الجثث التى نحتاجها .. يمكننا مثلا أن نقسم الطلاب إلى عدد أكبر من

المجموعات .. هذا سيقبل عددهم في المجموعة الواحدة، مما يتيح لهم الفرصة لاستيعاب ما يدرسونه.

صمت الدكتور نعيم مفكراً للحظة، وهو يطلق من أنفه وفمه سحباً رمادية كثيفة من دخان سيجارته، قبل أن يهز رأسه رافضاً الفكرة، ويقول:

-ومن أين سنجد الوقت الكافي لكل هذه المجموعات التي سوف نصنعها يا دكتور مصطفى؟ .. إن ساعات اليوم الدراسي محدودة للغاية كما تعلم .

هنا قال الطبيب الآخر ، وهو الدكتور فؤاد، مقترحاً حلاً آخر:

-ما رأيكم لو قسمنا الطلاب إلى مجموعتين .. المجموعة الأولى تكتفى بالدراسة النظرية في أسبوع، والأخرى تقوم بالدراسة العملية بالمشرحة في هذا الأسبوع، وفي الأسبوع التالي نقوم بتبديل المجموعتين .. أظن أن هذا قد ينفع مؤقتاً.

لكن هذا الاقتراح هو الآخر لم يرق للدكتور نعيم ، فغمغم معترضاً:

- لكن هذا سيقبل من فترة احتكاك الطالب بالبحث في المشرحة، وهذا سيؤثر حتماً على استيعابهم .. على الطالب في البداية أن يمكث بالمشرحة حول البحث أطول وقت ممكن، حتى يعتادها ويتعلم منها.

وافقه الدكتور مصطفى قائلاً:

-بالتأكيد يجب أن يفعل الطلاب هذا .. لكن الحلول التي نقترحها هي حلول مؤقتة، ريثما يتوافر العدد الكافي من البحث .. لا أظن أن المشرحة ستعاني من نقص البحث طوال الوقت .. لقد واجهنا نقصاً كهذا من قبل، ولم يدم الأمر لفترة طويلة .. هناك دوماً بحث جديدة .. فالناس لا يكفون عن الموت أبداً..

وقال الدكتور نعيم، وهو يشعل سيجارةً جديدةً، كانت الثالثة في أقل من

عشر دقائق :

- هذا صحيح، لكن هذا العام يختلف عما مضى .. طلاب الدفعة الجديدة سيزيدون خمسين طالباً عن طلاب الدفعة السابقة .. وهذا يعنى حتماً الحاجة للمزيد من الجثث، فما بالك، ونحن لم نستطع توفير الحد الأدنى من الجثث اللازمة للدراسة حتى الآن.

وصمت الثلاثة بعدها، وراحت عقولهم تبحث عن حل ما، وهم يدركون فداحة الأمر .. راحت عيونهم تتفحص جوانب المشرحة بشرود، بينما كان عم منصور يتبعهم دون أن يتدخل ..

وهنا فوجئ بالدكتور فؤاد يلتفت إليه، ويقول له مداعباً:

-مارأيك في ما يحدث يا منصور .. ألدك اقتراح ما؟!...

أجابه عم منصور مبتسماً:

- صدقنى أنا لا أكف عن البحث ياكتور .. إننى أرتاد كل المستشفيات بحثاً عن جثة ما دون جدوى .. أتمنى لو كان هناك شئ ما أستطيع أن أفعله، كى أتمكن من جلب الجثث المطلوبة، وحل هذه المشكلة.

ابتسم الدكتور مصطفى، وغمزة بعينه اليسرى، وهو يقول بلهجه غامضة غريبة لم يألفها منه عم منصور :

-يمكنك أن تجلب إحدى الجثث من مقبرة ما .. هذا ليس بالأمر العسيراً هذه الأيام .. فى الماضى كان عم عبدالفتاح -رحمه الله- يعرف ما عليه أن يفعله، حين نواجه مثل هذه المواقف .. لقد كان أريباً فى هذه الأمور.

شعر عم منصور بالدهشة مما يسمعه .. هذه أول مرة يطالبه الدكتور مصطفى بشئ كهذا .. أطلق بعدها ضحكة قصيرة، وقال محاولاً أن يستشف إن كان الدكتور مصطفى يداعبه، أم أنه جاد فى حديثه :

-يمكنني أن أسرق عشرات الجثث لو شئتم .. لكن ماذا لو قبضوا علي؟! ..  
حينها لن يكون هناك غير السجن بلاريب، ولا أظن أن طقسه الحار وأمراضه  
تناسبني هذه الأيام .. ربما لم أكن لأمانع لو كان الوقت شتاءً.  
وضحك الثلاثة لدعابته، إلا أن الدكتور نعيم أسرع يقول، مستعيداً عصبيته  
التي تلازمه كظله:

-ولماذا يمسك بك أحد ما أو يكون هناك سجن؟! .. كل ما عليك أن تفعله هو  
أن تراقب مقابر أحد النجوع أو القرى البعيدة عن القاهرة، و تأتي منها بجثة  
طازجة .. عم عبدالفتاح كان قد فعلها من قبل مراراً كما أخبرناك .. ولو كنت  
تخشى أن تفعلها بنفسك، يمكنك أن تستأجر من يفعلها بدلاً منك .. خذ ما  
تشاء من مال وأفعل!.

وعقب عليه الدكتور فؤاد مؤيداً، بينما الدهول قد عقد لسان عم منصور فلم  
يجد جواباً :

-ثم إن هذه لاتسمى سرقة أبداً .. إنك تفعل هذا من أجل العلم ومن أجل  
أن يتعلم الطلاب .. حتما سيكون هناك ثواب عظيم عند الله من أجل الطلاب  
الذين سيتعلمون عليها ويدرسونها.

ولم يكن هناك مايجيب به عم منصور، وقد صدمه طلبهم هذا، فاكتفى  
بتحريك رأسه بلا معنى، وقال الدكتور نعيم بلهجة آمرة، كأنما يرغب في إنهاء  
الأمر، وتوريط عم منصور بالموافقة:

-اسمع يا منصور .. لو استطعت توفير جثة قبل يوم السبت فسوف أمنحك  
مكافأةً طيبةً .. كما أن كافة التكاليف، والمصاريف اللازمة لجلب الجثث سوف  
يتحملها القسم .. اجلبها مهما كانت التكلفة، وسوف أكافئك.

وغادروا المشرحة بعدها، وتناهى لسمع عم منصور صوت الدكتور نعيم قائلاً  
قبل أن يخرج:

-إننى فى انتظار جثة أو اثنتين يا منصور قبل يوم السبت .. إن مكافأة حقيقية  
بانظارك، لو استطعت توفير تلك الجثث.

تركوا عم منصور دون أن يدركوا كيف شعربضيق شديد مما طلبوه منه ومن  
تورطه بالأمر ..

لم يكن يتخيل أن يحدث هذا معه.. لكنه لن يقبل أن يكون نباشاً للقبور مهما  
حدث، كى يجلب لهم الجثث التى يريدونها .. ليفعلونها بأنفسهم لو شاءوا ..  
لكنه لن يفعل .. وبعد حين عاد ليفكر، هل كانوا يحدثونه بجدية، أم أنه أساء  
فهمهم، وأهم فقط كانوا يداعبونه .. تمنى لو كان هذا حقيقاً .. لكنه كان يدرك  
أهم جادون فى الأمر تماماً .. كانت هذه مصيبة بحق .. كان عليه أن يجد حلاً  
ما .

وأسند ذراعه إلى إحدى مناخذ الجثث الفارغة .. أخرج من جيب بنطاله علبة  
سجائره، وأشعل سيجارةً جديدةً، وأخذ يبصق دخانها بحنق .. لكن وبعد هنيهة  
قفز إلى عقله متولى، وحديثه من قبل عن قدرته على جلب الجثث .. تنهد  
بإرتياح حينها .. مادام الأمر قد وصل إلى سرقة الجثث من المقابر ، فليقم به إذاً  
من يجيده .. ليخبر متولى بما قالوه، وليترك الأمر كله على عاتقه .. لن تكون  
هذه أول مرة يفعل فيها شيئاً كهذا بالتأكيد .. كما أنه هو الذى عرض خدماته  
من قبل لتوفير الجثث للمشرحة ..

اتجه للحجرات الملحقة بالمشرحة كى يبحث عنه .. وجده جالساً بإحدى  
غرف المشرحة الجانبية، يتجادل مع جمال الذى علا صوته الغليظ، وراحت  
ذراعه الممتلئان تلوحان فى الفراغ فى كل إتجاه، وهو يحاول أن يثبت أمر ما، بدا

متحمسا في حديثه واحتشد عرقه على جبهته زاحفا عنحو وجنتيه حتى وصل الى رقبته وتكاثف فيها، وقد بلبل القميص من تحت إبطيه في منظر ملفت .. بينما جلس في ركن بعيد عبدالدايم يحتسى كوباً من الشاي، ويتابعهما باستمتاع، دون أن يشاركهم في الحديث..

توقف عم منصور أمام باب الحجرة، ونادى متولى قائلاً باقتضاب :  
-متولي .. أريدك أن تساعدني في شئ ما بالداخل ؟..  
انتبه متولى له، فالتفت برأسه نحوه، ورمقه محاولا سبر غوره، وأجاب بشيء من اللزوجة كعادته :

-أساعدك في ماذا يا عم منصور ؟.. وهل مازال هناك عمل ما لم نقم به؟..  
-العمل بالمشرحة لاينتهي أبداً .. هيا اتخص يارجل وسترى بنفسك.  
قال عبدالدايم بلهجته النوبية المميزة، عارضاً خدماته:  
-هل تريدني أنا -أيضا - يا عم منصور ؟..  
-لاداعي لهذا .. أكمل أنت شرب الشاي .. إن متولى يكفي.  
ظل متولى يحدق إلى عم منصور بعيون متسائلة، كأنما يرغب في النفاذ إلى عقله دون أن يغير من جلسته أو ينهض .. وتأفف بعدها عم منصور بنفاذ صبر، فنهض متولى بتثاقل، وهو يغمغم بضيق مفتعل:

-حسناً يا عم منصور .. كما تحب .. أرني أين هو هذا العمل ؟..  
لم يجبه، وسار بخطوات سريعة نحو الداخل ، فتبعه متولى باستسلام، ولما استيقن عم منصور أنهما ابتعدا مسافة معقولة عن الباقيين، التفت إليه، وقال محاولاً تحاشي النظر إلى عينيه:

-هل تستطيع إحضار جثة ما بحالة جيدة قبل يوم السبت؟.

وارتسمت ابتسامه ماکره على وجه متولى، والتمعت عيناه بشده، قبل أن يقول بلهجة عجيبة:

- إذا فقط احتجت خدماتى ..

- لست أنا من يحتاجك .. لقد طلب الدكتور نعيم أن نفعل هذا، ففكرت فيك .. والآن أخبرنى هل يمكنك أن تفعل ؟.

- يمكنى بالطبع .. لكن هذا يتوقف على النقود .

- وكم تريد ؟

حك متولى رأسه بيده متصنعاً التفكير، وقال :

- أخبرنى أولاً .. كم جئته تريدون ؟

- جئته واحده فقط!

- سأقبل بخمسين جنيها فقط فى تلك الجئته .. إن هذا من أجلك أنت .

تجمدت نظرات عم متولى ذهولاً .. خمسون جنيهاً مرةً واحدهً .. مبلغ كهذا كان ضخماً بحق فى تلك الأيام .. كان أكبر من راتب شهرين كاملين له .. لهذا قال معترضاً بغيظ :

- أنت تحلم .. لست أنا من سيدفع .. إنه الدكتور نعيم، وهو لن يقبل أبداً أن يدفع لك مثل هذا المبلغ .. لن يدفع أكثر من خمس وعشرين جنيها .. أنت واهم لو ظننت أن هناك من يدفع فى جئته سعر كهذا.

هنا صاح متولى معترضاً، وهو يلوح بكلنا يديه، راسماً الامتعاض على وجهه :

- لكن هذا قليل للغاية، هناك من يساعدنى، وهناك السيارة التى ستنقل الجئته، ومجهودى و.. و..

وهتف به عم منصور، مقاطعاً :

-إذا سأقع الدكتور نعيم بأن يدفع ثلاثين جنيها بلا أى مليم آخر .. هذا عرضى الأخير .. إما أن تقبل، أو أبحث عن أحد غيرك.

صمت متولى مفكراً، وحك رأسه مرة أخرى، وعيناه تبحثان عن شيء وهمى بالسقف، قبل أن يعاود رسم تلك الابتسامة الماكرة على وجهه، وقال باستسلام مفتعل :

-بالطبع لا يمكننى أن أرفض .. لكن هذا من أجلك فقط ياعم منصور .. سأقوم بجلب تلك الجثة، حتى لو كان الأمر بلا مقابل .

تمتم عم منصور بتأفف حقيقى، شاعراً بالإشمزاز منه :

-بل ستقوم به بمقابل جيد للغاية .. لا شئ مجانى فى هذا الزمن .. أريد الجثة هاهنا قبل يوم السبت القادم .. من الأفضل لو أمكنك أن تجلبها الجمعة مساءً؟.. يمكننا أن ندخلها إلى المشرحة دون أن يشعر بنا أحد فى هذا الوقت، وسأتولى أنا الأمر مع أمن الكلية .

-توكل على الله يارجل ولا تقلق .. يمكنك اعتبار الجثة فى المشرحة من الآن. غادره عم منصور، وهو يتساءل من أين هذا الوغد بكل هذه اللزوجة والجشع، خمسون جنيها فى الجثة الواحدة؟! .. هذا جنون بلا شك.

بينما انصرف متولى سعيداً بهذه الصفقة ..

لم يكن أيهما يدرى أى كارثة مقبلين عليها حينها ..

لو علموا حينها لأنفوا الأمر على الفور وما فعلوه ..

(3)

قبل أن تصل عقارب الساعة للعاشره من مساء يوم الجمعة، توقفت

سيارة نصف نقل أمام الباب الخلفى للكلية .. هناك كان عم منصور يجلس بجوار محمد الرئيس حارس الأمن الشاب يدخان سويماً، مستمتعين بالنسمات الباردة التى بددت فيظ النهار الصيفى الخانق..

أخبره عم منصور قبلها أنه بانتظار جثة جديدة من أجل المشرحة، فعداً سوف تبدأ الدراسة، ومازالت المشرحة بحاجة للمزيد منها، ولهذا اضطروا أن يأتوا بما ليلاً لضيق الوقت .. بالطبع لم يشك الحارس فى شيء، ولم يعقب.

بجوار السائق جلس متولى مبتسماً راضياً عن نفسه تماماً .. وتوقف السائق بسيارته أمام الباب، أطلق نفير السيارة لينبهما لقدمه، وفى نفس الوقت لوح متولى بيده خارج نافذة السيارة محيياً، وهو يصيح:

-إفتح الباب يا عم منصور .. إنه أنا.

هرع محمد الرئيس إليهما كى يفتح الباب للسيارة، والتى دلفت على الفور نحو فناء الكلية، ثم توقفت على بعد خطوات من الباب، فخرج متولى منها، بينما بقى السائق بداخلها منتظراً.

لحق عم منصور بالسيارة، وقال لمتولى هامساً كى لا يسمعه أحد:

-كيف سارت الأمور ؟

-أخبرتكم ألا تقلق، كل شيء على مايرام، والأمانة موجودة بالسيارة .

-إذن دعنا لانضيع الوقت، ولندخلها الى المشرحة بسرعة.

قالها عم منصور، ثم سبقه مترجلاً إلى أحد الأبواب الجانبية المطللة على الفناء المتجه للمشرحة، وتبعه متولى والسيارة تسير خلفهما ببطء، ثم توقف الجميع أمام الباب.

أسرع السائق بالهبوط، وفتح الباب الخلفى للسيارة .. كان هناك صندوق خشبي يشبه النعوش إلى حد ما يرقد على صندوق السيارة المعدني بطول الصندوق .. صعد السائق فوق صندوق سيارته، وأمسك بالصندوق الخشبي من الخلف، وقام بدفعه نحو الخارج ببطء، بينما تعاون عم منصور ومتولى على حمل الصندوق الثقيل من الناحية الأخرى ..

اتجه الثلاثة بالصندوق الخشبي نحو المشرحة، وغمغم متولى بقلق محذراً وعيناه معلقتان بالصندوق :

-حاذروا خطواتكم من فضلكم .. لو سقط الصندوق فقد يتحطم.

صرخ فيه عم منصور بغیظ، شاعراً بثقل الصندوق يكاد أن يخلع كتفيه:

-اصمت يا أحمق وتحرك .. صندوقك اللعين هذا، هو ما سيحطم أذرعنا قبل أن يتحطم.

صمت متولى على الفور، وتحرك الموكب الصغير ببطء نحو المشرحة، وقال عم منصور فور أن دلفوا من باب المشرحة، موجهاً إياهما لمكان متسع خلف الباب:

-لننزل هذا الصندوق هنا .. إن هذا يكفي.

أنزلوا الصندوق برفق، وانتصبوا جميعاً ليلتقطوا أنفاسهم اللاهثة من ثقل الصندوق الخشبي، ومايحويه، والتفت عم منصور إلى السائق العجوز مرحباً به مرة أخرى، وهو يقدم له سيجارة من علبته، تناولها السائق بامتنان .. دعاه بعدها لتناول كوب من الشاي بالداخل، إلا أن السائق اعتذر متحججاً بضيق الوقت .

هنا قال متولى :

-دعه يذهب ياعم منصور .. مازال أمام عم بلال رحلة عودة طويلة.  
وصحبه متولى بعدها إلى السيارة .. أخرج من حافظته نقوداً ناوها له، فقام الأخير بعدها بسرعة، قبل أن يقبلها ثم يدسها بحافظة جلدية كبيرة أخرجها من جيبه، ثم رحل بسيارته..

وبالداخل كان عم منصور يتفحص بعينه الصندوق الخشبي المغلق .. كان خشبه غير مدبوغ، وقد تلوثت جدرانه بالبقع، وبعض الطمى الجاف .. أيقن عم منصور أن متولى لا بد وأنه قد صنع هذا الصندوق من قبل خصيصاً لمثل هذه المهام القذرة، التي يقوم بها من حين لآخر.

دلف متولى الباب وأشار إلى الصندوق بفخر، وابتسامته اللزجة مرة أخرى تملأ وجهه:

-مارأيك ياعم منصور بهذا الصندوق .. لقد كلفنى صنعه أكثر من عشرة جنيهات كاملة .. لكنه والحق يقال يستحق .. إنه من الزان.

-لا يهمنى صندوقك ولا ما دفعته فيه .. إن ما أريده هو الجثة فقط .

-إنها بداخله .. أراهن على أنها سوف تعجبك.

-لا أريدها أن تعجبنى .. فقط أريد جثة صالحة .

-إنها كذلك بالفعل .. اطمئن .. إنها سليمة وطازجة .. سترى هذا بنفسك.

وقال عم منصور بضجر، وهو وينحنى نحو الصندوق، كى ينتهى الأمر :

-إذا دعنا ندخلها لقاعة التشريح، لنرى هذا بأنفسنا.

تعاونوا سوياً وبصعوبة فى حمل الصندوق، وإدخاله للقاعة، ثم اتجها به نحو طاولة فارغة، فأرقدها أسفلها، وانحنى متولى على الصندوق، وأخرج مفتاحاً

صغيراً من جيبه، عالج به القفل الصغير الموضوع بجانب الصندوق، وفتحة، ثم رفع الغطاء العلوى للصندوق، لتظهر الجثة ملفوفة في كنفها الأبيض..  
شعر عم متولى بالضيق حين رأى الجثة مستورة بكفنها، وانتابه إحساس ساحق بأنه قد انتهك حرمتها، فهتف في متولى غاضباً:

- لماذا لم تنزع الكفن عنها قبل أن تأتي بما ؟.. إنك تفعل أشياء حمقاء.  
- ظننت أنه لا بأس من الاحتفاظ به .. لا مبرر هنالك للتخلص منه.  
وابتسم مرة أخرى ابتسامته اللزجة مكماً، وهو يشير إلي الكفن:  
- إنه مازال جديداً كما ترى، يمكننا الانتفاع به مرةً أخرى.  
رمقه عم منصور بنفور حقيقى، وقال بتأفف، وهو ينظر إليه شذراً:  
- هل تعلم أنك أكثر من رأيتك جشعاً في حياتي كلها .. لا أدري كيف يحيا إنسان ما بتفكيرك وطمعك هذا .. إنك تشعرني بالغثيان يارجل.  
لم تختلج عضلة واحدة في وجه متولى، وهو يجيب بثبات، دون أن تتعكر ابتسامته لما يسمعه:

- الحياة صعبة يا عم منصور، ولا يصلح لها إلا الشخص (المفتّح) القادر على انتزاع المال من فم الأسد، إننا نحيا من أجل هذا.  
وابتلع عم منصور لسانه، ولم يعقب .. لا جدوى من الكلام معه، فلن يتفهم أى منهما منطق الآخر، كلاهما يرى الدنيا من منظار مختلف .. ولن يجنى من مثل هذه المجادلات، إلا إثارة أعصابه وحنقه.

لذا صمت وانحني نحو الجثمان ليرفعة كاتماً غيظه، قائلاً:  
- إذن عاونى لنضع الجثة على الطاولة. علينا أن ننتهى من عملنا.

وحمل الجثة فشعر بالعجب حين اكتشف أنها خفيفة للغاية، بالرغم من طولها البادى عليها .. أرقداها على المنضدة برفق، ثم أشار عم متولى إلى الجثمان، قائلاً لمتولى:

- هيا انزع ذلك الكفن اللعين عنها .. لن أشارك في هذا العمل البغيض.  
وعلى الفور امتدت يد متولى نحو الكفن، وراح يزيله من جسد الجثة بسرعة، ومهارة من اعتاد فعل هذا عشرات المرات من قبل، في نفس الوقت أدار عم منصور جسده للخلف، كي لا يرى ما يفعله متولى.

لكنه حين استدار ثانية نحو الجثة، ورأى من تكون، أطلق شهقة عالية، وتراجع للخلف بذهول، كأنما صرخة عالية كادت أن تفلت من فمه، بينما قال متولى، وهو ينظر إلى الجثة ببلاهة وذهول، كأنما يراها للمرة الأولى:

- ما هذا.. إنها فتاة؟! فتاة!؟..!

كانت الجثة لفتاة بالفعل .. فتاة شابة في مقتبل العمر .. كانت حلوة .. بل أجمل فتاة رآها أحدهما في حياته كلها .. كانت بيضاء البشرة بشدة، وإن شاب شفتيها وخدودها بعض الصفرة والشحوب بتأثير الموت .. وامتلكت وجهها بجوى ملامحاً دقيقة وفاتنة للغاية .. بدت في منتصف العشرينات من عمرها، وحول وجهها التف شلال حر من الشعر الفاحم الحريري الناعم ..

بدت الفتاة كنموذج للفتنة النائمة .. جمال كهذا لو رآه فنان لجن عقله، ولهام به عشقا، وصنع من أجله عشرات اللوحات والصور.  
شعر الاثنان أنها كائن لا ينتمي في روعته وجلاله لعالم البشر الفاني .. فمنذ متى والنساء في هذه الدنيا يحملن حلاوة كهذه؟! ..!

وبالرغم من أن عم منصور قد عمل لأكثر من عشرة أعوام مع الموتى ، رأي خلالها مئات الجثث، حتى صار يعرف الموتى بنظرة واحدة .. إلا أنه حين رآها

شك بشدة أنها ميتة .. وهتف بصوت مبحوح محتق، وعيناه مثبتتان عليها  
بإصرار:

-ما الذى فعلته أيها الأحمق .. من هذه ؟.. وكيف أتيت بها ؟  
ابتلع متولى ريقه بصعوبة حقيقة، وأجاب بتوتر، وعيناه هو الآخر معلقة بها،  
وهو لا يصدق ما يراه:

-لم أكن أعلم أنها فتاة .. ما أخبرنى به اللحد أنها جثة طازجة، فظننتها جثة  
لرجل، لقد اعتدنا دائما ألا نقرب جثث الإناث .. إنه لم يخبرنى أنها لفتاة .. إنه  
خطأه.

وتصلب عم منصور أمام جثمان الفتاة، وعيناه جاحظتان ترمقها بدهشة  
ممزوجة بالإشفاق .. وألح ليه عقله، فمد يده نحو عنقها متحسسا وريدها  
السياتي،

هل تكون تحت تأثير غيبوية ما ؟.. علم من قبل أن هذا قد يحدث أحيانا ..  
وأمام جمالها تمنى أن تكون كذلك.

لكنها كانت باردة بشدة، ولم يشعر بأى نبض لها تحت أصابعه، إنها ميتة  
بالفعل .. ونظر إلى عينيها المغلقتين للحظات، بأسف متوقعا أن تفتحهما فى أى  
لحظة، ناظرة إليهما برعب و فزع .. لكنها لم تفعل ..

نظر إلى جسدها العارى متفحصا، فبدا هو الآخر سليماً تماماً .. حتى  
علامات الموت التى يراها فى الجثث كالزرقعة الرمية، وغيرها غابت عنها .. فكرر  
سؤاله مرة أخرى ،وتوتره يتصاعد بداخله:

-من أين أتيت يارجل بهذه الجثة ؟.

ولاحظ عم منصور أن توتر متولى وحيرته، لا تقل عما يشعر به، ومتولى يجيب  
بصوت مرتجف:

- أحضرتها من مقابر إحدى القرى المجاورة لقريتي .. لم يكن هناك جثث جديدة بمقابر قريتي فبحثت هناك .. لقد أخبرني اللحد أنها ماتت صباح اليوم، ودُفنت بعد صلاة الجمعة ..

كان هذا يعني أنها ماتت منذ أكثر من خمس عشرة ساعة، وبالرغم من هذا لم يظهر عليها أى من علامات التحلل .. وكان ذلك الوقت هو نهاية شهر سبتمبر، حيث مازال الحر على أشده، ولهذا كان من المستحيل أن تبقى في وقت كهذا، أى جثة على حالها، دون أن تظهر عليها علامات التحلل .. كان هذا مريباً غريباً.

ظل يتأمل الجثة بتوتر، ووجد نفسه يغطي جسدها حياءً، كأنما مازالت حية .. لم يتنابه في يوم من الأيام شيء من هذه المشاعر التي يحس بها الآن أمام تلك الجثة .. لم يشعر يوماً ما بالأسف نحو جثة ما كما يحدث الآن.

وجد نفسه يفكر في الفتاة .. ترى كيف، ولماذا ماتت هذه الفتاة؟ .. هل قتلها أهلها من أجل الشرف، ودرءاً للعار، كما يحدث في الأرياف كثيراً؟ .. لكنه لم يلحظ على جثتها أى آثار لعنفٍ ما أو عدوان .. بشرتها سليمة راتقة لا غبار عليها ..

هل ماتت لمرض ما؟ .. لكنه عاد واستبعد هذا الاحتمال .. فقد أوحى إليه الجثة أن صاحبها قد ماتت في عنفوانها .. فلا وجود لآثار المرض ومخالبه على جسده ووجهها.

لو ماتت هذه، فلا بد أنها كانت بكامل صحتها وعنفوانها .. نامت في المساء، ولم تستيقظ بعدها قط .. ميتة هادئة، لكنها مؤلمة ومفاجئة لذويها .. وأخرجه متولى من شروده قائلاً، وهو يشير بإصبعه نحو الجثة:  
-والآن ماذا سنفعل؟..

-لست أدرى .. إننى أشعر بالحيرة.

قائها، وأخرج علبة السجائر من جيبه ليشعل سيجارة جديدة، ليبدد في دخالها توتره وحيرته .. شعر أن هذه الجثة تخصه هو .. جثة تحمل شيئا من مشاعره وجيناته .. كان إحساساً سخيماً .. لكنه لم يستطع أن يطرده من عقله ..  
كان يتمنى ألا يصيبها ما يصيب الجثث هنا من تمزيق وتفكيك .. إن تلك الرقة والفتنة النائمة لخليقة أن تظل هكذا حتى يتلعها الثرى، دون أن يرى أحد كيف تذهب الأرض بتلك الحلاوة والفتنة .. لذا غمغم بصوت خافت دون أن يتمالك نفسه:

-هذه الفتاة لا تستحق أبداً أن توجد هاهنا .. هذا كله خطأ.

واستدار متولى نحوه بغتة بشيء من الاستنكار، وهو يشب كامللسوع:

-هل تعنى بكلامك هذا أنك لا تريدها؟! .. إننى لن أعيدها لقبرها ثانية.

نظر إليه عم منصور، وهو يزفر سحابة كثيفة من الدخان نحو وجهه، وقال ببطء:

-لم أقل هذا .. لقد جاءت إلى هنا .. هذا قدرها إذن.

تنهد متولى بارتياح، بعدما ظن أن عم منصور سيطلب منه أن يعيد دفنها ثانية .. لكن عم منصور لم يقلها، وإن تمنى في أعماقه أن يفعل هذا .. كان متوتراً، وشعر أنه لارغبة لديه في أن يبدأ إجراءات تجهيزها للحفظ بالفورمالين، ريثما يأتي أطباء القسم في الصباح كي يكملوا حفظها بالفورمالين .. وقال لمتولى وهو يجذبه من ذراعه:

-دعنا نحتسى كوبيين من الشاي أولاً، قبل أن نعود إليها، لنبدأ عملنا عليها.

واقفه متولى، فانطلقا إلى حجرتيهما واجمين .. ووقد عم منصور على السريـر  
المعدني الصغير، وراح يدخن ومازال يفكر في هذه الفتاة .. كيف ماتت .. وكيف  
عاشت ..؟

تخيل مصيبة أهلها لفقدها .. لو كانت ابنته هو لجنّ حتماً .. لم تكن المسألة  
لجمالها الآخاذ البادى عليها، حتى وهى ميتة .. لكنها مسحة الرقة و الجاذبية  
الخفية التى تبعث من ملامحها .. راهن أن عشاقها كانوا بالملئات .. لا يظن أن  
أحدأ منهم كان بالجسارة كى يقربها .. مثلها تستحق أن نتأملها من بعيد، خائفين  
أن نخذشها بنظراتنا، أو آهاتنا ودموعنا .. وغمغم بخفوت محاولاً إخراج نفسه من  
تأملاته الحزينة:

— لا إله إلا الله .. لله ما أعطى .. والله ما أخذ ..

جلس متولى أمامه أمام السبوتاية بعد الشاى .. راقبه عم متولى ووجد نفسه فى  
هذه اللحظة، يشعر بمقت هائل نحوه .. لولاه لظلت هذه فى قبرها يسترها  
ويغطيها .. شعر أنه يجلس إلى أحد السفاحين الأقرب إلى الحيوانات منها  
للبشر .. وتعالى حنقه عليه، حتى تمنى لو مات متولى فى هذه اللحظة، ليقوم  
بنفسه بتحنيطه، وحقنه بالفورمالين، مثلما سيحدث معها بعد قليل ..

وأغمض عينيه، ووجد نفسه يتخيل كيف سيقوم بتقطيع متولى بالمنشار إلى  
أجزاء، حين يطلب الأطباء منه هذا .. لن يدع أحدأ غيره يقوم بهذا .. سوف  
يقوم بالأمر كله بنفسه .. هذا مخلوق طفيلى يستحق مصيراً كهذا، لا هذه  
الفتاة.

ولاحت على وجه عم منصور ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفثيه، وأحس  
بشيء من الراحة لخواطره تلك.

قدّم له متولى كوب الشاي الساخن، فتناوله بصمت، دون أن يشكره عليه ..  
أخذ يرشفه ببطء، وهو يفكر فى المهمة الثقيلة التى عليه أن يقوم بما بعد قليل  
مع جثة الفتاة .. حينئذ انقطع التيار الكهربائى فجأة فصاح متولى بسخط:  
- ما هذا النحس ؟ .. هذا ليس وقته أبداً ..

قالها وأشعل عود ثقاب، قبل أن يشعل به مصباحاً زيتياً موضوعاً على طرف  
المنضدة التى أمامه .. كانوا يحتفظون بهذا المصباح لمثل هذه الأوقات التى تنقطع  
فيها الكهرباء، وقال متولى، وهو يعلق المصباح من حلقة معدنية فيه إلى مسمار  
على الحائط :

- لقد تأخرت على البيت ياعم منصور، ولا أريد أن تشعر زوجتى بالقلق لو  
تأخرت عليها أكثر من ذلك.

- لاداعى للقلق يارجل، ربما عادت الكهرباء بعد قليل .

قالها له عم منصور شاعراً بالراحة .. هذا سيؤجل الأمر بعض الوقت .. وجد  
نفسه يتمنى ألا يعود التيار ثانيةً .. كأن هذا سينقذ جثة الفتاة من مصيرها،  
ولكن متولى هتف بحق واعتراض:

- بهذه الصورة سأعود للبيت متأخراً .. إننى أكاد أموت إرهاقاً وتعباً، فأنا لم أتم  
منذ الأمس .. هذا ليس سعدى بلا شك.

- يمكنك أن تنام اليوم هاهنا معى بالحجرة لو تأخرت .. المكان يتسع لكلينا  
كما تعلم.

- وماذا عن زوجتى التى أخبرتها أنى سوف أعود إليها اليوم .. حتماً سيقتلها  
القلق من أجلى إن لم أعد إليها الآن.

كان محققاً في خوفه .. ففي ذلك الوقت لم تكن التليفونات متاحةً إلا للقليلين، لهذا كان من المستحيل أن يُطمئن زوجته عليه، إلا بأن يعود بنفسه إلى بيته، لذا قال عم منصور بإستسلام:

-حسناً .. يمكنك أن تذهب إلى بيتك، وسأتولى أنا تجهيز الفتاة بنفسى حين تعود الكهرباء.

-وماذا لو لم تعد الكهرباء .. هل سنترك الجثة هكذا للصبح ؟.. أخشى أن تفسد الجثة، أو تتصاعد رائحتها .. فالجو ها هنا أكثر دفئاً من الخارج.

كان هذا شيئاً محتملاً .. إلا أن شيئاً بداخل عم منصور أشعره بأن هذا لن يحدث .. دعك من أن الفتاة ماتت بالفعل منذ الصباح، ولم يحدث لجثتها أى تلف بعد .. والطقس في هذه اللحظة ليس بالشديد الحرارة كما كان في النهار، لذا قال له مطمئناً:

-لا أظن أنها ستتحلل بهذه السرعة، لو تركناها هذه الليلة .. إنها مازالت بحالة جيدة، ولا أعتقد أنها سيضيرها أن تنتظر بضع ساعات أخرى حتى الصباح .. عد لبيتك ولا تقلق.

وانصرف متولى تاركاً عم منصور الذى راح يفكر مرة أخرى في الفتاة التي لم تفارق خياله.

وظل النور مقطوعاً طوال الليل، ولهذا لم يجهزها، فانتظر الصباح، شاعراً بالراحة لتأجيل الأمر ..

(4)

"ما هذا؟!"

قالها الدكتور نعيم بدهشة، وهو يحدق في جثة الفتاة التي جلبها متولى بالأمس.. لاحظ عم منصور يده المرتعشة الممسكة بالسيجارة المشتعلة، وهو يتطلع لجثة الفتاة بتوتر، فأجابه بسرعة:

-إنها الجثة التي طلبت منا أن نحضرها، لقد جلبناها بالأمس.

-أعلم إنها الجثة التي طلبتها .. إنني أسأل كيف، ومن أين جئتم بها ؟..

قالها، دون ان يرفع عينيه عنها، وأجاب عم منصور:

-إن متولى هو من جلبها بالأمس، ولقد أتى بما كما أخبرني من مقابر قرية مجاورة لقريته، بالمناسبة إنه يطلب ثلاثين جنيهاً ثمناً لها .. لقد أخبرته أنك سوف تدفع له .

-ليس هذا وقته يا منصور .. سأعطيه مايريده، لكن هل أخبرك متى توفيت هذه الفتاة بالضبط؟.

قالها، وهو يقلب الجثة برفق على جانبيها، وينظر الى جسدها متفقداً، ثم امتدت أصابعه لتتحسس نبضها؛ كأنما يريد أن يتأكد بنفسه أنها جثة حقيقية، وقال عم منصور، وهو يراقب مايفعله:

-يقول إنها ماتت صباح الجمعة ..

-هذا يعنى أنه قد مر على وفاتها أكثر من يوم .. إن هذا مستحيل .. لا بد أنه قد أخطأ .. إنني لا أرى أى آثار للتحلل بها، ولاوجود للزرقة الرميمة أسفلها.. هذه الفتاة تبدو، وكأنها قد ماتت منذ ساعة واحدة على الأكثر .. إنني أشعر بالدهشة.

كان عم منصور مازال تائهاً في حيرته فلم يرد عليه، بينما استمر الدكتور نعيم في فحصها .. أمسك أناملها، وقربها إلى عينيه متأملاً أطفالها اللامعة، ثم أعادها لمكانها برفق، ثم فتح جفنيها فتضاعفت دهشته، وهو يقول :

- إن هذا غريب بحق .. إنني لم أشاهد في حياتي جثة كهذه من قبل، من يراها يظن أنها فتاة نائمة .. لكن جسدها البارد، ونبضها المفقود يشير إلى موتها ويؤكد.

غطاها بعد ذلك بغطائها البلاستيكي، وأخرج سيجارة من علبة سجائره، وأشعلها قبل أن يقول بشروود:

- احضر لى متولى هنا الآن .. أريد أن أعرف منه ما قصة هذه الجثة بالضببط، وكيف أتى بها ؟.

تحرك عم منصور لإحضار متولى، تاركاً إياه في المشرحة أمام الجثة .. خمن عم منصور أن بعقل الدكتور نعيم الآن الكثير من الأفكار والهواجس، التي روادته عن الفتاة بالأمس .. وبعد دقيقة عاد ومتولى برفقته ..

أخرج الدكتور حافظته الجلديه الأنيقه، وأخرج منها بعض النقود، فعدّها ثم مد يده بها نحو متولى، الذي التفتها على الفور ودسها في جيب بنطاله دون أن يعدّها، وإن كان قد أحصاها بنظره بصورة خاطفة طمأنته إلى أنها المبلغ الذي ينتظره .. وقال الدكتور نعيم بعدها:

- والأن أخبرني هل كنت تعرف هذه الفتاة من قبل؟  
- لا يا دكتور .. لم أكن أعرفها، لكنها من بلدة مجاورة لبلدتنا .. لقد أتيت بها من مقابر تلك القرية.

-إذا لا تعلم كيف ماتت !؟

- هذا أيضا لا أعلمه يادكتور .. لكن لو شئت، فمن الممكن أن آتيك بقصتها عن طريق بعض الأصدقاء من بلدتها .

زفر الدكتور نعيم من فمه سحابة من الدخان، وهز رأسه للجانبين رافضاً الفكرة، وهو يتمتم:

- كلا .. كلا.. لاداعى لهذا .. هذا لا يهم الآن .

ثم التفت إلى عم منصور، وقال وهو يهز كفه الممسك بعقب السيجارة الذى قارب على الزوال:

- عليك أن تبدأ الآن فى تجهيزها يامنصور، وسوف أرسل الدكتور شريف إلى هنا كى يساعدكم.

قالها، وألقى نظرة أخرى طويلة للجنة الراقدة أمامه تحت غطاءها البلاستيكى الملئ بالبقع، وهز كتفيه بحركة مبهمة، ثم غادر المشرحة دون أن يعقب.

لم يشعر عم منصور بالراحة، وكره أن يكون هو من يقوم بإعداد جثة الفتاة هذه .. ولأول مرة يشعر بأنه لا يجب أن يقوم بعمله الذى اعتاد عليه منذ أكثر من عشرة أعوام..

لكنه كان عمله الذى عليه أن يقوم به، تنهد للحظة، ثم أزاح غطاءها البلاستيكى عنها، ورمقها بتوتر قبل أن يبدأ فى تهيئتها.

(5)

فى هذا اليوم كان على عبد الدايم أن يبيت فى المشرحة، وفى تلك الأيام كان النظام المتبع، أن يبيت أحد عمال المشرحة فيها كل ليلة طالما هناك جثث بها .. لذا كان العمال يتناوبون المبيت فيها .. ظل هذا الأمر معمولاً به لسنوات طويلة، حتى انتهى الأمر بعم منصور إلى المكوث بالمشرحة بصورة دائمة، حينها انتهى نظام الدور مكتفين بوجود عم منصور..

كانت ليلة صيقية أخرى، وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً.. مازالت حرارة الجو مرتفعة، والرطوبة فى عنفوانها خانقة لا ترحم .. كان نهار ذلك اليوم شديد الحرارة، ويبدو أن هذا القيظ سيستمر هكذا طوال الليل..

خلع عبد الدايم جلبابه وصار بملابسه الداخلية .. أخذ يدندن بعض الأغاني النوبية، وهو يُعد لنفسه كوباً آخرًا من الشاي الثقيل .. انتهى منه، ثم خرج من المشرحة متجهاً نحو الحديقة الصغيرة الموجودة خلف المشرحة، متمسكاً فى فضائها المفتوح بعض النسومات الباردة ..

بدت السماء حالكة السواد صافية، وتناثرت فى أرجائها الكثير من النجوم دون أن يسطع قمرها .. إنه آخر يوم فى الشهر العربي فلا تنتظرن قمرا يافتى .. وجلس عبد الدايم على كرسي خشبي جلبه من قلب المشرحة .. وضعه فى منتصف الحديقة، وأخذ يرشف الشاي الساخن باستمتاع وتلذذ ، دون أن يلتفت إلى الناموس الصغير الذى يلسعه من حين لآخر .. هذه أشياء اعتاد عليها مذ كان فى بلاده أسفل الشلال، فلم تعد تؤرقه أو تثير انتباهه..

غاب فى تأمل السماء الصافية، وهو يتذكر الليالى النوبية الحارة، تذكر جلسات السمر الصيفيه الليلية حول الأخشاب المشتعلة التى كانوا يشوون

الذرة الخضراء في قلبها، وعادت لذاكرته الحكايات التي لاتنتهي عن الأجداد وبتولياتهم، وحكاياتهم عن القبائل الزنجية الهمجية القادمة من الجنوب، والتي طالما دارت بين قومه، وتلك القبائل المعارك العظيمة والتي كانت تنتهي في الغالب بانتصار قومه، ودحر الغزاة مرة أخرى نحو الجنوب ..

لقد ولّت أيام البطولات الحقيقة الى الأبد ولم يعد باقيا إلا الشتات. تذكر داره الطينية الصغيرة التي تلاشت هي وقريته كلها الآن؛ لأن بحيرة السد قد غمرت وأغرقت كل شيء خلفها .. لقد تم ترحيل أبناء النوبة إلى أماكن جديدة شمالاً .. لكن أى مكان، ومهما كان حلواً، لم يكن ليعوض أى منهم عن بلادهم السمراء الذهبية التي امتدت حكاياتها وجدورها لآلاف الأعوام. استغرق حيناً في تأملاته .. لكنه خرج منها حين لمح بطرف عينيه ظلاماً يتحرك خلف الباب الزجاجي للمشرحة.

نبض قلبه بقوة، ودون أن يشعر حبس أنفاسه في ترقب، وهو يتطلع إلى الظل البشرى الذى بدا واضحاً من انعكاسه من خلال الزجاج الداكن لباب المشرحة. كان ظلاً بشرى .. هذا مؤكد .. في البداية فكر أنه قد يكون أحد حراس أمن الكلية الذين يأتون أحياناً الى المشرحة، كى يسألونه دخاناً أو سكرًا، أو أى شيء آخر قد يكونون في حاجة إليه .. لكنه أدرك أن هذا الاحتمال غير ممكن .. فهو يجلس قبالة الباب، ولو جاء أحد من الخارج لراه أو سمع على الأقل صوت خطواته ..

إذن من يكون هذا؟ ومن أين جاء؟ وماذا يريد ؟ ..

كلها أسئلة حائرة تبحث عن إجابة ما ..

تحرك الظل فجأة للداخل، فحفف ريقه توتراً .. إذاً فهناك شخص ما بالفعل في المشرحة .. لم يكن يتوهم إذاً ..

لكن الشيء العجيب أن خطوات ذلك الشخص الغامض لم تصدر أى جلبة أو صوت .. كان بمفرده في هذه البقعة من الكلية، يحيط به الصمت التام والسكون، الذى لا يقطعه إلا بعض هسيس الحشرات ، وبعض الأصوات البعيدة للسيارات التى تمر عبر الطريق القائم خلف الكلية .. لذا فلو تحرك فأر صغير في هذا المكان، فسيسمع صوت خطواته بالتأكيد ..

لكنه بالفعل لم يسمع شيئاً، فكيف يتحرك ذلك الظل بكل تلك الخفة والسكون ..؟

ظل في مكانه للحظات لا يدري ماذا يفعل، قبل أن يقرر أن يدخل المشرحة ليرى من هناك ..

اتجه بخطوات مترددة نحو الداخل، ودلف الباب، وتطلع إلى الفناء الطويل والممتد أمامه حتى قاعة التشريح، والذى بدا خالياً مقبضاً تحت أضواء النيون البيضاء الباردة التى تنير المكان ..

كانت حجرته أول الحجرات التى قابلته .. دخلها وفحصها بعينه بسرعة، لكنها كانت فارغة .. والتقط عصا خشبية غليظة بيديه، كسلاح له لو واجه أحداً ما، وقرر أن يفتش المشرحة بأكملها ..

كانت الحجرة التالية هى الحجرة التى يتم إعداد الجثث بها .. المفترض أنها مغلقة بالمفتاح .. تأكد أنها كذلك، وقرر أن لا حاجة لفتحها وتفتيشها ..

اتجه بعد ذلك إلى قاعة المشرحة؛ حيث ترقد الجثث، وأضاءها فبدد الضوء الصادر من لمبات النيون ظلامها ووحشتها .. جالت عيناه القاعة الواسعة، والتى تناثرت في أرجائها المناضد الرخامية المخصصة لوضع الجثث، كان بعضها يحوى جثثاً والباقي فارغاً ..

كان كل شيء في مكانه .. أحصى الجثث بعينه بسرعة .. كانوا خمسة ..  
تطلع إلى جوانب المكان بسرعة مرة أخرى .. لكن القاعة بدت بريئة تماماً، كان  
من الصعب أن يخيبني أحد ما في القاعة دون أن يراه ..

كاد أن يعود أدراجه حين لاحظ شيئاً ما .. إحدى الجثث قد انحسر عنها  
غطاؤها .. توتر بعض الشيء .. إنه متأكد من أن جميع الجثث كانت مغطاة  
بغطائها البلاستيكي قبل قليل، فكيف صارت تلك الجثة عارية إذا ؟ ..  
واتجة ببطء نحو الجثة كي يغطيها مرة أخرى ..

هنا أطلق صرخة مكتومة دون أن يملك كتمها ..  
كانت جثة الفتاة الجديدة .. وكانت تحديق فيه بعيون لامعة مفتوحة باتساعها ..  
عيون حية لا أثر للموت فيها !!

وثب للخلف بفرع، وهو يصرخ مستنجداً بالله .. وأخذ قلبة يتراقص بملع في  
قفصه الصدري .. ما الذي يحدث هاهنا ؟

ظل متجمداً مكانه بإضطراب لا يدرى ماذا عليه أن يفعل .. قبل أن يحزم أمره  
محاوفاً تشجيع نفسه، وقال هامساً:

- لا بد أن شيئاً ما أدى إلى فتح عينها هكذا .. ربما هي عضلات وجهها قد  
انقبضت لتبيسها، ففتحت الجفون المغلقة .. لاداعي للهلع يا عبد الاديم، ولا  
تكونن جباناً هكذا كالأطفال .. لقد رأيت مثل هذا مراراً ..

ومد يديه بعدها نحو الجثة متحاشياً النظر إليها، أعاد الغطاء البلاستيكي إلى  
موضعه مغطياً إياها، ثم عاد إلى حجرته دون أن يطفى أضواء قاعة المشرحة كما  
كان يفعل في العادة ..

أحكم إغلاق باب حجرته عليه، بل ووجد نفسه يضع كرسياً خلف الباب، ويحشره بإحكام بين الأرضية ومقبض الباب، صانعاً عائقاً بدائياً لمن يفكر في فتح الباب أو اقتحامه من الخارج ..

لم يكن عبدالدايم من الجبناء .. فلا يستطيع أحد أن يدعى عليه شيئاً كهذا .. لكن هذه الحقيقة تنطبق على ما يعرفه .. لن يخاف من لص أو من رجل مهما بلغ من القوة، أو حتى ذئب أو حيوان مفترس ما ..

لكنه هذه المرة كان مضطرباً خائفاً .. كان يخاف مما يجهله .. ووجد عقلة يستعيد مئات القصص عن الجان والعفاريت والنداهات وغيرها .. تلك الحكايات المخيفة التي طالما سمعها في طفولته ببلاد النوبة .. فلم يشعر بالراحة ..

حاول أن ينام .. لكن الوصول للنوم كان صعباً .. كانت أذناه يقظتين منبهتين لأدنى صوت قد يصدر بالمشرحه .. لكن شيئاً لم يحدث ، وبعد ساعة كاملة داعب النوم أجفانه .. ودون أن يشعر راح في سبات عميق.

(6)

وقبل أن تبلغ عقارب الساعة الثالثة صباحاً استيقظ فجأة ..

كانت هناك خطوات خافتة تتردد في الردهة بالخارج !!  
في المعتاد لم يكن مرور قطار بجوار رأسه ليوقظه .. لكنه وجد نفسه مرة واحدة مستيقظاً .. ومرة أخرى تواب قلبه في قفصه الصدري مضطرباً .. أرهف السمع .. كانت هناك بالفعل خطوات يسمعها تتردد بالخارج، فشعر بالهلع ..  
كان قد أغلق باب المشرحة من الداخل قبل أن ينام .. وقد فتش المشرحة جيداً قبلها .. فمن يتحرك بالخارج إذا، وكيف دخل الى المشرحة؟! ..  
أليكون جانا أم عفريتاً لأحد الجثث؟! .. كان خاطراً مرعباً .. وتذكر أن المشرحة تحوى الآن جثتين لشخصين قد أعدما شنقا، ورفضت أسرتهما أن تتسلمهما ..  
هل يكون هذا أحد عقاريتهم؟ ..

أراد أن يهتف من هناك؟! .. لكن صوتاً لم يخرج من حنجرتة .. كان حلقه جافاً بشدة كرمال الصحراء في ظهيرة الصيف، فاكتفى بالنظر إلى الباب، دون أن يتحرك كأنما أنفاسه بقوة، كأنما يخشى أن يدرك من بالخارج وجوده من صوت أنفاسه ..

استمرت الخطوات في التردد خارج الحجرة لفترة طالت، حتى ظن أنها لن تتوقف، قبل أن تتوقف فجأة .. راح يتنفس ببطء شديد مترقباً أن تعود الخطوات الثقيلة مرة أخرى .. ومضى الوقت بطيئاً دون أن يتناهى لمسامعه أى صوت ..

هل ابتعد هذا الشيء؟! .. تمنى هذا، وهو يرتل في سره ماتسعهفه به ذاكرته من آيات القرآن الكريم .. ولما طال الصمت غادر الفراش ببطء، سائراً على أطراف

أصابه كى لا يحدث صوتاً، واتجه ببطء نحو باب الحجره، وانتظر لفترة متجمداً بجواره، ولما اطمن إلى استمرار الصمت اقترب من الباب بأذنه وأصقها به .. حينئذ وفي نفس اللحظة كان هناك صوت احتكاك بالباب من الخارج، كان الصوت يشبه صوت الخريشات التى تحدثها الأظافر على الخشب .. بعدها بدأت كف قوية تضرب الباب، كأنما هناك من يحاول أن يخترق الباب الخشبى، وتعالى فى نفس الوقت صوت حلقى مفزع، فى الردهة بالخارج، ذكره بالأصوات التى يصدرها الصم والبكم.

ارتد بعنف للخلف على الفور وعينه لاتغادر الباب المغلق، وأطلق صرخة عالية دون أن يشعر .. هذه المرة أفلتت دموعه، وثارت هواجسه، وصاح بفرع:  
-من هناك بالخارج؟! .. من هناك؟! .. تحدث أرجوك .. من الذى يتحرك?..  
زاده رعباً أن تحرك مقبض الباب ببطء، كأنما يريد الموجود بالخارج أن يفتحه .. اندفع نحو المقبض النحاسى، وتصلبت أصابعه عليه محاولاً منعه من الدوران .. فى الواقع لم يكن فى حاجة لهذا، ف الباب مغلق بإحكام بواسطة المقعد المثبت به .. لكن الرعب لم يترك فى عقله أى منطق للتفكير .. وظل يصرخ بلهجة نوبية مذعورة:

-ابتعد من هنا أرجوك .. بالله عليك ارحل .. ابتعد .. ابتعد.  
ومرت اللحظات بطنية ثقيلة، حتى ظن أنها الدهر كله، ثم هدأ كل شيء فجأة.. لم يعد هناك صوت الخريشات على الباب، ولا الصوت الحلقى المخيف .. توقف صوت الخطوات، لكنه مع ذلك ظل ممسكاً بالزلاج بكلتا يديه بإصرار وقوة، وهو يرفع صوته بآية الكرسي التى يتلوها، ويكررها عسى أن تدفع عنه شر من الخارج..

طال الصمت والسكون؛ فاطمئن قليلاً، ولم يعد يسمع إلا صوت أنفاسه  
اللاهثة، ابتعد عن الباب بحذر، وعاد بخطوات مرتجفة إلى الفراش وألقى بجسده  
عليه باعياء ..

رنت عيناه الى ساعة الحائط .. كانت تعلن الثالثة والنصف صباحاً .. مضت  
نصف الساعة منذ بدأ الرعب، ومازال أمامه أربع ساعات أخرى، على الأقل  
قبل أن يأتي أحد زملائه في الصباح إليه .. وقرر أنه لن يغادر مكانه هذا حتى  
الصباح مهما حدث ..

شعر بحاجة ماسة للتبول لكنه كتمها بأقصى مايمكنه .. لن يخرج حتى لو بال  
على نفسه .. وببطء راح يراقب عقارب الساعة التي راحت تتحرك ببطء شديد  
أمام عينيه المكدودتين ..

(7)

لم يدمر كيف ولا متى نام، ولكنه استيقظ على طرقات صاحبة دوت في عقله  
كقرع طول همجية في أحراش السافانا الإفريقية ..

في البداية ظن أن الشيء بالخارج قد عاد، فاختلج قلبه .. لكنه انتبه بعدها  
إلى صوت جمال الذى كان يصرخ منادياً باسمه .. انتقلت عيناه إلى النافذة  
الصغيرة أعلى الفراش، فلاحظ ضوء النهار المتسلل إلى الحجرة من خلالها،  
فأسرع إلى باب الحجرة ليفتحه.

أزاح الكرسي المثبت إلى مقبض الباب، ثم اتجه إلى باب المشرحة الخارجى  
وفتحه .. لكنه قبل أن يفعل، أرسل بصره إلى الردهة الطويلة، فطمأن أن لا  
أحد هناك ..

فتح الباب فوجد أمامه جمال ببدانته وعرقه الغارق فيه دائماً واقفاً يحمل  
إفطاره المكون من شطائر ملفوفة بورق الجرائد ..

وما إن رآه الأخير حتى صاح فيه بغضب مصطنع، وهو يدفعه جانباً ليدخل:  
- أين كنت كل هذا أيها الصعيدي الكسول .. إننى أطرق الباب منذ زمن  
حتى انقطعت أنفاسى .. ظننت أنك قد مت بالداخل ..

في العادة كان عبدالدايم يحتج عليه ويخبره أن ليس صعيدياً .. إنه نوبى، لكنه  
هذه المرة لم يهتم وقال له وهو يدعك عينيه المرهقتين بكلتا يديه :  
- كنت نائماً، ولم أسمع صوت الطرقات إلا الآن ..

- كل هذه الطرقات لم تسمعها .. أنت تمزح حقاً يارجل .. لقد ظللت أطرق  
الباب حتى خشيت أن يستقيظ الموتى بالداخل، وأن أجد أحدهم هو من يفتح  
لى الباب محتجاً على إيقاده .

لم يعقب عبدالدايم، واتجه جمال إلى حجرته ليتناول الإفطار مع الشاي .. هذه هي الطقوس اليومية له، والتي يحرص على ألا يكسرها منذ عمله بالمشرحة، ولهذا اعتاد أن ياتي كل يوم للعمل قبل مواعده بقليل، كي يتناول إفطاره بجدوء، دون أن يطالبه أحد ما بأى عمل ..

فتح لفافات الشطائر داعياً عبدالدايم الى مشاركته الإفطار .. لكن الأخير كان قد فقد شهيته للطعام، فأزاح جانباً اللفافة التي ناوله إياها جمال، دون أن يقربها. تساءل جمال بدهشة، وهو يلاحظ مافعله باللفافة، إن كان مريضاً إلا أنه أسرع مجيباً :

-إننى أشعر ببعض الصداع .. لكنه حتماً سيزول بعد قليل، لا تقلق بشأنى. وتذكر مثانته الممتلئة عن آخرها والتي يمسكها بالكاد، فراحت تصرخ فيه محتجة ومنذرة بالفيضان القادم، فأسرع إلى الحمام ..

وحين عاد كان هناك عم منصور، الذى جلس على طرف الفراش وتناول هو الآخر شطيرة من جمال، وأخذ يأكلها بشهية .. حياه وجلس بجواره صامتاً، شاردًا..

لاحظ عم منصور توتره وشحوب وجهه، فسأله عما به، فأجابه نفس الإجابة المبهمة التى أجبها لجمال .. كان جمال قد انتهى من إفطارة فحمل إناء الشاي، واتجه به للخارج ليغسله ويملأه بالماء، راقبه عبدالدايم حتى اختفى، ثم انحنى نحو عم منصور، وقال هامساً :

-هناك ما أريد أن أخبرك به ياعم منصور.

دارت رأس عم منصور ناحيته، ورمقه بعين أزدادت جحوظا من الدهشة، متفحصاً، وهو يتلع ماتبقى من شطيرته، ثم قال باهتمام:

-هل حدث لك مكروه ما يا ولد ؟

- ليس أمام جمال .. دعنا نتحدث بالداخل.

قالتا عبدالدايم، وعيناه ترقبان باب الحجرة، فتطلع إليه عم منصور بشيء من الدهشة، وإن لم يعقب حين تعالى صوت جمال القادم نحوهم .. فصاح عم منصور به، وهو ينهض :

- اهتم أنت بالشأى يا جمال؛ ريثما أحضر بعض الأشياء من الداخل.  
قالتا والتفتا الى عبدالدايم، وسحبته ببساطة من يديه قائلاً :  
- تعال معى لتساعدنى يا عبدالدايم.

واتجهتا بخطوات سريعة إلى داخل المشرحة .. واسترق عبدالدايم النظر إلى جثة الفتاة، متوقفاً ألا يجد غطاءها عليها كما حدث بالأمس، لكن الجثة كانت تحت غطائها ساكنة بريئة .. توقفا عند حجرة صغيرة تلى قاعة المشرحة، حيث اعتادا أن يحفظوا بعض أجزاء الجثث بداخلها .. كانت رائحة الفورمالين بها عنيفة للغاية، الا أنهما كانا قد اعتادا عليها فلم يهتما، والتفتا عم منصور إلى عبد الدايم قائلاً :

-والآن أخبرنى ماذا بك؟ أرى أنك لست على مايرام اليوم .. ما الذى هناك ياولد ؟

ازدرد عبدالدايم لعابه ببطء، وصمت للحظة كأنما يدير الأمر بعقله .. وعينا عم منصور ترقبه، قبل أن يقص عليه ماحدث له بالأمس .  
نظر إليه عم منصور بذهول .. كان ما يسمعه الآن لم يحدث بالمشرحة من قبل .. كان قد أمضى عشرة أعوام بالمشرحة، رأى خلالها الكثير من الأشياء الغريبة، ولكن كانت هذه أول مرة يحدث فيها أن يهاجم شيء ما أو شخص ما أحداً بالمشرحة ليلاً ..

طال صمته وشروده، فقال عبدالدايم متوتراً، وهو يتطلع الى عينيه الجاحظتين،  
والتي انعكست عليهما الحيرة :

-ألا تصدقني يا عم منصور .. أقسم بالله أننى لا أكذب، وأن ما قصصته قد  
حدث و ..

هنا قاطعه عم منصور بسرعة، وهو يلوح بكفه الضخم فى الهواء، مانعاً إياه من  
من إكمال قسمه :

-بالطبع أصدقك يا ولد .. لو كنت متولى لظننت أنها تمثيلية يقصها لهدف  
ما.. ولو كان جمال لظننت أن هذا تأثير الحشيش الذى يتناوله، أما أنت فإننى  
أثق بك، وبما تقوله، وما دمت قد رأيت هذا، فلا بد أنه قد حدث فعلاً، وهذا  
ما يحيرنى ويقلقنى.

وتنهذ عبدالدايم بارتياح، فقد خشى ألا يصدقه عم منصور، أو أن يتهمه  
باختلاق هذه الأحداث، أو توهمها على الأقل، ولهذا فقد أحجم أن يقص  
ماحدث له لجمال .. كان يريد أن يحكى لعم منصور أولاً؛ لأنه توقع أن يصدقه،  
وقد صدق تخمينه فلم يكذبه الرجل .. ولأنه يرغب فى رأيه.

وانتبه إلى عم منصور الذى قال له، وهو يشعل سيجارة بعصبية:

-إن ماتقوله خطير ومحير .. وأنت أيضاً تجزم أنك قد فتشت المشرحة ، ولم تجد بها أحد  
ما قبل أن تنام .. إذا فمن الذى هاجمك ؟..وكيف دخل إلى المشرحة المغلقة؟..  
وماذا كان يريد منك ؟.. إن ما حدث لك بالأمس لم يحدث هاهنا من قبل !..  
غمغم عبدالدايم بحيرة وقلق:

-أنا لا أعلم ما الذى واجهته بالضبط .. لقد بدا ظله من خلف الباب بشرياً  
تماماً .. لكننى فتشت المشرحة بأكملها فلم أجد أحداً بها .. لقد كدت أموت

فزعاً، حين هاجم ذلك الشيء حجرتنا في منتصف الليل .. إنه لم يتكلم، وظل يصدر تلك الأصوات المخيفة، التي أزعجتني حتى الموت، وهو يحاول اقتحام الحجرة .. لقد انتظرتك؛ لأنني ظننت أنك ربما تملك تفسيراً ما لما حدث معي. ضحك عم منصور ضحكة متوترةً، وهز يده الممسكة بالسيجارة المشتعلة لينفض منها بعض الرماد وأجاب :

-ولماذا تظن أنني أملك تفسيراً ما .. إنني لأرغب في إخافتك، لكن ماتقوله يوحى بأفعال (بسم الله الرحمن الرحيم) الجان والعمارة . ارتجف عبدالدايم على الفور، حين ذكر الجان، فقام هو الآخر بالبسملة، وهمس بخفوت، ودقات قلبه تدق بعنف، وبلا إنقطاع:  
-هل تظن حقاً أن من هاجمني بالأمس قد يكون جاناً أو عفريتاً .. رحماك يالله.. لقد بدأت أشعر بالرعب من المشرحة .. علينا أن نفعل شيئاً ما، لنعرف ما يحدث هاهنا .. ألن نفعل يا عم منصور ..؟

-وماذا تقترح أن نفعل؟! .. لاشيء يمكننا أن نفعله الآن، فلو قصصنا الامر على أحد ما فلن يصدقنا .. لذا عليك أن تلزم الصمت، ولا تخبر جمال أو متولى بما شاهدته .. في الغالب قد تأتي هذه الأشياء وتنتهي فجأة .. فقط لا داعي لأن تثير الفزع بإخبار الجميع .. فطالما لم يقع أى ضرر أو مكروه لك، فمن الأفضل أن نحتفظ بما حدث داخل صدورنا، وأن ندعو الله ألا يتكرر الأمر ثانية.

ثم ألقى بعقب سيجارته التي أهاها على الأرض وسحقها بجذائه العتيق بقوة، كأنما يسحق معها هواجسه، ثم رفع رأسه نحو عبدالدايم، ووضع كفه الضخم على كتفه، وقال باشفاق :

- أرى أن عليك أن تستريح اليوم من العمل .. عد للبيت وأخلد للنوم فوراً، وحاول أن تنسى ماحدث، وفي الصباح سيكون كل شيء على مايرام إن شاء الله

شعر عبدالدايم بالامتنان له مرة أخرى .. كان عم منصور في عمر أبيه الراحل تقريباً، ومنذ عمل عبدالدايم بالمشرحه، راح يعامل عم منصور كأب له، والأخير يعامله كابن له .. ومع توالى الأيام نمت تلك العاطفة بينهما وتأججت .. وكل مرة يختبر فيها تلك العاطفة يتأكد من وجودها.

وهاهو الآن يشعر بتلك العاطفة الأبوية المريحة، وهو يرى النظرات المشفقة في عيني عم منصور، التي يرمقه بها .. تمنى أن يحتضنه، وأن يخبره بما في قلبه .. لكنه لم يفعل .. فقط اكتفى بنظرات الامتنان وشكره، ثم انصرف، تاركاً عم منصور يقلب أفكاره، مفكراً في ماحدث .

(8)

وفي المساء اتجه جمال للمشرحة كى يبيت فيها .. كان هذا من أيام الأسبوع الممتعة له .. اليوم لن يكون مضطراً لأن يمكث طوال الليل بجوار جمالات زوجته.

ويا لها من ليلة سعيدة إذا تستحق الإحتفال بها!  
كان أحماً غيباً حين تزوجها، هكذا إعتاد أن يتحدث عن نفسه .. وهاهو يدفع في كل يوم ثمن حماقته تلك طوال ثمانية أعوام؛ هى عمر زواجه بها .. قبل زواجه سمع الكثير عن الزواج ومتاعبه ومشاكله، وتبارى رفاقة الذين صارت المقهى ملجأهم الدائم بعد العمل. هرباً من الزوجة والعيال فى قص الحكايات والأحوال التى لاقوها فى زواجهم .. كانوا يتحدثون إليه عن الحميم الذى بانتظارهم دوماً بالبيت، لكنه لم يصدقهم حينها أبداً، ليس لأنه أريب .. لكن لأنه حمار، وبإذنين طويلتين .. فهكذا كان يرى نفسه.

كان يرى أنهم بيالغون فى قصصهم هذا حتماً .. وكان يعجب من قولهم أن الزواج لاتستمر حلاوته أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر على الأكثر ، إلى أن تبدأ بطن الزوجة فى الاستدارة، معلنةً عمن ينمو بداخلها .. حينها تنتهى حلاوته ولذته، لتبدأ متاعبه ومعاناته ..

فهناك الحمل، وما أدراك كيف تتعامل النساء معه كأعجوبة تستحق الكثير من الاهتمام والرعاية من الزوج .. ستبدأ زيارات لاتنتهى للأطباء، حيث تضطر فيها لانتظار دورك أحياناً لساعات طويلة .. وهناك أتعاب الطبيب، والوصفة الطبية التى تلتهم فى كل مرة جزءاً لأبأس به من راتبك .. عليك أيها الرجل الصغير أن تحتمل كل هذا صابراً آملاً ، أن ينتهى كل هذا الهراء بعد الولادة ..

كانوا يببالغون بلاشك ويهزلون .. هكذا كان يحدث نفسه، ومازالوا يحدثونه عن متاعبهم بعد ولادة الأطفال .. كانوا يقولون له بعد أن تسيح عقولهم في كون آخر، بفعل الحشيش والدخان والبيرة أحياناً ..

-ستدرك يا جمال كم كنت مغفلاً حين ظننت أن الولادة ستكون هي النهاية .. فبعد الولادة صار عليك أن تتواري .. فقد جاء من سيصير جل اهتمام زوجتك للأبد .. وستتحول أنت بعدها لأبي العيال، وهذا ليس تشریفاً لو كنت حصيفاً .. بل يعنى أن تعمل وتعمل كالحمار بالتوقف؛ كي توفر لهم ما يحتاجونه.. وما يحتاجونه لا ينتهى أبداً.

عليك أن تتنازل عن رفاهيات كثيرة اعتدت عليها؛ لأن البيت صار أولى بكل قرش في جيبيك .. ولا تنتظر في المقابل أن توليك زوجتك اهتماماً خاصاً؛ تقديراً لما تقدمه، وماتنازلت عنه .. فالإسطوانة موجودة تجيد أبجدياتها كل النساء .. ستتكد عليك حياتك، وستندب حظها لزواجها ممن لايرحم .. ستصرخ دوماً في وجهك:(إنت عليّ والعيال) .. طبعاً مع الوقت ستعود على كل هذا، وستتعلم الهروب .. ولن تعدم حينها مقهى ما، تجلس فيها كغيرك هرباً من هذا المحيم .. صورة قائمة بها الكثير من السوداوية .. هكذا كان جمال يفكر قبل أن يتزوج الطعام !!... العشق الأول والأخير لقلبه! ..

فقط أريدها تجيد الطهى .. وحينها ستكون الحياة مبهجةً بحق .. وحين خطب جمالات كان الكثيرون يتحدثون عن براعتها في الطهى .. كانت أكذوبة استطاعت أمها نشرها في محيطها لإقناع أحد المغفلين، بأن يدق باب بيتها لخطبة ابنتها جمالات .. وكان جمال ذلك المغفل كما يحلو له أن يقول عن نفسه .. بالطبع وبعد الزواج اكتشف أن أطنان الطعام الشهى، التي التهمها

أثناء الخطوبة؛ والتي زعمت حماته أن جمالات هي من قامت بإعدادها، كانت حماته هي التي تطهوه في الواقع..

إكتشف أن جمالات لا تحب الطهي على الإطلاق، ولا نفس لها في الطعام .. والأكثر إبهاماً أنها كانت من هواة النكد طوال الوقت، وكانت كذلك سليطة اللسان، ولا تتورع عن سبه أمام الجميع .. كانت زوجة تفوح بالبهجة بحق! .. ويا لها من بهجة! ..

وكان من الممكن أن يطلقها لولا الأولاد .. فقد كانت، وكالعاده قد أجادت اللعبة الأزلية لجميع السيدات، فقيدته بما بأن أنجبت منه أربعة أطفال في أربعة أعوام متتالية .. هكذا صار الانفصال عنها مستحيلاً، وتحول أضحى المقعد الذى اتخذته في أحد زوايا المقهى بأول الشارع الذى يقطن فيه، حلاً لا بأس به للهروب منها، ومن سلاطة لسانها ..

كان يظل بالمقهى كل يوم حتى بعد منتصف الليل، إلى أن يطمئن أنها قد نامت، فيعود الى البيت، ليرقد بجوارها في صمت؛ سائلاً الله ألا يوقظها شيء .. ويظل يرقب شخيرها وتنفسها الثقيل مفكراً إن كان عليه أن يضع على وجهها وسادة ما، ويجلس فوقها ليرتاح منها .. كانت أفكاراً، لكنها ممتعة .. وتمنى لو كان أقل جبناً ليتمكن من تنفيذها.

لهذا كانت الأيام التى يبيت فيها بالمشرحة من الأيام التى يحبها .. إنها بضع ساعات من الليل، لا يفعل فيها غير النوم الأكل، ليتسلم في المقابل أجراً لا بأس به آخر الشهر .. كان هذا مريحاً.

وكان يعد نفسه لهذا اليوم .. يحضر معه الكثير من الطعام، وكذلك الراديو الصغير الذى يجلبه من البيت ليؤنسه .. ولا بأس أحياناً بقرش حشيش أو زجاجة

من البيرة .. أشياء لن يعلم بها أحد، لأنه يخفى آثارها في الصباح قبل أن يأتي الجميع، لكنها تؤنس وحدته ..

في هذه الليلة تناول عشاءه، وأعد بعدها كوباً من الشاي، ولف سيجارة محشوة بالحشيش، ثم خرج بعدها الى الباحة الخلفية للمشرحة حيث الحديقة الصغيرة .. وحرص قبل خروجه على رفع صوت المذياع حتى يصل إلى مسامعه.. جلس على الكرسي الخشبي ، وراح يرشف الشاي، والسيجارة معا باستمتاع، وهو يتأمل السماء المظلمة من فوقه بنجومها اللامعة، شاعراً برضا شديد عن نفسه ..

وتعالى صوت أم كلثوم في المذياع :

"ياحبيبي .. الليل وسماه ونجومه وقمره .. قمره وسهره .. وأنت وأنا .. يا حبيبي أنا ..  
يا حياتي أنا .. كلنا في الحب سوا .. والهوا .. آه منه الهوا .. سهران الهوا .. يسقينا  
الهنا"

شعر بانتشاء يدغدغ مشاعره؛ كأنما تغنى الست الآن من أجله هو ، وصاح  
بجدل :

-الله .. الله عليك ياست ..

الحياة أحياناً تكون جميلةً بحق .. من قال غير هذا؟! .. هكذا فكر.  
وحانت منه بعد حين التفاتة نحو باب المشرحة، فرأى أن هناك من يقف خلفه  
متوارياً خلف الزجاج الملون ..

ظل بشري واضح من خلف الباب الزجاجي !..  
تدلى فكه الأسفل في بلاهة، واختلج قلبه .. أغمض عينيه للحظة ، ودعكهما  
بشدة، ولما فتحهما اختفى ذلك الظل الغريب .. ومرت دقائق ثقيلة من الترقب

قبل أن يسكن اضطرابه، وراح يفكر .. إنه تأثير الحشيش الذى شربه الآن ..  
لاشك فى هذا .. إنه الحشيش بلاريب !..

وأخذ يختلس النظرات إلى الباب بشك من حين لآخر، لكنه لم يلحظ أى  
شيء غير طبيعى .. وبعد قليل تناسى الأمر باعتباره أوهام اختلقها عقله بتأثير  
الحشيش .. ومرة أخرى تعالى صوته مردداً خلف أم كلثوم:

"ياحبيبى .. يلا نعيش فى عيون الليل .. ونقول للشمس .. تعالى تعالى .. بعد  
سنة .. مش قبل سنة .. دى ليلة حب حلوة .. بألف ليلة وليلة.."  
هنا شعر بالحاجة لقضاء الحاجة، فقام بتناقل متجهاً للحمام.

وحين دخل المشرحة لاحظ أن قاعة التشريح صارت مضاعة .. لا يذكر أنه  
دخل هناك، أو أنه أضاع مصابيحها .. لكنه طرح هذا جانباً، ودلف إلى الحمام  
حيث قضى حاجته .. وعندما خرج اتجه إلى القاعة ليغلق النور .. لكنه قبل أن  
يفعل تطلع لحظة إلى الجثث الراقدة على مناضدها ..

كانت إحدى هذه الجثث دون غطاء .. واتجه إليها ببطء دون أن يعير الأمر  
اهتماماً .. ربما عمل أحد الأطباء عليها، ونسى تغطيتها .. وحين وصل إلى الجثة  
وجدها جثة الفتاة وهي ترمقه بعينين، متسعتين براقنتين، ورأى بسمة ما ترتسم  
على شفيتها، بدت وكأن الحياة قد عادت لها، وإنما قد تصرخ فى وجهه بعد  
قليل ..

اضطرب قلبه بشدة، وغامت الدنيا فى عينيه ، وترنحت قدماه، حتى كاد أن  
يسقط، فأمسك بسرعة بقائم حديدي، بجواره كى لا يقع ..  
لا يجب أن يفقد الوعي الآن .. هكذا حدّث نفسه ..

يجب ان اخرج من هنا ..

و غادر المشرحة مترنحاً، دون أن يلتفت إلى جثة الفتاة مرة أخرى، أو يغطيها ..  
وما إن وصل إلى حجرته حتى غير مؤشر الراديو الصغير إلى إذاعة القرآن الكريم،  
وتعالى صوت الشيخ المنشاوي بآيات كان يتلوها من صورة البقرة، وبعد حين  
هدأ روعه قليلاً..

استلقى بعدها على الفراش، دون أن يفارقه اضطرابه، ودون أن تختفى من  
خياله عينا الفتاة البراقطين وبسمتها المخيفه .. إنها ميتة ولا بد أنه يتوهم ما رآه ..  
وراح يحاول أن يقنع عقله بهذا.

دوما تشعره هذه الجثة منذ رآها أول مرة بالتوتر .. وكان يشعر بخوف مبهم  
حين ينظر إليها، أو يسير بجوارها .. لم يدر سر هذا، وإن لم يبح بهذا لأحد ..  
حاول أن يتشاغل بشيء آخر ، كى لا يفكر بالعينين اللتين كانتا تحدقان فيه  
بشبات، لكنه فشل ..

لكنه بعد حين شعر بخدر لذيذ يغزو عقله تدريجياً ، ورويداً رويداً غلبه  
النعاس، فنام وتعالى شخيره صاخباً.و  
في الثالثة صباحاً وجد نفسه مستيقظاً منتبهاً، ونيران هائلة تستعر في أحشائه..  
كان العرق الغزير يجتشد الأن على جسده، حتى كاد أن يغرقه، وكانت أنفاسه  
مضطربة لاهثة ..

وكان هناك من يطرق الباب !

كان أبلهاً بالتأكيد .. لأنه فعل أشياء كثيرةً شديدة الحماسة في الواقع.  
أولها- أنه نسي حذره .. فحين تكون بمفردك في المشرحة، وتعلم أنه لا أحد  
غيرك بها، ثم تسمع طرقات بعد منتصف الليل بباب حجرتك الداخلي، فعليك  
حينها أن تتوتر أو تفزع، أو حتى تترث قبل أن تقدم على فعل أى شيء ..  
لكنه لم يفعل أى من تلك الخيارات ..

ثانياً - عندما تشم هذه الرائحة العطرية المثيرة، تفوح بشدة من خلال الباب،  
وتماًلاً فتحق أنفك متسللة بيسر نحو عقلك لتخدره، فعليك أن تنتبه .. إن هذا  
عطر أنثوي مثير، لو كان يفهم في الروائح الأنثوية ..  
لكنه لم يكن يفهم فيها كثيراً، فزوجته جمالات حين ترغب في التعطر من أجله،  
كانت تصب على جسدها الكيروسين أو الخل .. فمن أين له أن يميز الفارق ..  
ثالثاً - وحين تسأل عن من يطرق الباب، دون أن يكون الجواب أكثر من  
همهمات الغامضة، وأصوات خافتة غير مفهومة، فعليك أن تكون أكثر حيطةً  
وتعقلاً، ولا تفتح الباب أبداً، إلا بعد أن تطمئن وتعلم من الطارق ..  
لكنه لم يفعل شيء مما سبق، وكان أرعنا، ففتح الباب بلا تفكير ..  
وبالتأكيد لم يدر ما حدث له بعد ذلك .. وآخر ما شعر به كان العطر الأنثوي  
القوى .. وبعدها لا شيء !!

(9)

**بالطبع** ماحدث بعدها كان عجيبياً .. في الصباح كان عبدالدايم أول من وصل، ليجد أن باب المشرحة مغلقاً من الداخل .. نادى جمال فلم يرد عليه .. تذكر ماحدث له بالأمس فتداعت آلاف الأفكار السوداء أمام عينيه، فأخذ يطرق باب المشرحة بعنف وتوتر .. لكن دون مجيب .. تسمر بمكانه ، ولم يدر ماذا يفعل؟! .. هل يكسر الباب؟! ..

لكنه خشى أن يكون نوم جمال الثقيل، والذي اشتهر به، هو مايمنعه من فتح الباب، حينها سيكون كسر الباب ضرباً من الحماقة، ولن تجدى تبريراته حينها ..

لكن الاحتمال الآخر المخيف، أن يكون مكروهاً ما قد حدث لجمال بالداخل .. وربما كان في حاجة للمساعدة الآن .. كان عليه أن يفعل شيئاً ما .. عليه ان يفكر بسرعة، ويقرر ما ينبغي عليه فعله ..

لم يصل عقله لقرار .. لذا استمر في طرق الباب بضربات قوية للغاية ، وارتفع صوته عالياً منادياً جمال عسى أن يجيبه ويستيقظ لو كان نائماً .. وما من مجيب لندائه ..

ومضى بعض الوقت وأتى متولى، الذى بادر بتعجب وصوت الطرقات تدوى صاحبة في ممرات الكلية الفارغة من الطلاب في تلك الساعات المبكرة من الصباح :

-لماذا تصرخ وتطرق الباب هكذا؟! .. إننى أسمع طرقاتك وصراخك هذا منذ دخلت من باب الكلية حتى هنا .. ماذا حدث يا رجل؟! ..

- جمال بالداخل ولا يرد .. أخشى أن يكون مكروهاً ما قد أصابه.  
-وماذا في هذا ؟.. ربما كان يغط في نومه العميق كعادته، وربما شرب الكثير من الحشيش بالأمس .. أنت تعلم أنه يتناول هذه الأشياء اللعينة، وربما أسكرته وسلبته وعيه .. إنه خرتيت لن يؤذيه أى شيء فلا تقلق .. هيا إبتعد عن الباب، ودعى أجرب حظى ..

قالها، والتفت إلى الباب بعد أن تنحى عبدالدايم جانبا، وأخذ يطرقه بقوة، ويصيح بأعلى صوته على جمال منادياً، لكنه لم يكن أكثر حظاً من رفيقه، فلم يجيبه غير الصمت، وقال عبدالدايم متوتراً بعد دقائق:

-أرى أن نكسر الباب الآن .. إن هذا كثير ، ولا بد أن مكروهاً ما قد أصابه بالداخل .. مستحيل أن يظل نائماً بعد كل هذه الضوضاء التي قمنا بها .. ورفض متولى إقتراحه بلا تفكير، و قال معترضاً على الفور :

-إياك أن تفعل .. ربما سبب لنا هذا بعض المشاكل مع رئيس القسم ، أنت تدرى كم هو عنيف وعصبى، ولسنا بحاجة لمواجهته .. أرى أن ننتظر قليلاً، ونفكر في حل آخر .

ولم يكذب قولها، حتى ظهر عم منصور قادمًا من بعيد، يسبقه دخان سيجارته .. حياهم، وهو يرمقهم بدهشة، وقال متعجباً:

-لماذا تقفون هكذا ؟..هل حدث شئ ما؟..

وأجابه متولى بسرعة، وهو يشير لباب المشرحة:

-إن جمال بالداخل، و لايستجيب لندائنا ولا لطرقتنا على الباب .. يبدو أنه قد أفرط في شرب الحشيش بالأمس .. لا بد أنه قد فعل هذا.

هنا تبادل عم منصور مع عبدالدايم نظرة قلقة ذات معنى، وقد تبادل إلى ذهنه  
ماحدث لعبدالدايم بالأمس، فأخذ يطرق هو الآخر الباب بشدة، منادياً على  
جمال في نفس الوقت، ولكن مرة أخرى أجابه الصمت ..  
في النهاية توقف يائساً، والتفت إليهما، وقال بتوتر:  
- إنه بالفعل لايرد، أياكون مكروهاً ما قد أصابه ؟.. ماذا تقترحون أن نفعل؟ ..  
هيا أخبروني !.

-أرى أن نخطم الباب .. هذا هو الحل الوحيد.  
أجابه عبدالدايم .. وفكر للحظة ثم وافقه مغمغماً:  
-يبدو أنه لا مفر من القيام بهذا .. دعونا نفعل.  
إلا أن متولى أسرع مرة أخرى يقول معترضاً:  
-أرى ألا تتسرع في فعل ما، وأن ننتظر قدوم أحد الأطباء من القسم ليقرر  
هو ماعلينا أن نقوم به، حتى لا تكون هناك مشكلة ما مع الدكتور نعيم.  
-يا أحمق إن جمال بالدخل لا يرد، ولا ندرى ما أصابه، وأنت تطالبنا ألا  
نفعل شيئاً، فقط لأنك تخشى الدكتور نعيم .. اصمت بالله عليك وإبتلع  
لسانك، والا حطمت رأسك قبل الباب، سوف نفتح هذا الباب اللعين مهما  
كانت العواقب.

قالها عم منصور بحزم وتوتر وبصره معلق بالباب المغلق .. وفجأة قال  
عبدالدايم، وحل ما يرتسم في مخيلته:  
-نافذة الحمام الخلفية.  
التفت إليه الاثنان، فأكمل بحماس:  
-يمكنني أن أدخل خلالها .. إنها صغيرة، ولكنني أستطيع أن أحشر جسدي  
خلالها .

كانت فكرة جيدة، فقال له عم منصور بأمل:

- إذا أسرع يارجل وافعلها يا ولد .. الرجل لا يريد ولا ندرى ما اصابه بالداخل ..  
اختفى عبدالدايم من أمامهم، فانظر الاثنان بتربق أن يفتح الباب ، ولم يمض  
أكثر من ثلاث دقائق حتى كان عبدالدايم يفتح لهما الباب من الداخل، فدلفوا  
المشرفة مسرعين .. لم يجدوا جمال بالغرفة .. كان بابها مفتوحاً، لكن لا أثر له ..  
اتجهوا إلى قاعة التشريح، لكنه لم يكن هناك أيضا .. وقال عم منصور بتوتر،  
وهو يتلفت حوله ، وعيناه تجوبان المكان:

- أين تراه قد ذهب ذلك الأحمق .. لا أثر له في كل مكان، وهو لم يتبخر  
بالتأكيد، إذا أين يكون؟! ..

وانتبه متولى لشيء ما، وهو ينظر إلى المناضد التي ترقد عليها الجثث، فقال  
ببطء وحذر:

- كم عدد الجثث بالمشرفة ؟

أجابه عم منصور ، وهو ينظر إليه بدهشة:

-إنها خمس .. لماذا تسأل؟! ..

أشار متولى بيد مرتعشة إلى المناضد التي رقدت عليها الجثث، وقال بصوت  
مخنوق :

-لكن الجثث ها هنا ست ..

وتحولت أبصارهم على الفور إلى المناضد التي تحوى جثثا مغطاة لتحصيتها ..  
كانت ستاً بالفعل .. اضطربت قلوبهم بشدة، وشعر عم منصور بالحمض الحارق  
يتصاعد إلى فمه، ليملاً أنفه برائحته النفاذة، وهاجس مخيف يلح على عقله ..  
أىكون جثمان جمال هو الجثة الجديدة السادسة؟! ..

تجمدوا في أماكنهم للحظة ،دون أن يفعلوا أى شيء، إلا أن عم منصور أخرج نفسه بسرعة من جموده، وهتف فيهم، وهو يتجه إلى أقرب منصدة منه ليفحصها :

-لا تقفوا هكذا كالأصنام .. تحركوا وافحصوا كل منصدة، لنرى من أين أتت الجثة السادسة.

واندفع كل منهم إلى أقرب منصدة منه، وكشف غطاءها، ولم يكن بها غير الجثث القديمة، فاتجهوا الى الصف الثاني ...

كان جمال راقداً بالمنصدة الأخيرة، وكان متولى من وجده، فأخذ يصرخ برعب حين كشف الغطاء، لتضطدم عيناه بوجه جمال الشاحب ..

أسرع نحوه الاثنان، وكشفوا باقى الغطاء عن زميلهم، وصاح عبد الدايم بملج :  
-يا إلهي .. هل مات ؟!

لاحظ عم منصور أن صدره يعلو ويهبط ببطء ،فقال وهو يحيط جسده بذراعه ليحمله :

-إنه مازال يتنفس .. لا تتسمروا هكذا .. هيا ساعدوني لنخرجه من هنا.  
أسرعوا بحمله، واتجهوا الى حجرتهم، فأرقدوه على الفراش، وأخذ عم منصور يضربه ضربات قوية على جبهته وخديه ليفيق، وهو ينادى عليه .. إلا أنه لم يستجب .. كان أسيراً لغيوبة عميقة تقاوم بإصرار محاولات إخراجه من سيطرتها .. فهتف عبد الدايم بقلق :

-ألا يجب أن نذهب به إلى طوارئ المستشفى ليسعفوه؟.  
كاد عم منصور أن يجيبه بالموافقة، لولا أن ارتفع صوت من خلفهم متسائلاً:  
-من الذى تريدون أن تذهبوا به إلى المستشفى ؟. هل أصيب أحد ما هنا ؟..

كان الدكتور حاتم أحد المعيدين بالقسم هو الذى يسأل .. وأجابه عم منصور بلهفة، وهو يشير بيده نحو جسد جمال الساكن أمامهم:

-أنجدنا يا دكتور .. لقد وجدنا جمال فاقدًا لوعيه هاهنا، وهو لا يستجيب لمحاولتنا لإفاقته ..

واندفع الدكتور حاتم نحو الجسد الهامد، وبدأ على الفور فى إفاقته .. تحسس أوردته فلاحظ نبضه السريع الضعيف وتنفسه الثقيل .. فتح مقلتيه، متأملاً بؤبؤ العين للحظة .. بدا متسعاً ، فقال بحيرة:

-ليأتنى أحدكم بجهاز الضغط والسماعة من الحجره الأخرى..  
خرج عبدالدايم ليجلب ما طلبه، وعاد بهما فى أقل من الدقيقة .. فتناولهما الدكتور حاتم منه، وأكمل فحصه، وعيونهم معلقة به بترقب وقلق ..

كانت نتيجة فحصه سلبية .. لم يجد خللاً عضوياً يفسر تلك الغيبويه .. لذا فقد أخذ يضغط على جبهته، وصدغيه ضغوطات مؤلمة حاثاً مراكز الألم فى مخه على تنشيط جهازه العصبى كى يفيق، وهو يردد قائلاً:

-هيا يارجل .. كفى دلعاً، واستيقظ .. إن كل شئ بك على مايرام.  
ومضت لحظات من الترقب قبل أن يسعل جمال .. فتح عينيه بوهن ، وراح ينظر إليهم بتوتر وحيرة، محاولاً استيعاب ما يجرى حوله، ثم قال بدهشة حقيقية:  
-ماذا يحدث هاهنا؟! .. ولماذا ترمقوننى هكذا؟! ..!

ماذا هناك يا عم منصور؟! ..  
لكن أحداً منهم لم يجبه .. فقد أجمهم القلق وأخرسهم.

(10)

وبعد أقل من الساعه علم كل من بالمشرحه ماحدث لجمال، فأرسل إليه الدكتور نعيم ليخبره الحقيقة .. ذهب إليه ومعه عم منصور ، هناك أخبره جمال ماحدث له بالأمس .. لم يخف شيئاً، لأن حيرته وخوفه كانا هائلين ..  
حكى له عن الظل الذى ظن أنه شاهده ، وأخبره ببحثه الفتاة المفتوحة العينين،  
والتي ثبتت نظراتها عليه، وكانت تبسم له .. وأخيراً تلك الطرقات التى سمعها  
بعد أن نام، وكان آخر ما يتذكره هو فتح الباب .. أما بعد ذلك فهذا ما لا  
يذكره ..

رقمه الدكتور نعيم بشي من الشك والريبه، قبل أن يعود بمقعده للخلف، وراح  
يمج سيجارته ببطء وصمت، قبل أن يقول بلهجة هادئة، بطيئة، حملت الكثير  
من الاتهام :

-هل حدث أن سرت أثناء النوم من قبل؟!..  
وأدرك جمال أن الدكتور نعيم لا يصدقه، فارتبك .. وتكاثف العرق على  
جبهته، وأجاب مطرفاً رأسه لأسفل، بارتباك:  
-لا يادكتور .. لم يحدث هذا لى أبداً .. إننى أنام على فراشى كالجحر.  
-إذا فأنت تتعاطى شيئاً ما حتماً؟.

-شىء ما مثل ماذا يادكتور؟ .. لست أفهم ما تقصده ..  
سأله جمال بحذر، وهو يخشى أن يضطر للاعتراف بأنه يتناول الحشيش أو  
البيرة حين يبيت بالمشرحه .. خشى أن يكلفه هذا وظيفته.  
وأجابته الدكتور نعيم ببطء، وهو يميل بجذعه نحوه من فوق مكتبه :

-أتحدث عن المخدرات أو الكحوليات .. تلك الممنوعات التي تعرفها جيداً..  
أى شيء من هذا القبيل .. هل تفعل يا رجل؟..

مرة أخرى أطرق جمال برأسه للأسفل، متحاشياً أن تتلاقى عيناه بعيني  
الدكتور نعيم الحادتين، وهو يغمغم:

-الشيخة فقط يادكتور .. أنا لا أشرب غيرها .

هنا هز الدكتور نعيم كتفيه بنفاذ صبر ، وصاح بعصبية:

-إذن كيف بالله عليك وجدوك بغرفة التشريح، راقداً على منضدة أحد  
الجثث؟.. أخبرني لماذا فعلت هذا؟.. هل كنت تتسلى مثلاً؟.. أم أنه خاطر  
أحمق طراً برأسك الغليظ هذا فجأة، ودفعك لفعل هذا؟.  
ازداد جمال توتراً، وهو يشعر باقحام مباشر يُوجه له بين طيات كلام الدكتور  
نعيم، فقال ضارعاً:

-أقسم بالله أننى لا أدري كيف حدث هذا .. أنا لم أشعر بأى شيء إلا حين  
أفقت فى الصباح .. أنا حتى لم أكن أدري أنهم وجدوني نائماً على تلك المنضدة  
بجوار الجثث .. لو أفقت حينها ووجدت نفسي هكذا لمت هلعاً.  
ثم التفت إلى عم منصور مستنجداً به، فاكتفى الأخير بجز رأسه مؤكداً ما  
قاله..

صمت الدكتور نعيم، وراح يتفحصه بنظرات نافذة كسهام تتخلل جسده؛  
لتستكشف إن كان صادقاً فيما يدعيه، أم أن وراءه شيء ما يخفيه، بعدها أخذ  
يدخن الجزء الباقي من سيجارته، وهو يطلق سحابات كثيفة من الدخان نحو  
سقف الحجرة، بينما راحت أنامله تعبت بقلم أنيق، يحمل شعار إحدى شركات  
الأدوية، مصدراً صوتاً معدنياً رتيباً .

حطم هذا الصمت مقاومة جمال، فبدا مضطرباً وخائفاً بصورة لا ادعاء فيها ..  
لقد كان مذعوراً بحق؛ وكان وجهه شاحبا في تلك اللحظة كالموتى .. لذا قال  
الدكتور نعيم في النهاية ليصرفه :

-حسناً ..يمكنك الانصراف يا جمال، عد لبيتك الآن لتتال قسطا من  
الراحة، وفيما بعد سنحاول أن نفهم ماحدث.

وشكره جمال، وهو ينصرف، واستدار عم منصور الذى تابع كل ماحدث  
صامتاً ليرافقه، إلا أن دكتور نعيم استبقاه قائلاً:

-انتظر يا منصور .. هناك ما أرغب في التحدث فيه إليك .

-تحت أمرك يا دكتور .

قالها عم منصور ،وهو يعود متقدماً نحو المكتب ،بينما انتظر الدكتور نعيم  
للحظات حتى غادر جمال الغرفة، فقال لعم منصور:

-هل هناك ما أخفاه عنى جمال .. ربما أخبرك بشيء ما، ولم يشأ أن يخبرنى  
به.. لا أظن أنك أنت الآخر تصدق ما قاله.

وهز عم منصور رأسه نافياً. وأجاب بمدوء:

-لقد أخبرنى بما ذكره لسيادتك .. إن روايته التى حكاها لكلينا واحدة دون  
أى تغيير .. ولا أظن أنه كان يدعى الغيبوبة التى وجدناه عليها .. لقد فحصه  
الدكتور حاتم، ويمكنك أن تسأله كيف كان .

-ألا تظن أنه قد يكون قد نام من تلقاء نفسه بقاعة المشرحة دون أن يدرى  
.. ربما كان يعاني من مرض نفسى ما .. وربما كان يسير أثناء نومه دون أن يعلم  
ذلك .. أشياء كهذه تحدث أحيانا .

-ربما كان هذا ماحدث، من يدري؟! .. الأمر كله عجيب، ولم يحدث من قبل.. أخشى أن أقول أن هناك أحداثاً غريبةً تدور في المشرحة في الآونة الأخيرة لم يكن جمال شاهدها الوحيد ..

- أحداث غريبة هاهنا بالمشرحة ؟.. هل حدث شيء ما بالمشرحة لا أدريه ؟! قالها الدكتور نعيم بدهشة واستنكار .. لم يجب عم منصور على الفور، بل صمت للحظة متردداً، لكنه أمام النظرات الصارمة للدكتور نعيم تكلم، وقص عليه ماحدث لعبد الدايم من قبل..

وضاقت عينا الدكتور نعيم، وعاد يعبث بالقلم الذى يمسكه مرة أخرى مصدراً طرقاتٍ خافتةً على سطح مكتبه، وعيناه تنتقلان بين وجه عم منصور المضطرب وفراغ الغرفة، قبل أن يقول مستنكراً بلهجة حادة:

-أتتكلم عن عفاريت، و أشباح جثث تلهو بالمشرحة ؟.. هل هذا ما تقصده يارجل ؟.. وهل تعتقد أن مثل هذه الخزعبلات التى تحكونها في قراكم حين يحل المساء، ليخيف بعضكم البعض قد تحدث هاهنا في كلية الطب ؟.. لو شئت رأيي في ما يحدث، لأخبرتكم أن رجالك حمقى ، واهمون بالتأكيد، وربما يتعاطون شيئاً ما لست أدريه .. عليك أن تبحث عن هذا، لكننى لن أقبل أن أستمع الى هذا الهراء مرة أخرى .. أخبرهم بكلامى هذا كى لا يتمادوا في أوهامهم، فينشروا هذه الترهات في كل مكان.

لاذ عم منصور بالصمت ولم يعقب، كان يعلم أن الدكتور نعيم لن يقبل مناقشة هذا الأمر مادام قد رفض تصديق ماحدث من البداية .. لذا فإطائل من مجادلته، كان هو شخصياً يؤمن بالعفاريت والجان .. ألم يقل الله في كتابه الحكيم "ويخلق ما لا تعلمون"

إذاً فلا بد أن الله خلق كثير لا نعلم عنهم شيئاً، بالرغم من أنهم قد يتواجدون حولنا دون أن نشعر بهم أو نراهم ..  
لذا اكتفى بجز رأسه، وقال باستسلام:  
- كما تشاء يا دكتور .

-منصور .. لا يجب أن يعلم أحد بما حدث .. فمع بداية الأسبوع القادم سوف يبدأ الطلاب دروسهم العملية مع الجثث، ولا أريد أن تكون هناك بلبلة ما حول المشرحة.

هز عم منصور رأسه موافقاً ، وأكمل الدكتور نعيم أمراً:  
-هناك شيء أخير .. لا أريد لأحد منكم أن يبيت بالمشرحة بمفرده بعد الآن .. ليتواجد اثنان منكم كل ليلة بالمشرحة .. سيكون هذا مؤقتاً حتى أتأكد أن تلك الأوهام لم تعد تحدث .. أخبر الآخرين بذلك، وابدءوا في تنفيذ هذا الأمر من الليلة.

وتركه عم منصور ليخبر الباقين بما جرى، وتناهى إلى مسامعه وهو يخرج من الباب ضحكة عصبية أطلقها الدكتور نعيم، هو يقول ساخراً :  
-عفاريت هاهنا بالمشرحة .. في المرة القادمة سيحدثونى ربما عن لعنة الفراغنة، أو مصاصى دماء يتحركون في الليل .. يالهم من رجال !.

## (11)

بهدأ نظام المبيت الجديد في نفس الليلة .. واتفقوا أن يكون عم منصور ومتولى في الليلة الأولى ..

لم يتدمر أحد منهم من الأيام الإضافية التي سوف يبيتونها في المشرحة .. فأمام ما يحدث خاف كل منهم مما جرى، وأخذ يبحث عن الصحة في مواجهة أمر مبهم كهذا .

وفي المساء جاء عم منصور مبكراً، لم تكن الساعة قد تجاوزت السادسة حين كان بما، أخبره متولى أنه سيتأخر قليلاً؛ لينهى بعض أموره فلم يعترض .. وظل بمفرده بالحجرة راقداً على الفراش يدخن ويجرع أكواباً كثيرةً من الشاي كعادة، ويسمع الراديو ، حتى جاء متولى حين قاربت الساعة العاشرة ..

كان قد جلب معه من بيته بعض الأواني التي تحوى أرزا و "كوسة" مطبوخة ولحم .. شعر عم منصور بالدهشة الحقيقية، وهو يرى هذا الكرم الغير معتاد من متولى، وقد عهد به بخيلاً .. وقال متولى بمرح، وهو يفرغ ما تحويه الآنية في بعض الأطباق الموجودة بالحجرة :

- لا أظن أنك تناولت طعاماً منزلياً منذ زمن طويل .. لذا قررت أن أذكرك به هذا اليوم ثانية .. أتمنى أن يعجبك .

وابتسم عم منصور بامتنان، وهو يجلس على الأرض المكسوة بحصيرة قديمة .. كان ما قاله متولى صحيحاً تماماً .. فنادراً ما عاد يتمتع بمثل هذه الوجبات المعدة في المنزل، منذ انتقل للعيش بالقاهرة .. كما أنه ليس بالطباخ الماهر، فكان يلجأ للوجبات الجاهزة الرخيصة؛ كي يسد رمقه .. وإكتفى بتناول الطعام المنزلي في الأجازات التي يعود فيها لبلدته.

ففى كل عام، وبعد انتهاء الدراسة كان يغادر القاهرة لشهر كامل عائداً لبلدته بالمنيا .. فهناك أخوته البنات المتزوجات، اللاتي يتفنن حينها فى إعداد كل ما يعلمن أنه يشتتبهه من طعام، بل ويزودونه بالكثير منه قبل عودته للقاهرة، ليكفيه لبضعة أيام أخرى، قبل أن يعود ثانيةً للطعام الرديء الذى يشتريه. وقال وهو يلوك بفمه الطعام الشهى، وقد راقته له رائحته الذكية وطعمه الحلو:

-يمكنك أن تشكر زوجتك من أجلى .. إنها بارعة فى طهيها كثيراً .. أنت محظوظ فى كل شئ يارجل .

-بالهنا والشفاء ياعم منصور .. لكن أخبرني أيها الكهل .. لماذا لم تتزوج حتى الآن ؟ .. ألم تحاول أن تقترن بواحدة من قبل ؟ ..

سؤال تكرر كثيراً على مسامعه، فضحك ببساطة، وأجاب بعد أن مضغ قطعة لحم كان يأكلها :

-لأنه لا توجد من تقبل أن تتزوج غولاً مثلى .. ألا ترى كيف أبدو يارجل .. إننى أبدو كالغول والعمالقة، والنساء يخشين من هو مثلى حتماً، إلا لو كان بما عيب ما؛ لتقبلنى من أجله، وهذا ما لن يروقنى .. إذاً فلا حاجة لى بمن ولاحظه لهن معى .. معادلة بسيطة ومريحه كما ترى ..

وضحك متولى بصورة صاحبة، وقال وهو يزدرد ملعقة من الأرز مخلوطة بصلصة الكوسة :

-لو كانت هذه مشكلتك فلا مشكلة إذن .. اترك الأمر لى، وسأزوجك من ترضى بك هكذا .. انت تبالع فى النفور من نفسك كثيراً، والأمر لا يسير هكذا أبداً.

-امرأة من طرفك أنت .. الله الغنى يارجل .. لن يكون هذا أبداً.

- إذا فأنت الذى لا يريد .. فكر فى الأمر .. إن أمامى عروساً تناسك، و أنا أجزم أنها سوف تروق لك كثيراً. إنها كاللوز المقشور.

- ومن قال لك أنى أريد الزواج. أو أفكر فيه .. إننى أحب حياتى هكذا ، ولا أرغب فى تغييرها .. كما أننى لا أحب اللوز .

- صدقنى يا عم منصور، أنت محطى فى تفكيرك هذا، وستندم حتما حين يتقدم العمر بك، ولا تجد من يكون بجانبك حينها ليرعاك .. إننا نتزوج كى نجد من يؤنس وحدتنا، ثم ننجب الأبناء، كى ندخرهم إلى أن نحتاج اليهم فى شيخوختنا وعجزنا .

- حينها لن أعدم من يساعدى من أولاد الحلال .. إنهم فى كل مكان فلا تقلق بشأنى .

وانتهيا من العشاء، فأشعل عم منصور سيجارةً جديدةً، بينما قام متولى بجمع الأطباق ليغسلها .. وتولى عم منصور إعداد الشاى .. ثم إتجهها بعدها للحديقة الخلفية ..

حملا معهما الشيشة، وطبق فخارى مليء بالفحم المشتعل، وأكواب الشاى الأسود الشبيهة بالخبز .

ظلا يدخان، ويثرثران حتى انتصف الليل .. فجمعا أغراضهما، وعادا ثانيةً للمشرحة استعدادا للنوم .. وقال عم منصور مقترحاً:

- مارأيك لو فتننا المكان قبل أن ننام؟ .. لا أريد أن نفاجأ بشئ ما.  
رحب متولى بالفكرة، ففتشا المشرحة بأكملها، لكنهما لم يعثرا على ماقد يرييهما .. أغلقا بعدها الباب الخارجى للمشرحة بإحكام، وكذلك باب جحرتيهما.. ثم رقد عم منصور على الفراش الذى كان صغيراً لا يتسع لكليهما معا ، بينما رقد متولى على حصيرة فرشها على الأرض .

بعد ساعتين، شعر متولى بمثانته ممتلئة، فنهض بآلية، واتجه إلى الحمام مترنحاً شبه نائم .. انتهى ،فعاد بعيون ناعسة شبه مغلقة ؛ليكتشف أن باب الحجره مغلقاً.. أمسك مقبضه وأدراه ،ودفعه بقوة لكنه لم يتحرك ..

هنا طار النوم من عينيه تماماً ،وهو يحاول دون جدوى فتح الباب الذى صمد أمام محاولاته ،ولم يهتز.. وبينما راح يدفعه بعصبية، شعر بأن هناك من يراقبه من الخلف..

كان إحساساً مبهماً لكنه استجاب له، والتفت بتوتر نحو البقعة المظلمة فى نهاية رواق المشرحة ،كان هناك بالفعل من يقبع فى الظلام منتصباً، ساكناً دون حراك..

كان هذا نهاية التوتر والتعقل ،وبداية الجنون عنده، فأطلق صرخات توقظ الموتى، وهو يستغيث وينادى عم منصور بمستريا ،ويدها تطرقان الباب ، وتحاولان فتحه بفرع وعنف، دون أن يفارق عينيه ذلك الشيء المتدثر بالظلام..

استيقظ عم منصور على صرخاته ،وكاد أن يتعثر ،وهو يندفع نحو الباب المغلق ليرى ما هنالك.. فوجئ هو الآخر بالباب المغلق.. وحاول أن يفتحه فلم يفلح ،فتصلب أمامه يرمقه بحيرة ..

كان المزلاج غير مغلق .. فكيف يقاوم ذلك الباب اللعين فتحه إذأ؟.. بالخارج ارتفع عويل متولى وصرخاته ، وهو يتضرع إلى عم منصور ،ويرجوه أن يفتح له الباب ،فزاد عم منصور من محاولاته الشرسة كى يفتح الباب، وقد قرر أن يفتحه بأى طريقة حتى لو حطمه ..

تراجع للخلف قبل أن يندفع نحو الباب بكتفه ليحطمه .. لم يتأثر الباب بمحاولته فتراجع ثانية ليعيد الكرة، وهو يصيح فى متولى:

- ماذا هناك يا متولى .. ما الذى يجرى عندك .. لماذا تصرخ هكذا؟ ..  
بصعوبة فهم ما يقوله متولى من بين صراخه الذى استمر صاخباً ليوقظ الموتى.  
-أنجذنى يا عم منصور .. إنه هناك فى الظلام .. إنه ينظر إلى .. افتح الباب أرجوك  
، وأنجذنى!

- من هذا يا متولى؟ .. لاتصمت يارجل ، وأجبنى .. تحدث ، وأخبرنى من هذا؟  
لكن متولى أخذ يصرخ دون أن يجيبه هذه المرة .. تحرك ذلك الشيء المخيف  
مغادراً ظلمته ، واتجه نحوه .. فانهار متولى برعب بجوار الباب يائساً من محاولة  
فتحه ، لكنه استمر يصرخ منادياً عم منصور سائلاً نجذته بيأس حقيقى ..  
توترت عضلات عم منصور أكثر وصرخات متولى الفزعنة تصله عبر الباب  
المغلق دون أن يستطيع نجذته ، ظل الباب صامداً كوتد مثبت بالصخر دون أن  
يتحرك قيد أمثلة بالرغم من محاولاته الجدية لتعطيمه ، بدا كأن قوة شيطانية  
تلبسه فتزيده صلابه ..

فى النهايه تحول صراخ متولى لنحيب مكتوم .. أخذ يرتعد ، وهو يلاحظ شبح  
ذلك الكائن يتقدم نحوه بإصرار وهدوء .. بدأت الدنيا فى الإظلام أمام عينيه ..  
وحين دخل ذلك الشيء دائرة الضوء ، عرف من يكون ..

كانت فتاة .. الفتاة التى جلب جثتها منذ أيام .. لا بد أن هذا شبحتها وقد أتى  
لينتقم منه .. إنه وقت الحساب والانتقام إذا ، فمرحبا بالفزع .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، ومخيفة على شفيتها ، وبدت عيناها متوهجتين  
مشتعلتين كجمرتين ، بينما تطاير من خلفها شعرها الأسود الطويل كأنما يحركه تيار  
خفى من الهواء للخلف .. وكانت تتحرك بانسيابية غريبة كأنما تسبح فى الهواء .

أراد أن يصرخ فيها أن تبتعد عنه وتتركه ، لكن صوته خذله ، فلم يخرج من فمه إلا عواء غير مفهوم.. وطمس الرعب حاسة الشم في أنفه، فلم يشم رائحة العطر الأثنوى الذى عبق شذاه الفراغ حوله..

ظلت تقترب بتؤدة ورتابه حتى صارت أمامه تماماً ، وألجمه الرعب ، فأصابه شلل مؤقت فلم يتحرك .. هنا امتدت يدها نحوه ، وابتسامتها الساخرة المرتسمة على وجهها تزداد اتساعا ، فلم تعد مراكز وعيه قادرة على إبقاء يقظاً أطول من هذا الوقت ، ففقد الوعى ..

فى نفس اللحظة زالت مقاومة الباب فجأة أمام محاولات عم منصور المستميتة، ففتح مرة واحدة كاد معها عم منصور أن يسقط أرضاً..

رأى حينها متولى راقداً أمام الباب شاحباً، وفاقداً لوعيه.. فحصره بتوتر ، وهو يناديه، ويهز جسده بعنف ليفيق .. كانت أنفاس متولى ضعيفة مضطربة، وجهته تتصبب عرقاً بارداً ، وجسده متخشباً .

بعد لحظات استجاب متولى لمحاولات عم منصور الحثيثة لإفاقة ، ففتح عينيه ببطء .. ثم هز رأسه بعنف متلفتاً حوله كأنما يتيقن أن الخطر قد زال .. نظر بعدها إلى عم منصور ، ثم اتمار مرة واحدة باكياً وهو يحتضنه..

ساعده عم منصور كى ينهض ، ثم أرقده على الفراش .. وراقبه وهو يبكى، ويرتعد من الفزع الذى لاقاه منذ قليل .

حاول عم منصور أن يخمن ما الذى شاهده متولى ، وأرعبه هكذا؟.. ولم يرغب فى أن يسأله الآن ، وهو يراه منهاراً أمامه هكذا، فانتظر إلى أن يهدأ قليلاً من اضطرابه وبكائه .

بعد فترة ليست بالقصيرة هدأ روعه.. وبكلمات مضطربة متقطعة، حكى ما حدث ..

أقسم بعدها ألا يكمل ليلته في هذا المكان، حتى لو كان في الأمر طرده من عمله وإقالته ..

لذا فقد قررا أن يتركا المشرحة سوياً الآن، ولتذهب كل الجثث التي بها إلى الجحيم ..

قرر عم منصور أن يذهب في الصباح إلى الدكتور نعيم ليخبره ما حدث..ولو أراد حراسة المشرحة؛ فليبحث عن آخرين غيرهم، فلن يجسر أيهم بعد الآن على المبيت ثانيةً بها مهما كان الوعيد أو الترغيب ..

غادرا المشرحة لكنهما تركا الباب الخارجى دون أن يهتموا بغلقه.  
كان خطأ كبيراً ، أدركاه فيما بعد..

فى الصباح كانت هناك أسماء .. فتاة ذكية .. رقيقة .. وحاملة.

كانت تحمل أن تغير فى يوم من الأيام التاريخ الطبى ، حيناً باكتشاف عشرات الأمراض الجديدة ، وأحياناً أخرى باختراع عشرات العقاقير التى تشفى كل الأمراض، وخاصة البلهارسيا التى كانت تنهش أكباد المصريين وأبدانهم بوحشية فى ذلك الوقت ..

عشرات الأحلام التى تولد وتموت فى كل لحظة ، والكثير من النشاط غير المحدود ، وحماس بلاسقف يردعه .. كل هذا كان أسماء ..

تفوقت فى دراستها ، وكان ترتيبها الأولى دائماً .. علمت أن هذا ما كان عليها أن تفعله كى تصير فى يوم من الأيام، الدكتورة أسماء كما تنمى ..

رقيقة دون ادعاء .. ملاك لا يرى فى الدنيا إلا الجمال فقط .. لاتفكر إلا فى

الحياة، ولاتعلم شيئاً عن الشيء المخيف الآخر المدعو الموت ..

رقتها جعلتها فى قلق دائم من أن تفشل أحلامها أمام خشيتها من الجثث ومن المشرحة .. هى التى لم تعتد أبداً أن تتعامل مع أى شيء يمت بصلة للموت ، صار عليها لو أردت أن تنجح ، وأن تتعلم كيف تتعامل مع الموتى بجرأة وشجاعة .

كانت تموت هلعاً لو ألقى أخوها الصغير نحوها بصرصار ميت .. بل وكاد قلبها أن يتوقف يوماً ، حين اتجهت فى منتصف الليل فى أحد الأيام إلى الحمام لتطأ بقدميها العاريتين شيئاً ما .. نظرت إليه حينها، ولم تتبين ماهو فى الضوء الشاحب .. وحين أضاءت مصباح الردهة .. اكتشفت ماهو ، فأطلقت صرخةً مريعةً قبل أن تفقد وعيها ..

لقد كان فأراً ميت ..

كانت أمها قد وضعت من أجل اصطياده السم في بعض بواقي وجبة الدجاج التي التهموها ذلك اليوم، ولا بد أنه لم يدرك الشرك الذي نصب له فالتهم الطعام المسمم ؛ليموت على الفور..المشكلة أنه قد اختار المكان الخطأ ليموت فيه، فكادت أسماء أن ترقد بجواره ميتة من الرعب ..

أيضاً لم تنس كيف فارقتها النوم لأيام عدة، حين ماتت جدتها ودخلت إلى حجرتها لتلقى عليها النظرة الأخيرة ..أصابها الملح حين رأت كيف شحب وجه جدتها،وتغضن وكساه لون أزرق مخيف ..ظل هذا الوجه يطاردها في أحلامها،ولايفارق مخيلتها لزمن طويل بعدها..

كانت طبيعتها تتصادم مع رغبتها في دراسة الطب ..حتى أن والدها حاول أن يثنيها برفق عن دراسة الطب،ملوحاً لإمكانية أن تتجه لدراسة شيء آخر لا مكان فيه للدماء أو الموتى ..لكنها أصرت على دخول كلية الطب ، مؤكدةً لنفسها،ولكل من حوّلها أنها قوية ولن يرهبها شيء من هذا ..

اليوم جاءت مبكرة ..وكان هذا هو يومها الثالث في الكلية ..في اليوم الأول لم يكن هناك شيء إلا محاضرة تعريفية بنظام الدراسة في الكلية، وبالمواد المطلوبة منها ..يوم خفيف وهدوء ماقبل العاصفة.

في اليوم الثاني كانت البداية المرعبة.. ثلاث محاضرات تمهيدية وثقيلة بحق للمواد الدراسية وباللغة الإنجليزية ..كانت هناك عشرات المصطلحات الغامضة التي لم تفهم منها شيئاً ..لكنها كانت متحمسة بالرغم من إحباط الكثيرين من حولها في نهاية اليوم ..

كل شيء صعب في بدايته،وسأعتاد هذا مع الوقت ..هكذا طمأنت نفسها..

كانت الساعة الآن السابعة والنصف، وما زال الوقت مبكراً للغاية، فمحاضراتها لن تبدأ قبل التاسعة.. فبذت الكلية في حينها هادئة ومريحة بلا صخب أو زحام.

كانت في قرارة نفسها قد قررت أن تواجه مخاوفها اليوم .. واتخذت قراراً خطيراً.. ستذهب اليوم إلى المشرحة !

أخبرها بعض زملائها الأقدم سناً أن الجثث موجودة بما الآن بالفعل .. فقررت أن تكون مواجهتها الأولى مع الجثث بالمشرحة بمفردها.. كانت ترغب في أن تختبر نفسها.. هل سترتعد من مرآها؟.. أم ستحتمل الأمر ، ولن تخشاه؟.. لم تكن ترغب في أن يكون أحد ما معها في مواجهتها الأولى هذه.. خشيت أن يصدر منها شيء ما، كأن تصرخ مثلاً أو تفقد وعيها فتصير أضحوكة بين زملائها ..

لهذا لتكن مواجهتها الأولى بمفردها، وليكن حينها ما يكون .. لهذا جاءت اليوم مبكراً، واتجهت بخطوات مرتبكة إلى المكان الذي أخبروها أنه المشرحة ..

من بعيد، وقبل أن تصل إليها، وصل لأنفها رائحة الفورمالين النفاذة .. فاضطرت أن تخرج منديلها وتغطي أنفها به.. بلغت الباب، ورمقت ببصرها اليافطة الخشبية المكتوب عليها (المشرحة) بانفعال وإثارة وتردد، قبل أن تمد يدها الرقيقة نحو الباب الزجاجي لتتطرقه .. انتظرت للحظات أن يجيبها أحد ما.. وحين شعرت أن وقتاً طويلاً قد مر بعدما طرقت الباب ، دون أن يجيبها أحد، طرقت الباب مرة أخرى بقوة أكبر، وقد خشيت أن لا يكون بها أحد ليدخلها، فتنتهى مغامرتها قبل أن تبدأ..

لاحظت أن الباب استجاب لطرقاتها هذه المرة فانزاح للدخل قليلاً .. دفعته برفق ففتح باتساعه أمامها كأنما يرحب بما ويدعوها لأن تدخل .. أدخلى يافتة .. لأشئ بالدخل لتفرعى منه ..

مدت رأسها للدخل فلم تر أحداً في الرواق الطويل .. استرقت السمع لبرهة فلم تسمع شيء .. هل لا يوجد أحد هنا ؟ ..

دلقت بعدها المكان بتردد ورهبة فلم يقابلها أحد، لاحظت أن رائحة الفورمالين قد صارت أقوى الآن، ومثيرة لأنفها ومقلتيها بعنف، حتى أن عينيها أخذت تحرقانها بشدة، وبدأت دمعات ساخنة في التسرب من محجريها .. انتهت الردهة التي تسير بداخلها إلى قاعة المشرحة .. كانت مضاءة بأضواء شاحبة لمصايح نيون كساها الغبار، ولاحظت أن نوافذها المرتفعة مغلقة .. تطلعت الى المناضد التي ترقد فوقها الجثث المغطاة أمامها، فارتجف قلبها للحظة، وفكرت في التراجع، وقد زاد السكون الذي يحيط بها في رفع توترها ..

حاولت التماسك، فهمست لنفسها مشجعةً، ومغالبةً رغبةً هادرةً بداخلها تدفعها للتراجع:

- إما الآن وإما لا للأبد .. تقدمي يا أسماء، ولا تكوني جبانة .. ستندمين للأبد لو تراجعت الآن.

شعرت أن عبارتها لم تزدها شجاعةً، وأن قدميها قد التصقتا بالأرض أكثر الآن، دون أن تطاوعاها على التحرك للأمام خطوة واحدة .. مرة أخرى حدثتها نفسها، وألحت عليها أن تعود أدراجها، وأن تعاود الكرة في وقت آخر .. ربما كان الأفضل لها أن تاتي بإحدى زميلاتها لتكون معها أول مرة .. إلا أن صوت عنادها اندفع من أعماقها صائحاً فيها بغضب :

-مما تخافين يابلهاء إنها مجرد جثث .. ما هم إلا بشر نائمون كما يقول بابا ..  
تقدمي الآن أو اعترفي لنفسك أنك جبانة وضعيفة .

استجمعت شجاعته ،ودفعت قدميها الملنصقتين بالأرض بإصرار للأمام  
دفعاً .. واتجهت بخطوات مترددة إلى أقرب الجثث إليها ، ثم توقفت أمامها لأكثر  
من دقيقة محبوسة الأنفاس من الإثارة والترقب ، وبأصابع رقيقة متوترة ومرجفة ،  
مدت يدها إلى الغطاء الذى يغطى الجثة ، ثم ببطء شديد بدأت ترفعه وتريجه عن  
الجسد المسجى أمامها ..

كانت متوترة للغاية ، وراح قلبها ينتفض بعنف ، وشغف فى قفصه الصدرى ،  
وهى تنظر الى الجثة .. لدهشتها كانت جثة فتاة شابة .. بل وكانت فتاة جميلة  
للعناية .. لاحظت أن لوها لم يكن يشبه كثيراً لون جدتها القائم الذى رآته على  
وجهها حين ماتت .. كان وجه الفتاة أمامها مازال محتفظاً بنضارته ، وإن شابه  
بعض الشحوب ..

كان وجه فتاة نائمة لا أكثر .. أهكذا نصير حين نموت؟ ..  
تأملت جمالها المبهر فشعرت بالأسى من أجلها .. كان وجه هذه الفتاة يشى  
بأنها لا تكبرها إلا بأعوام قليلة .. لا بد أنها امتلكت فى يوم من الأيام أحلاماً  
كأحلامها ، هل ياترى حققت بعض أحلامها ، أم أن الموت قد فاجأها قبل أن  
تفعل .. شعرت بالشفقة عليها ؛ لأنها أتت إلى هنا لينتهى بها الحال ممزقة مشوهة  
تتناقلها عشرات الأيدي ، وتعبث بجسدها مئات الشفرات الحادة .. تحيلت  
نفسها مكانها .. بالتأكيد لم تتمن أن يصير هذا مصير جسدها لو ماتت  
فجأة .. كان مصيراً مؤلماً .. ما الذى أتى بهذه الفتاة إلى هنا ياترى !؟ .. تمتمت لو  
تعرف .

تذكرت فجأة ما أخبرها زملاؤها القدامى أن الجثث تكتسب لونا بنيّاً باهتاً كأوراق الصناديق الكرتونية، نظراً لحفظها بالفورمالين .. لم يشبه وجه هذه الفتاة الصور التي تخيلتها للجثث المحفوظة .. ربما لم يُعدّوها بعد؟ .. وجدت نفسها تتحمس أكثر، فمدت يدها إلى وجه الفتاة لتلمسه ..

كانت ترغب في أن تقتل الخوف بداخلها من مرأى وملمس الجثث .. وجدت نفسها تغمض عينيها بقوة، ويدها تمتد نحو وجه الفتاة الميتة لتلمسه .. شعرت يدها بلمس الجلد الناعم .. كان لا يختلف كثيراً في ملمسه عن ملمس بشرتها .. وكان الجلد دافئاً ..

وحين فتحت عينيها، وجدت أن العالم قد تغير تماماً عما قبل .. كانت الجثة التي أمامها قد فتحت عينيها، وراحت ترمقها بثبات وابتسامة ساخرة تتلاعب على شفيتها ..

كانت أسماء فتاة رقيقة .. وكان من الصعب أن يحتمل قلبها الصغير شيئاً كهذا أبداً؛ فتوقف لأول مرة عن القيام بواجبه الأزلي ولم يعد يدق ، ولم تشعر بعدها بأى شيء ..

وكان هذا من حسن حظها !

(13)

**فتح** عبدالدايم المشرحة في الصباح ، وبينما كان يبحث بقلق عن زملائه بما اكتشف جثة أسماء .. وفي أقل من الساعة امتلأت المشرحة بالعشرات من رجال الشرطة بأزيائهم المميزة ، وخبراء المعمل الجنائي بحثاً عن دليل ما يرشدهم للفاعل ..

كان هناك عميد الكلية ووكيلاه ، وبالطبع كان معهم الدكتور نعيم ، وبعض أساتذة القسم ، وبعض أساتذة الأقسام الأخرى وقد ألهب الحادث فضولهم ..  
طالبة بالفرقة الأولى تُقتل بالمشرحة ..

كانت التفاصيل محيرة ومبهمة ومثيرة .. وجد عبدالدايم جثتها على أحد مناضد المشرحة ، وكانت بكامل ثيابها .. لكن المخيف هاهنا أن جلدها قد اكتسب اللون البني المميز للجثث المحفوظة ، وقد تصاعدت منها رائحة الفورمالين قوية طازجة تماماً ..

أنهك رئيس المباحث في حوار جانبي في أحد الأركان مع عبدالدايم وجمال ، بينما أنهك خبراء البحث الجنائي في رفع البصمات ، والبحث عن أى أدلة قد تكون مفيدة لكشف غموض القضية .. وحول الجثة أنهك الطبيب الشرعي هو الآخر في فحص الجثة ، ويشاركه في هذا الدكتور محمود عبدالفتاح رئيس قسم الطب الشرعي بالكلية ..

بدأ الاثنان في إجراءات الفحص الظاهري المبدئي على الجثة قبل أن يقول الطبيب الشرعي -الدكتور هشام - للدكتور محمود بنوتر وهو ينتصب قائماً ليعدّل من وضع نظارته:

- لا أفهم أى شيء في هذه الجثة .. إنها محيرة بحق .

أجابه الدكتور محمود بتؤدة ، ووقار وهو يفحص بمثابة يدي الفتاة وذراعيها:  
-أرى ألا نتعجل في إبداء آرائنا الآن..مازال أمامنا وقت طويل قبل أن يطالبنا  
أحد بتفسير ما حدث مع هذه المسكينة..الأمر لم ينته بعد  
تنهد الدكتور هشام بحيرة ،وغمغم، وهو يشبك أصابعه أمامه :  
-إنها مسكينة بالفعل ..مسكينة ومحيرة .. لا آثار عنف أو مقاومة ظاهرة على  
جسدها ..لا إصابات ظاهرة ..لا كدمات بأى مكان ..كافة الأوردة والشرايين  
الظاهرية سليمة ،إذن كيف تم حقنها بكل هذا الفورمالين ،ومتى وجد القاتل  
الوقت الكافي ليفعل ذلك؟..

هنا أعاد الدكتور محمود ذراعى الفتاة إلى مكانهما برفق، ثم نهض ،وقال :  
-أظن أن اكتشاف سر تلك الألباز التي طرحتها الآن يحتاج منا إجراءات  
دقيقة أثناء التشريح ..ولهذا أرجو ألا يضايقك أن أتقدم بطلب رسمى للمشاركة  
في إجراءات تشريحها.

أجابه الطبيب الشرعى على الفور :

- ولماذا يضايقى مشاركتك يا دكتور محمود ..إن معاونتك لى فى قضية كهذه  
مفيد للغاية ..أنت أحد العلماء القليلين فى مجالنا هذا ،ويشرفنى دوما أن أعمل  
معك .

ارتسمت ابتسامة مريحة ،ممتنة على وجه الدكتور محمود وغمغم بتواضع :  
-أرجو ألا تعد الأمر تشكيكاً فى قدراتك - حاشا لله - إنه الفضول العلمى  
لا أكثر، بالإضافة لكون الفقيده إحدى طالباتنا. إنى أريد أن أعلم كيف، ومتى  
،ولماذا تم حقن هذه الفتاة بالفورمالين؟..هناك هاجس بداخلى يصير أن مقتل  
هذه الفتاة ليس جريمة قتل بسيطة..أشعر أن هناك شيئاً أكبر يختفى خلف قتل  
هذه الفتاة .

حينئذ اقترب الدكتور نعيم منهما ، كان منزعجا بشدة ، وقال وهو ينفث دخان سيجارة بعصبية واضحة لم يستطع كتمانها :

- هل توصلتم لشيء ما ؟

أجابه الدكتور محمود :

- ليس بعد.. فكما ترى لا آثار عنف ظاهرة، ولا سبب مباشر للوفاة..مازال علينا أن نقوم بالتشريح ، لنرى إن كان هناك تلف داخلي أم لا .. كما أن علينا ألا ننسى المخدرات والسوموم وغيرها .. ولهذا أخشى أننا لن نصل لشيء ما، قبل أن تنتهي من عملية تشريحها ، وفحص أنسجتها وتحليل مكوناتها ودوائها..الامر ليس واضحا او بسيطا أبدا هذه المره.

- وماذا عن الفورمالين ..هل عرفتم كيف تم حقنها به هكذا؟

-ليس لدى إجابة لسؤالك هذا في هذه اللحظة ، لكننا حتماً سنعرف .. اطمئن يا دكتور نعيم.. إنها مسألة وقت لا أكثر .

زادت تلك الإجابات المبهمة من توتره ، فابتعد دون أن يعقب وظل ينفث دخانه بعصبية، وهو يتمتم بحلق وصوت خافت :

- طالبة تُقتل في المشرحة .. كأن هذا ماكان ينقصنا !..ياله من عام !

فوجئ بعמיד الكلية يتجه نحوه مع مفتش المباحث ، ووكيل النيابة الشاب الذى وصل لتوه هو الآخر ، وقال العميد بعد أن قدمهم لبعضهم البعض :

-لقد اتفقتنا جميعاً على كتمان الأمر عن الجميع ، وبخاصة الطلاب والصحافة .. لانريد أن نثير الذعر في نفوس الطلاب أو أهاليهم..كما لانريد أن تصيب الكلية تلك الفرقعات الإعلامية للصحفيين ..

هز الدكتور نعيم رأسه متفهماً، وهو يقول :

-إن هذا أفضل حتماً..حسنا فعلمت.

هنا قال وكيل النيابة الشاب موجها سؤاله للدكتور نعيم وعيناه الضيقتان  
النافذتان لا تكفان عن التنقل، والبحث في كل مكان بالمشرفة :

-أخبرني يا دكتور نعيم ..من كان أول من اكتشف الجثة ؟

أجاب الدكتور نعيم ،وهو يشير بيده نحو عبدالدايم الذى انكمش فى أحد  
الأركان مذهولاً قلقاً ،بصحبة جمال وهما يراقبان مايجرى حولهما بتوجس وترقب :  
- إنه عبدالدايم أحد عمال المشرفة هاهنا ..لقد وجدها فى الصباح .

-وكيف علمتم أن الجثة لإحدى طالبات الكلية ..؟

-لقد وجدنا حقيبتها بجوارها ،وحين فتنناها عثرنا على بطاقتها الشخصية ،  
وبطاقة التحاقها بالكلية ..كانت هناك بعد الصور الفوتوغرافية لها .. أترغب فى

التحدث إلى عبدالدايم؛ ليقص عليك بنفسه ماحدث؟

-لا داعى لهذا الآن..سيتم التحقيق مع الجميع فى النيابة فيما بعد..

قالها باقتضاب، ثم التفت إلى رئيس المباحث، وسأله :

-هل انتهى رجال المعمل الجنائى من عملهم هاهنا .

لاحظ رئيس المباحث بعض التراخى فى رجال البحث الجنائى مما يوحى بأنهم

قد إنتهوا من عملهم ،فغمغم وهو يهز رأسه الضخم:

-أظن أنهم قد إنتهوا الآن ؟..

-وماذا عن سبب الوفاة ..هل علمتم كيف قتلت تلك الفتاة ؟..

-لقد تحدثت إلى الدكتور هشام -طبيبنا الشرعى - فى هذا منذ لحظات ، وقد

أخبرنى أنه لايعلم سبب الوفاة حتى الآن ..أظن أنه سيؤجل إجابته لحين إنتهائه  
من تشريح الجثة.

هز وكيل النيابة رأسه بحركات مبهمه قبل أن يلتفت نحو الدكتور نعيم الذى

كان يراقب مايجدث بضيق وعصبية ،وقال له:

-أخبرني يا دكتور نعيم ..لماذا برأيك تم حقن هذه الجئنة بالفورمالين ..هل تظن أن القاتل قد رغب في إخفاء أدلة ما بفعله هذا .

أجاب الدكتور نعيم، وهو يهز كتفيه بحيرة :

-وما أدراي؟ .. إنني لم أقابل شيئاً كهذا في حياتي كلها ..ربما كان مختلفاً ولهذا فعل ذلك .. لكن كيف فعلها ،ومتى وجد الوقت المناسب لذلك فهذا مايجبرني للغاية.. إن حقن الجئث بالفورمالين أمر ليس بالهين ويحتاج للجهد والوقت .

-وهل يمكن لشخص واحد أن يقوم بالأمر بمفرده دون معاونة ما؟..

-هذا ممكن بالطبع ،لكن سيتطلب هذا منه الكثير من الوقت..هناك إجراءات لا بد أن تتبع وهناك الجهد وهناك الوقت ..إنه أمر صعب لو شئت رأيي .

رقمه وكيل النيابة الشاب محاولا استيعاب الإجابة ،وخيم الصمت بينهم ،وساد سكون غريب في أرجاء المشرحة كلها، كأنما اتفق الجميع على السكوت ،وكل منهم يسمح في خواطره..قبل أن يعاود وكيل النيابة حديثه إلى رئيس المباحث الضخم الجنة :

-هل بعثتم يا محمد بك من يخبر أهلها ويأتي بهم ؟

-لقد أرسلنا إليهم بالفعل أحد أمناء الشرطة بإحدى سياراتنا لجليهم إلى هنا..مازال علينا ان نعرف منهم الكثير من الأشياء الغامضة أهمها متى أتت الى الكلية ،هل أتت هذا الصباح ،أم كانت هاهنا منذ الأمس؟..

- حسناً ..أرى أن تجرى تحرياتك لتعلم إن كان لتلك الطالبة أصدقاء هاهنا أم لا .. ومن هم لو وجدوا؟ .. وهل كان بصحتها أحد ما حين أتت إلى هنا أم كانت بمفردها ..ولاتنس أن تتحرى عن عمال المشرحة جميعهم، ولتنظر إن كان هناك مايريب في أحدهم أم لا؟..

أوماً رئيس المباحث محمد وهدان برأسه ، وهو يغمغم:

— سأؤكد من تنفيذ هذا يا وائل بك.

تحرك وكيل النيابة بعدها في أرجاء المشرحة مرة أخرى، وأخذ يطالع الجثث الراقدة على مناضدها، وهو يغالب الغثيان الذى يسببه له رائحة الفورمالين ، وحاول بعقله رسم تصور مقبول لما جرى .. لكنه فشل .. فالمكان بالرغم من كل الأشخاص الموجودين به، يبدو بريئاً تماماً ولا شيء فى غير موضعه .. وجد نفسة يتساءل إن كانت الفتاة قد قتلت فى مكان آخر ، ثم قام القاتل بجلبها للمشرحة بعد ذلك ، كان احتمالاً قائماً .. خطر بباله شيء ما ، فعاد إلى الدكتور نعيم وسأله:

— هل تدرى يا دكتور ، لماذا جاءت تلك الفتاة بمفردها إلى المشرحة؟

— لا أدرى .. أنت تعلم الطلاب ، وشططهم وإنذفاعهم .. لا أحد يعلم أبداً ما الذى يدور برءوسهم .. ربما أردت أن ترى الجثث .. أو ربما راهنت شخص ما على أن تدخل المشرحة بمفردها إثباتاً لشجاعتها .. إننا دوماً نقابل من الطلاب أشياءً مثل هذه.

— وهل اعتدت ترك المشرحة مفتوحة دون أحد ما يجرسها ليدلفها من يشاء.

— كلا بالطبع .. ففى كل ليلة على أحد العمال المبيت بها،

انتبه وكيل النيابة بشدة لما ذكره الدكتور نعيم ، فقال باهتمام:

— ومن من العمال كان هاهنا بالأمس؟

شعر الدكتور نعيم بالتوتر يتصاعد فى جوفه، فتنهد بقوة وأجاب ببطء:

— المقترض أن كبير العمال، ويدعى منصور، وعامل آخر يدعى متولى ، هما من كانا بالمشرحة بالأمس.

— وأين هم الآن .. إننى لم أرى أى منهما هاهنا.

-لست أدري .. فحين جئنا إلى هنا لم يكونا بالمشرفة..لقد ذكر عبد الدائم أنه وجد باب المشرفة مفتوحاً، ولم يعثر علي أيهما حين أتى في الصباح. التمعت عينا وكيل النيابة الشاب ، وغمغم لنفسه ببطء:  
-إن هذا يغير الأمر تماماً ..يجب أن نعلم أين هما الآن ؟

(14)

شعر عبدالدايم أن ساقيه عاجزان عن حمله ، فاستند بيده على الحائط الجاور له كي لا يسقط، كان يخشى دائماً كل ما يمت للسلطة بصلة ، وكان يهاب الشرطة بشدة.. خشى أن يتم توريطه بصورة ما في جريمة القتل هذه .. وظلت الأفكار السوداء تراوده ، بينما كان يقف في الردهة الطويلة لمبنى النيابة في انتظار الإدلاء بأقوله في جريمة قتل الطالبة ..

انتبه إلى صوت يناديه باسمه .. كان الجندي الواقف على باب وكيل النيابة يدعوه للدخول ، فتحرك بأقدام لينة كأعواد المكرونة نحو الحجره ..

لم يدعوه وكيل النيابة للجلوس ، بل تركه واقفاً، وعيناه الضيقتان الحادتان ترمقانه بنظرات نافذة حادة، لدقيقة أو أكثر ، ثم التقط سيجارة من علبة كانت أمامه على المكتب ، وأشعلها بولاعة أنيقة ، ثم بدأ ينفث دخانها ببطء دون أن يرفع عينيه عنه ..

تصاعد التوتر بداخل عبدالدايم حتى أن حبات من العرق البارد بدأت في الاحتشاد على جبينه.. هل يقصد وكيل النيابة أن يحطم أعصابه بصمته الطويل هذا ، ونظراته المليئة بالاثام ؟ .. لو أن هذا مآربه، فقد نجح.

في النهاية بدأ وكيل النيابة في توجيه الأسئلة .. بدأ بأسئلة روتينية عن اسمه، ومحل إقامته وعن عمله بالمشرحه وغيرها .. أخذ عبدالدايم يجيب عليه بثبات محاولاً ألا يتلعثم ، أو يرتبك .. لا يجب أن يبدو مضطرباً أو مريباً في إجاباته .. وإلا شكوا فيه وارتابوا في أمره...

بعد ذلك سألة وكيل النيابة :

-حسناً ؟ أخبرني الآن كيف اكتشفت الجثة ومتى ؟

ابتلع عبدالدايم ريقه بسرعة، وقد شعر أن مرحلة الأسئلة الصعبة قد حانت؛ فأجاب محاولاً أن يكون دقيقاً ومحدداً :

- لقد حدث هذا في الصباح .. كانت الساعة الثامنة تقريباً .. وصلت للمشرحة ، ووجدت بابها مفتوحاً .. اتجهت في البداية إلى حجرتنا ، فلم أجد بها عم منصور أو متولى ، توقعت أن يكونا بالداخل لشأن ما ، فاتجهت لقاعة التشريح ، وهناك رأيت جثة الفتاة راقدة على إحدى طاولات التشريح .. كانت على أول طاولة في قاعة التشريح ولم يكن فوقها ملاءة أو غطاء ما .. لقد كانت واضحة تماماً ولم يكن من العسير ألا ألاحظها.

- ألم تشك أنها إحدى جثث المشرحة وخاصة أنها كانت محفوظة بالفورمالين ولا تتخلف كثيراً عن باقى الجثث التى حولها؟

- لم يكن هذا ممكناً .. أنا اعرف الجثث الخمس الموجودة بالمشرحة .. كما ان هذه الجثة كانت مازالت بكامل ملابسها والجثث الأخرى عارية تماماً .. كان من العسير أن أخطأها، وألا أدرك أنها لاتتنمى للمكان.

- وهل لاحظت حينها أى شيء غير طبيعى فى المشرحة، شئ ما فى غير مكانه مثلاً.. أشياء مبعثرة بجوار الجثة.. أتذكر شئ من هذا

- لا .. لقد كان كل شئ فى مكانه .. الشئ الوحيد الغريب هو تلك الفتاة .. أقصد جثتها .. كانت على طاولة المفترض أنها كانت فارغة .

- وماذا عن جثة الفتاة محفوظة بالفورمالين ، هل وجدت بجوار الجثة أى شئ يدل على حقنها بالفورمالين .. محاقن مثلاً .. آنية .. سوائل .. أشياء كهذه.

- حاول عبدالنواب أن يتذكر .. كانت ذاكرته قوية منظمة طالما إفتخر بها .. كان من اليسير عليه ان يتذكر أى شئ حدث له ، حتى لو كان هذا منذ زمن بعيد

،ولهذا استطاع أن يستحضر بسهولة من ذاكرته، كيف وجد الفتاة ..لم يكن بجوارها أى شيء فقال بعدها واثقاً:

- كلا ..لم يكن هناك شئ من هذا.. كانت تلك الجثة راقدةً على المنضدة .. ولاشيء بجوارها على الإطلاق.

-وماذا فعلت حين وجدت الجثة ؟

-أسرعت حينها إلى أمن الكلية لأخبره ،كى يتصل بالشرطة، واتصلت بالدكتور نعيم لأخبره .

هز وكيل النيابة رأسه بتفهم، وصمت للحظات أخذ خلالها يعبث فى ولاءة سجائره دون أن يخفض عينيه عن عبدالنواب الذى أخذ يتحاشى نظراته .. بعد هنيهة عاد وكيل النيابة لأستلتهوهو يقرأ اسمين من ورقه أمامه :

-لقد ذكرت أن منصور ،ومتولى لم يكونا بالمشرحه حين أتيت ..أكان طبيعياً أن يغادرا المشرحه، ويتركأها مفتوحة هكذا ؟

-الطبيعى ألا يغادر المشرحه قبل أن نتأكد من إحكام إغلاقها .. وكان من المفترض أن يكونا بالداخل حين ذهبت ..لقد قضيا ليلتهما بما ليحرسأنا ، لكنى لم أجدهما حيث جنتها..

-إذا فقد تركا المشرحه قبل أن تأتى ،ولابد أن سبباً ما قد دفعهم لذلك .. برأيك ماذا قد يكون قد حدث؟.

-لست أدرى ..

صمت وكيل النيابة مرة أخرى ،واستمر بالعبث بالولاعة الحديدية لفترة ،ثم نظر إلى عيني عبدالدايم مباشرة ،وقال ببطء:

- في الآونة الأخيرة هل حدث شيء ما غير طبيعي بالمشرفة، لك أو لأحد زملائك.. هل لاحظت أمرا ما غير طبيعي في المشرفة، أو رأيت غريبا ما يحوم حول المشرفة.

هنا ارتفعت نبضات قلبه أكثر.. تردد عبدالدايم للحظة، وفكر.. هل يخبره ما حدث له بالمشرفة، أم يكتمه في نفسه.. لكنه في النهاية حسم أمره، وقص عليه ما حدث له.

ارتسمت ابتسامة استخفاف على وجه وكيل النيابة، وقال ساخراً:

- لقد أفتدنا كثيرا يا عبدالدايم بقصتك هذه.. على العموم إننا نتوقع منك أن تبادر بإبلاغنا بأى شيء تراه أو تسمعه، وتظن أنه قد يفيدنا في هذه القضية.. أليس كذلك؟

وعده أن يفعل، ولأنه لم يكن هناك ما يدينه فقد أمر وكيل النيابة، بإخلاء سبيله..

بعدها تم التحقيق مع حارسى أمن البوابة.. لم يضيفا الكثير، فقط ذكر الأول أنهما قد أتت في الصباح بعد الساعة بقليل وذكر الآخر، وكان هو المسئول عن الباب الخلفى للكلية، أشار إلى أن عم منصور ومتولى قد غادرا الكلية بعد صلاة الفجر مباشرة، ولم يرهما يعودان مرة أخرى.. وأضاف الحارس أنهما بدأ في عجلة من أمرهما، وكانا مرتبكين للغاية؛ بدت المعلومة مهمة وخطيرة، فوجد نفسه يفكر إن كان منصور ومتولى قد فعلاها.. أم أن هناك أمراً آخر قد دفعهما إلى ترك المشرفة في وقت مبكر كهذا..

انتبه للرائد محمد وهذان الذى دخل عليه في تلك اللحظة.. رجب به، و أشار إليه بالجلوس، وهو يقول له:

- أتمنى أن يكون الحظ قد حالفك، وتوصلت إلى شيء ما.

أجاب الرائد محمد بإجهدا وغيتسامة باهته تزين شففيه:

- لا شيء على الاطلاق.. لا أصدقاء لها بالكلية.. وقد تعرف عليها حارس الأمن بالكلية حين عرضت عليه صورتها، وأخبرني أنها كانت أول من أتى في الصباح من الطلاب.. كان هذا بين الساعة والسابعة والنصف صباحاً تقريباً.

- لقد أخبرني بهذا بالفعل، والجريمة قد اكتشفت في حوالى الثامنة.. إذن فقد تمت الجريمة في مدة لاتتجاوز النصف ساعة.. ألتجد أن هذا عسير التصديق.

- إنه كذلك بالفعل.. إننا نتحدث عن جريمة قتل، يقوم فيها القاتل بحفظ الجثة بالفورمالين بعد قتلها، ويقوم بعدها بإزالة آثار الجريمة، ثم يعيد كل شيء كما كان في المكان.. من المستحيل أن تتم جريمة كهذا مهما كانت مهارة القاتل، أو حتى عددهم لو كانوا عدة أشخاص في نصف الساعة.. أمر كهذا بحاجة لعدة ساعات على الأقل كي يتم بهذه الصورة التي رأيناها.

- إنه أمر محير بالفعل.. وواجبنا ان نكشف سر كل هذا الغموض.

قالها وكيل النيابة بإحباط، وخيم الصمت للحظات بينهما، بعدها عاد ليقول :

- وماذا عن أهل الفتاة؟.. هل أخبروك بشيء ما قد يفيدنا؟..

- حالهم في منتهى السوء.. الأم منهارة للغاية، والأب كذلك، إلا إننى استطعت التحدث إليه.

رقمه وكيل النيابة الشاب باهتمام وانتظر أن يكمل، فاستطرد الرائد محمد:

- هو يؤكد أن ابنته قد غادرت المنزل في السادسة والنصف بصحبته، حيث يقوم بتوصيلها بسيارته إلى الكلية كل يوم، وقد وصلوا إلى الكلية قبل الساعة بدقائق، فتركها أمام باب الكلية قبل أن ينصرف.

- إن هذا يؤكد رواية الشهود، ويؤكد توقيتنا المحدد للجريمة.. لكن ألم يخبرك لماذا جاءت مبكرةً هذا اليوم؟..

- يظن أنها ربما أرادت حجز مقعد في الصفوف الأمامية في مدرج المحاضرات ..  
لقد أخبرته قبلها أن المدرج يكون مزدحماً للغاية ويجب أن يأتي الطالب الذي  
يغى مقعداً متقدماً مبكراً قليلاً.

- هذا محتمل .. لكن علينا أن نعلم هل ذهبت إلى المشرحة من تلقاء نفسها  
أم أن هناك من دفعها لذلك .. ألم تعلم منه غن كان يشك في احد ما قد يفعل  
هذا .. أو اعداء له قد يقومون بأمر كهذا ؟ ..  
- إنه لا يصدق أن هذا قد حدث لإبنته .. إنه لا يتهم أحداً وذكر مرارا أنه لا  
أعداء له ..

- وماذا عن عاملا المشرحة اللذين غادراها دون سبب مقنع تلك الليلة .. ألم  
تصلوا إليهما بعد؟

- هناك من ذهب لإحضارهما .. لكن هل تعتقد أنهما قد يكونا الفاعلين؟  
- لقد غادرا المشرحة قبل حدوث الجريمة بوقت طويل، وهذا يعيد الشبهة  
عنهما .. لكنى أظن أن لديهما ما قد يفيدنا في قضيتنا هذه .. عليهما أن يفسرا لنا  
لماذا غادرا المشرحة هكذا وكأنهما يفران من شىء ما بهما .. ربما رأيا شيئاً ما قد  
يفيدنا أن نعلمه في قضيتنا تلك ..

"هكذا عجيب .."

هتف بما الدكتور هشام ، وهو يتطلع إلى جثة الطالبة التي يقوم بتشرحها  
بمعاونة الدكتور محمود ، ثم أشار إلى الجثة بتوتر ، وهو يقول:

-هذه أول مرة أرى شيئاً كهذا في حياتي.. لا نقطة دم واحدة في العروق..  
كيف يمكن أن يحدث شيء كهذا .. هذا مستحيل تماماً.

كانا يدركان أنه من المستحيل أن تخلو جثة ما تماماً من الدماء .. فلا بد أن  
تبقى كمية ما من الدماء في الجثة مهما كان ماتعرضت له من أذى .. فحتى لو  
قمت بتمزيق الجثة إربا فهناك دوماً دماء باقية في نسيج أو تجويف أو عرق ما..  
عقد الدكتور محمود كلتا يديه خلف ظهره، وهو يقول :

-السؤال الذي يجب أن نجيب عليه هو أين ذهبت دماء الفتاة؟! .. لا تقوب  
خارجية .. لا إصابات أو كدمات بأى مكان بجسدها.. جميع الأوردة والشرايين  
السطحية سليمة .. إذن كيف فقدت دماءها؟.

غمغم الدكتور هشام بصوت خفيض ؛ربما خشية أن يبدو رأيه سطحياً أمام  
أستاذه:

-ربما كان هناك نزيف داخلي بداخل أحشائها؟ ..

تطلع إليه الدكتور محمود للحظة قبل أن يهز رأسه نائياً:

-لا يوجد نزيف داخلي يفعل شيئاً كهذا .. أى نزيف داخلي هذا الذى لم يترك  
قطرة دم واحدة في عروق الفتاة؟.. فحتى لو انفجر الشريان الأورطى ، وتمزق  
تماماً، وأفرغ كل دمائه بأحشائها، سيبقى بعض الدماء بالأنسجة والشرايين ..  
الأمر يبدو هاهنا، وكأنما امتصت دماءها تماماً.

تطلع إليه د. هشام بفضول وحيرة، وغمغم بحذر:

- ألا توجد سابقة لشيء كهذا؟

- لو كانت هناك سابقة لجنة تخلو من الدماء، فإنني أجزم أنني لم أسمع عنها .. أن يفقد الإنسان كل دمائه، أمر لم نسمع عنها إلا في قصص مصاصي الدماء الخرافية.. وأرجو ألا تضطر في النهاية لإتهام مصاص دماء بفعل هذا معها.

ابتسم الدكتور هشام لطرافة التعليق، وقد تخيل أن يكتب تقريراً رسمياً يجعل فيه القاتل مصاص دماء، فقال مازحاً محاولاً تبديد بعض التوتر الذي يعصف بهما:

- ربما نلجأ لهذا التفسير في النهاية، لو عجزنا عن الإجابة عن الألغاز التي تتعلق بهذه الفتاة.

هز الدكتور محمود كتفيه، وهو يقول برصانة دون أن يلتفت لما في الأمر من دعابة:

- حتى لو كان من أحدث هذا مصاص دماء، فأين آثار أنيابه على جلدها .. إن عملنا قائم على العلم والأدلة والبراهين، ولو قدمت لهم احتمالاً كهذا، عليك قبلها أن تجربهم من أي وعاء دموى امتصت دماؤها، كما أن عليك أن تجيب عن سؤال آخر مهم للغاية..

رمقه الدكتور هشام بترقب، واهتمام، وهو يعدل من وضع نظارته الطبية فأكمل:

- كيف تم حقن أوردتها بالفورمالين دون أن نجد أثراً واحداً لذلك الحقن. جالت عيننا الدكتور هشام على الجثة صامتاً .. لم يكن يملك إجابة لتساؤلاته، وإن كان قد شعر بالارتياح لوجود الدكتور محمود معه .. تخيل كل هذه الأسئلة التي عليه أن يجيب عليها، وماذا سيفعل لو لم يكن الدكتور محمود معه ..

أخرجه الدكتور محمود من خواطره، وهو يلتقط أحد أدوات الجراحة بيده ،  
وينحنى نحو جثة الفتاة قائلاً:  
-إذن هيا بنا نكمل عملنا ،فرمما وصلنا إلى إجابات لخيرتنا هذه..

(15)

فى اليوم التالى جلس الدكتور نعيم على مكتبه شارداً مكتبياً. هل يتحول عامه الأول كرئيس لقسم التشريح بالكلية إلى كابوس وفشل .. فى البدايه كان عدد غير كافى من الجثث .. بعدها أحداث غريبة تجرى فى المشرحة لأول مرة .. والآن هناك طالبة تُقتل بصورة غامضة بالمشرحة ، ومازالت عجلة الألغاز تدور وتمرح بلاخاتية ..

ترى ماذا يجباله الغد؟..

كان بحجرتة الدكتور مصطفى صديقه الحميم ، وإن كان يكبره بأعوام .. كان الرئيس السابق للقسم ، قبل أن يصل للسن القانونى للمعاش ، فانتقلت رئاسة القسم له بعدها ..

قال الدكتور مصطفى ، وهو يتابع الدكتور نعيم الذى اشعل سيجارته -ربما- المائة فى هذا اليوم:

- أشعر أن هناك أمراً غامضاً يجرى فى الخفاء بالمشرحة .. لست أظن أن حادثه قتل تلك الطالبة جنائى تماماً.. إن خلف مقتلها لغزاً ما ..

هز الدكتور نعيم كفه التى تقبض على سيجارة باعياء ، وقال متسائلاً:  
-وهل تعتقد أن الأمر بحاجة للمزيد من الألغاز .. لقد ماتت الفتاة وهذا يكفى لأن يصير الأمر كابوسيا لي .

-لكنى لا أجد أى مبرر لقتل تلك الطالبة ، كما أننى لا أفهم ماهدف القاتل من حفظها بالفورمالين؟ .. إننى أتساءل ، هل نواجه هاهنا مختلاً عقلياً قاتلاً ويعيش بيننا؟.. وإن كان الأمر كذلك ، فمن تراه يكون ؟

- إن كل هذا لايهمنى، كل ما حنقنى هو أمر واحد.. فمهما كان ما يصبو إليه ذلك القاتل الحقيق، فقد نجح فى إفساد العام الدراسى برمته ..

هنا قال الدكتور مصطفى بحزم محاولاً انتزاعه من كآبته :

- أنت تبالغ كثيراً فى هذا يا نعيم.. إنها مجرد أحداث عابرة وستمر ، وسيعود كل شيء بعدها كما كان وأفضل.. كل عام وله مشاكله .. لقد واجهت مشاكل مماثلة من قبل كنت شاهدا عليها حينها ، وجميعها انتهت كما تعلم .. هل تذكر مشكلة المعدات التى سرقت منذ عامين.. لقد كاد الأمر أن يصل للنيابة ، وفى النهاية انتهى الأمر ومر ..

تطلع إليه الدكتور نعيم بشك ، وكأنه لا يثق فيما يقوله الدكتور مصطفى ، واستمر بتدخين سيجارته ، ثم غمغم بصوت خافت لم يسمعه هو نفسه تقريباً:  
- أتمنى هذا !

ارتفع صوت طرقات على الباب فرفع رأسه نحو الباب وصاح:  
- ادخل ..

كان القادم هو عم منصور.. كان يحمل وجهاً شاحباً مكدوداً ومرهقاً ، احتشدت تجاعيده، وتكاثفت فأضفت عشرات الأعوام فوق عمره .. بدا كأنما لم ينم منذ أعوام ..

بادره الدكتور مصطفى مرحباً، ومشفقاً مما حدث له :

- إذأ فقد عدت يارجل .. متى أطلقوا سراحك؟ ..

ارتسمت ابتسامة باهتة على فمه قبل أن يجيب:

- منذ قليل .. لقد أخرجونى بعد التحقيق معى، ومتولى كذلك.

أشار إليه الدكتور نعيم بالجلوس قائلاً:

-اجلس يا منصور ..وقل لى أولاً ..لماذا تركتم المشرحة أول أمس قبل الفجر  
كما علمت؟

جلس عم منصور بإعياء ، وابتلع ريقه بصعوبة ، قبل أن يقول بإرهاق:  
-لا أدري هل ستصدقونى، أم تتهمونى فى عقلى، كما فعلوا معى فى النيابة ؟  
قال الدكتور مصطفى مطمئناً إياه باهتمام حقيقى:

-لن يحدث هذا منا نحوك ..ومهما كان ماسوف تجربنا بع غريباً فلن  
نكذبك..إن رجال الشرطة والنيابة لايعرفونك،ولهذا قد يشككون فيماقوله؛  
لكننا هاهنا نعرفك جيداً، وكلنا يعلم مدى صدقك وأمانتك.  
أطرق رأسه للحظة متردداً، قبل أن يقص لهم ماحدث له ،ولمتولى بالمشرحة  
..استمع إليه الاثنان بتعجب ودهشة ..لكنه ما إن انتهى حتى فوجئ بالدكتور  
نعيم يصيح فيه بعصبية:

-وهل تطلب من عاقل أن يصدق قصة مثل هذه .؟ أنت تتحدث مرة أخرى  
عن الجان والعفاريت ،وتلك الخزعبلات التى لا أول لها ولا آخر ..هذه أشياء؛  
كما قلت لك تصلح أن تقصها فى قريتك فى ليالى الصيف لتخيف الصغار  
والبلهاء..ربما توهمتم ماحدث لأنكم تناولتم شيئاً ما ،أو ربما كان هناك من يريد  
إفراغكم ؟..

فوجئ عم منصور بعصبية وسخرية الدكتور نعيم ،فلاذ بالصمت إلا أن  
الدكتور مصطفى مال نحوه ،وقد عدل من جلسته ،وقال باهتمام:  
-هل قلت أن من هاجم متولى كان فتاة؟..

التفت إليه عم منصور ،ورد بجذر:  
-هذا مقاله متولى..لقد كنت بداخل الغرفة ،ولم أر أى شيء مما حدث له .  
-وهل رأها جيداً؟ ..أعنى هل يستطيع أن يصفها مثلاً؟

صمت عم منصور ،فقد خشى أن يسخر الدكتور نعيم من إجابته؛ إلا أنه حين وجد أن كليهما ينظران إليه بتربق في انتظار إجابته ،طرح تردده جانباً، وأجاب ببساطة:

-يقول إنما جئنا الفتاة التي جلبها للمشرفة.

تطلع الاثنان إليه بدهشة قبل أن يطلق الدكتور نعيم ضحكةً ساخرةً، ويقول:  
-جئنا الفتاة هي من هاجمته؟..أى مخدر رديء تناوله هذا الأحمق ..إنما جئنا..جئنا يارجل انتهى أمرها للأبد ..هل رأيت جئنا من قبل تهجم أحداً ما؟..هل ردت إليها الروح من أجل أن تخيفه، ثم عادت لموتها ثانية؟ ..إنكم تهزلون يارجل وتمزحون...

وجم عم منصور ،وأطرق برأسه أرضاً، بينما غرق الدكتور مصطفى في التفكير.. فأكمل الدكتور نعيم بضجر :

- من الأفضل أن تحتفظوا بقصصكم وأوهامكم هذه بصدروكم ..وإياكم أن تحدثوا أحداً ما عنها ..لا أريد المزيد من اللبلة هنا ..كفانا هاهنا حادث مقتل الفتاة ..

كان عم منصور قد توقع ألا يصدق، وأعد نفسه لهذا ،فلم يضايقه عدم تصديق الدكتور نعيم لما يقوله .. كما أنه لم يأتي الآن من أجل هذا، بل جاء من أجل غرض آخر ،لذا قال بهدوء :

-أريد أن أخبرك يادكتور أن جميعنا صار يشعر بالفرع من المشرفة ،ولا أحد منا يرغب في المبيت في المشرفة بعد الآن..لقد طالبني كل العمال بإبلاغك بهذا.

هنا أجابه الدكتور نعيم بلا مبالاة:

- لا بأس بهذا .. أنا أيضاً أرى أنه من الأفضل ألا يتواجد أحد ما بالمشرحة هذه الأيام ، بعد انتهاء اليوم الدراسي .. لكن عليكم أن تتأكدوا من إغلاق المشرحة بإحكام، قبل أن تغادروها كل يوم .

شعر عم منصور بالارتياح لهذا القرار فشكره وانصرف ..

وقال الدكتور نعيم بعدها محدثاً الدكتور مصطفى بعد أن اختفى عم منصور:

- هل سمعت مايقوله ؟ .. إنه يتحدث عن جثة عادت للحياة كى تعبت معهم ..

إننى بالكاد أصدق أننى أسمع هذا الهراء ، هل تتخيل ماذا سيحدث لو سمع

الطلاب مثل هذا الهراء .. ستعج المشرحة بالفوضى التامة.

- إننى أوافقك بالتأكيد فى ضرورة أن نكتم مثل هذه الأخبار عن مسمع

الطلاب منعاً للبلبة .. لكننى أعلم منصور هذا جيداً، ولا أعتقد أنه يكذب .. هناك

أمر ما غير مفهوم يدور هاهنا ، ولهذا أرى أن نتحقق من الأمر ، وألا نكتفى

برفضه، وتجنب التفكير فيه ، إن جريمة القتل التى تمت هاهنا مازالت أسبابها

غامضة ، وأخشى أن أقول إننى أتوقع ألا تكون الأخيرة .

(17)

ابتسم الدكتور محمود ،حين رأى الدكتور هشام يدلف باب حجرة مكتبه،  
وقال الأخير محرّجاً:

-أرجو ألا أكون قد أزعجتك أو عطلتك عن عمالك حين أتيت بغير ميعاد.  
أجابه الدكتور محمود على الفور ،وهو يدعو للجلوس مرحباً وابتسامة عريضة  
،ومرحبة ترسم على وجهه:

-بل لقد اسعدتني زيارتك هذه يادكتور هشام،بل وقد كنت أنتظرها في  
الواقع.. لكن أخبرني في البداية ،ماذا تحب أن تشرب؟  
- لو كنت مصرّاً فهي القهوة السادة.

استدعى الدكتور محمود عامل البوفيه، وأمره بإحضار فنجانين من القهوة  
السادة ،وما إن انصرف ،حتى سأل الدكتور هشام باهتمام:  
-ماهى آخر أخبار التحقيقات بشأن مقتل طالبتنا..هل هناك من جديد.  
أجابه الدكتور هشام بسرعة ،وكأنه ينتظر هذا السؤال :

-لقد أتيت اليوم من أجل هذا ..إنهم يطالبونى بتقرير عن سبب الوفاة ..  
وبالطبع من المفترض أن نشترك في إعداده معا ..فأنت مثلى صرت مكلفاً  
بإعداده بصورة رسمية.

هز الدكتور محمود رأسه متفهماً قبل أن يقول:

-في الواقع سبب الوفاة هو سبب تأخيري في تقديم تقريري بنتيجة التشريح ..  
فما زلت لأعلم كيف ماتت تلك الفتاة ،كما أنى افنقد لإجابات الألغاز  
الأخرى التى واجهتنا معا حين قمنا بتشريح جثة الفتاة ..فجثتها كانت خالية من  
الدماء بلاسبب..ولاندرى كيف تم حقنها بالفورمالين ..وكيف تم هذا في تلك

الفترة القصيرة التي لاتتجاوز النصف ساعة ..لاحظ أننا لم نستفد كثيراً من تشريح الجثة ..فباستثناء الأنسجة المتشعبة بالفورمالين لا شيء آخر ذو بال وجدناه .غير القلب الضامر الفارغ تماما من الدماء هو الآخر..

### It was completely collapsed-

-هذا صحيح ..إننى لم أرى شئ كهذا من قبل ..بدا وكأنه بالون تم تفريره من الهواء تماما..تمتيت لو إحتفظت بالقلب لنتم دراسة كيف صار هكذا ..أعتقد أننا لو فعلنا لإكتشفنا ظاهرة جديدة .

-الجثة كلها تصلح للدراسة كظاهرة جديدة وليس القلب فقط يادكتور محمود.. إنها كنز حقيقى لعلماء الطب الشرعى والتشريح.

-لا أعتقد أن أهلها سيوافقون ابدا على أمر كهذا ..إن العبث بالجثث أمر مرفوض تماما فى مصر كما تعلم .

مط الدكتور هشام شفتية بتوتر وغمغم:

-هذا صحيح للأسف ..لكن دعنا من هذا وأخبرنى.. ماذا تقترح أن نكتب

فى تقريرنا ؟!

-لا أدرى يابنى ..حقاً إننى مستاء ؛لأننى لم أقدم لك الدعم الذى كنت تتوقعه

منى .. لكن القضية غامضة بالفعل بصورة لم أعهد لها من قبل ..

صمتا لبعض الوقت قبل أن يقول الدكتور هشام بتردد:

-أرجو ألا تسخر منى فيما سأقوله لك ..إننى أشك أننا نواجه أمراً غير مألوف

فى قضيتنا هذه ..أمراً أشبه باللعنات الغامضة والأموور الخارقة .فلا يوجد أى

شيء منطقى فى هذه القضية على الإطلاق ..والكيفية التى ماتت بها الفتاة من

المستحيل علميا أن تكون فعلاً بشرياً ..ألست توافقنى فى هذا ؟.

رمقة الدكتور محمود بدهشة، وصمت مفكراً في كلماته، وهو يهز رأسه ببط ثم قال بمجدوء:

- لا أرحب في الواقع بهذه التفسيرات الخوارقية .. ودائماً أنفر منها .. لكن للأسف هذه أول مرة لا أرى البديل المنطقي عنها .  
دخل عامل البوفيه في هذة اللحظة ، ووضع القهوة أمامهما ثم انصرف بصمت، فاستطرد الدكتور محمود متسانلاً، وهو يشير بيده نحو القهوة داعياً الدكتور هشام لتناول فجاجانه:

-وماذا عن البصمات والأدلة الأخرى؟.. هل قادتكم إلى شيء؟  
تناول الدكتور هشام فنجان قهوته، وارتشف رشفةً منه ثم أجاب :  
-لم تصنف شيئاً.. فلا بصمات غريبة وجدوها ،غير بصمات العمال ، والأطباء بالقسم..إنها قضية الألغاز الكثيرة للجميع.  
تناول الدكتور محمود فجاجانه هو الآخر، وارتشف منه رشفةً صغيرةً، وسأله:  
-وماذا عن المشتبه فيهم ..سمعت أنهم في البداية اشتبهوا في عاملين بالمشرحة قبل أن يطلقوا سراجهما..  
-لم يصلوا معهما لشيء ..والفتاة كذلك لا أعداء لها أو لأهلها .. ولم يتهم والدها أحداً ..

صمت بعدها للحظة؛ ليشرب بعض قهوته، وأكمل::  
-رجال المباحث أيضاً يتخبطون في الظلام،فلاخيطة أمامهم ليمسكوا به في هذه القضية..إنها أغرب قضية رأيتها في حياتي!..  
أنهى الدكتور محمود قهوته، فوضع الفنجان أمامه، وقال وهو يمسخ فمه بمنديل ليزيل آثار القهوة عنه:

- إذاً فعلينا أن نتمهل قليلاً قبل تقديم تقريرنا.. لقد نويت أن أرسل نتائج التشريح ،وبعض الصور إلى بعض أصدقائي بالخارج لآخذ مشورتهم.. فرمما صادفوا في عملهم شيئاً كهذا لم يصادفه في عملنا هنا.. وربما كانوا أكثر حظاً منا وعلموا كيف تم الأمر.

كانت فكرة جيدة ،راقت للدكتور هشام كثيراً ، فقال بحماس:  
- اقتراح ممتاز.. فعقول عدة تفكر في القضية خير من عقل واحد بالتأكيد ،  
وربما مانراه هنا للمرة الأولى ،قد صادفه غيرنا من قبل ..سوف أنتظر نتيجة مراسلاتك، وسوف أتابع التحقيقات في القضية، فرمما قادتنا جميعاً لشيء ما .  
نخص بعدها لينصرف، وقال مودعاً، وهو يمد يده مسلماً على الدكتور محمود وعلى شفتيه ابتسامة مرهقة:

- لو اكتشفت شيئاً سأخبرك على الفور .. وسوف أنتظر نتائج مراسلاتك ..  
نخص الدكتور محمود مودعاً، وراقبه حتى غادر الحجرة .. ثم عاد لمقعده ثانية ،  
وظل صامتاً لفترة قبل أن يقول بشرود:  
- أتكون حقاً لعنة ما ؟ ..

صمر أسبوع كامل، و لم يحدث خلاله أى شيء غير طبيعي بالمشرحه .. قرر مجلس القسم لمادة التشريح خلالها ، مد فترة الدراسة النظرية للطلاب، قبل السماح لهم ببدء الدراسة العملية على الجثث بالمشرحه ..

راح الجميع خلال هذا الأسبوع يترقبون أن يحدث شيء ما بالمشرحه .. لكن بعد أن انتهى هذا الأسبوع بحدوء دون أن يعكس صفوه شئ ما ، قرر الدكتور نعيم رئيس القسم بدء إعداد الجثث للدراسة ..

كان الأمر يقتضى تشريح أجزاء بسيطة من الجثث فى البداية ، وليس كما يتخيل البعض بأنه يتم تشريح الجثة بأكملها مرة واحدة ..

فمثلاً، يدرس طلاب الفرقة الثانية الرأس والعنق؛ لذا يقتضى الأمر فى البداية إظهار بعض الأعصاب والأوردة والعضلات لهم مع عدم المساس بمساراتها الأصلية؛ كى يرى الطالب بعينه وضع ومسارات هذه الأنسجة الصحيح بالجسم .. كما يدرس طلاب الفرقة الأولى فى البداية الطرفان العلويان .. وهذا يقتضى تشريح هذه الأجزاء فقط ..

كان من يقوم بعملية التشريح هم المعيدون القدامى بالقسم وليس الطلاب بالطبع.. الجثث قليلة للغاية ومن العسير تعويضها لو أتلف طالب ما جزء منها، لذا لا يقوم الطلاب بالتشريح إلا فيما ندر .

بداخل قاعة المشرحه التف ثلاثة معيدين حول الجثث من أجل تشريحها.. كانت عملية شاقة لاحتتمل أى خطأ.. فالقاعدة هنا صارمة للغاية؛ إياك أن تمزق أو تغير من مسار أى عضلة أو عصب أو وعاء دموى .. عليك أن تكشفه، وتظهر مساره بحرص ثم تتوقف ..

كان الثلاثة هم ،الدكتور شريف ،والدكتور حاتم ،والدكتورة زينب ،وراح كل منهم يعمل بمفرده على إحدى الجثث .

قال حاتم مازحاً بطريقته الساخرة التي اعتادها زملاؤه، وهو يمسح بكمّ الباطو الأبيض الخاص به حبات من العرق تفصدت على جبهته بسبب الحر ورائحة الفورمالين الخائفة التي تحيط بهم:

-لم أتخيل حين دخلت الكلية أن ينتهي الأمر بي هكذا..كنت دوما أرى نفسى طبيبا منهكما بإنقاذ عشرات الأرواح في وقت واحد وحوله عشرات الممرضات ينتظرن أوامره ..والأن إنتهى بي الأمر بالعمل كصبي جزار في هذه المشرحة.

ابتسمت زينب لدعابته، وقالت دون أن تنظر اليه، وهي تبحث بعينيهما عن أفضل نقطة يظهر من خلالها أحد أوردة الرأس في الجثة التي تعمل عليها:

-ومن الجزارون إذا، مادمت أنت الصبي ؟..

-أطبأؤنا العظام بالقسم بالطبع..أبناء أبي الهول ياعزيزتى..هل ترين جزارين حولك غيرهم ..كلنا هاهنا يا صغيرة جزارين ،لكننا نختلف عن الآخرين بأننا ببدلة أنيقة ،ورباطة عنق لطيفة.

أطلقت زينب ضحكة خافتةً ،في حين قطب شريف حاجبيه بضيق، وقال له جاداً، وهو يتوقف عن عمله ويلتفت نحوه :

-ألا تكف مرةً واحدةً عن السخرية من الأساتذة الأجلاء هاهنا..أنت تتصرف دائماً كطالب خائب ،لايجيد إلا السخرية من معلميه ،كى يدارى فشله وبلادته.

رد عليه حاتم بلهجة ساخرة على الفور :

-لن أفعل ،قبل أن تكف أنت عن لعب دور الطالب المتملق لأساتذته ؛كى يصل الى مآربه..

رمقه شريف بعصبية ،وقد احتقن وجهه ،وقال بغضب، وهو يلقي بأدواته الحادة التي يعمل بها فوق المنضدة الرخامية التي أمامه :

- أنت تعلم أننى لا أتملقهم ولا مآرب لى عندهم ..إننى أحترمهم، وأقدر علمهم ،وإذا كنت تفسر الاحترام تملقاً؛ فأنت مريض وفي مشكلة حقيقية.

- أحقا لاتفعل ولاتملقهم؟!..يبدو أننى قد اخطأت الحكم عليك يارجل ، وهذا يعنى أن علي أن أعتذر إليك، أرجوك لا تخبرنى أن علي أن أفعل.

هنا اشتعلت شياطين الغضب كلها فى وجه شريف..ورمق حاتم بنظرات نارية ، وفكر للحظة أن يتشاجر معه قبل أن يتمالك نفسه، وينهض بغضب، ثم ركل مقدمه بقدمه؛ فسقط بصوت مدوى ،وغادر المشرحة ،وهو يهتف بحق:

- أنت بالفعل إنسان لايطاق ..ويوماً ما سوف ترى أننا سيعلو شأنه ،ومن سيظل كما هو دائماً ولن يتغير.

كان يكره جداً أن يصف أحد ما أسلوب تعامله واحترامه الشديد لأساتذته بالقسم بالتملق والنفاق..إنهم أساتذته ومعلموه..ألم يمدحهم الله فى كتابه حين قال (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، أفلا نعطيهم نحن حقهم فى الاحترام والتقدير لمكانتهم .. كان دوماً ييوح لزملائه بهذا الكلام المنمق الرائع .. لكن هل كان حقاً يؤمن بما يدعيه؟..

كان فى أعماقه يدرك أنه بالفعل يتملقهم ،ويتودد إليهم لأسباب آخرها هو احترام مكانتهم العلمية كما يزعم..كان يتطلع لأن يصل إلى أعلى درجة ممكنة له فى أقصر وقت، وكان يرى أن طريق النفاق هو أقصر الطرق جميعاً.

إنه الطريق المباشر للارتقاء منذ بداية الحياة، وحتى نهايتها ..إن تاريخنا يعج بالمنافقين منذ الفراعنة ..ألم ينافق الشعب فراعينه فبعدهم ؟..أن النفاق ليس مذموماً دائماً مادام لن يضير احد ما به .. كان يرى أن أمثال حاتم هؤلاء حمقى

يبدون مستقبلهم المهني بأيديهم .. من المستحيل أن ترتفع مكانتهم، بسخريتهم ومزاحهم هذا ..

لكنه كان يكره من يشعره أنه يعي مايجول بنفسه .. وكان حاتم أحدهم هؤلاء .. كان يحقنه تفوقه الدائم عليه .. فترتيبه في الكلية دوماً كان يسبقه، وسرعة استيعابه كانت مثيرةً لحنقه .. كان يشعر بالتعري أمامه مهما حاول أن يتسلح بأقنعة مزيفة .. كان هذا سبباً حقيقياً لكرهيته له، و كان هناك سبب آخر يحاول جاهداً ألا يدركه أحد .. كانت بينهما زينب .. الدكتوراة زينب الوكيل!!

الفتاة التي يحلم بها ويتمناها، ويشعر أنها تنتمي لعالم حاتم !  
كان يثير جنونه أن يسخر منه حاتم أمامها .. ويود أن يمزقه بأسنانه لو لمح ابتسامة ترتسم على محياها من سخريته منه .. لذا كان دوماً، إما أن يتشاجر معه، أو يحدثه بأسلوب عنيف، ومحاولاً تسخيف دعاياته وأفكاره .. هذه المرة لم يرغب في أن يتطور الأمر إلى شجار، لذا اختار أن يغادر المشرفة، ولينتظر حتى ينتهي من عملهما، ليعود ويكمل عمله هو الآخر ..

بالداخل توقفت زينب عن عملها، واعتدلت على كرسيها، ورمقت حاتم بإعجاب، وهو منهمك في عمله .. كانت تحب سخريته، وتهيم بلامبالاته وتعشق وسامته ..

كانت مثل هذه الأشياء، تذكرها بأبطال الروايات الرومانسيين، فرسان الأزمنة البعيدة .. أما شريف فكان يذكرها دوماً بالموظفين الحكوميين، ذلك الصنف الذي يشعرها بالرتابة والملل، كان حاتم هو التجديد والمغامرة، وكان شريف هو الجمود والثبات .. كانا مختلفين، ولم يكن صعباً على قلبها أن يختار بينهما .. كان فارسها هو حاتم ..

وبالرغم من هذا قالت له معاتبته فور انصراف شريف غاضباً:

- لقد كنت قاسياً معه يا حاتم .. لم يكن هناك حاجة لأن تنعته بالنفاق وتسخر منه هكذا.. كان من الممكن أن تتغاضى عما قاله لك.

هز حاتم كتفيه باستخفاف ، وهو ينتهي من فصل طبقة من الجلد تغطي وريداً صغيراً ، وقال :

- لكنه يوافق ويتملق بالفعل ، فلماذا التجمل إذن؟! ..

- لكنه زميلنا .. وبعض اللباقة في التعامل معه لن تضير .

أطلق ضحكةً ساخرةً دون أن يتوقف عن عمله، وهو يجيب :

- إنك محقة في هذا.. أنا سأعامله بفظاقتي، و عامليه أنت بلباقتك.. وهكذا يتحقق التوازن في المعاملة.

ابتسمت، وهي تدرك أنه لافائدة من محاولة إثناؤه عما يفعله، فعادت لتواصل عملها .. أخذت تقطع بيديها الأنسجة بمهارة، لكن عقلها كان في كون آخر يرح فيه في عوالم من الجنان .. عوالم يرسم حدودها حاتم فقط ولا أحد غيره.. وتنهدت بصوت خافت كي لا يلحظ ما يجول بخاطرها

(19)

اطمئن شريف إلى خلو المشرحة من حاتم وزينب، قبل أن يعود إليها ثانية.. كان يشعر حينها بضيق شديد، وتمنى لو غادر المكان بأكمله.. لكنه لم يكن قد أنهى عمله بعد، فلم يكن أمامه إلا أن يعود ثانية..  
اتجه إلى جثة الفتاة.. كانت هي التالية بعد أن أنهى العمل بجثة رجل مشنوق.. جمع حاجياته وأدواته من حول تلك الجثة التي أنصدها، واتجه بتؤدة إلى جثة الفتاة..

سمع خطوات أقدام خلفه، فالتفت إلى صاحبها.. كان جمال عامل المشرحة أو البرميل المتحرك؛ كما يجب أن يدعوه بين زملائه.. قال له بشيء من الحزم والتعالي، كما اعتاد أن يعامل كل العمال:

-لماذا تقف خلفي هكذا.. هل تريد شيئاً ما؟!

أجابه جمال بسرعة، وهو يمسح عن جبهته عرقاً احتشد عليها:  
-إنها الثالثة والنصف يادكتور..

أخذ شريف في ترتيب أدواته على المنضدة التي أمامه بجوار الجثة، وهو يقول ببرود:

-وهل يعنى هذا أمراً ما مهما؟

-إنه موعد انصرافنا، ولم يبق إلا حضرتك، وأنا هنا بالمشرحة.

-لنتنظر قليلاً.. إنها نصف ساعة فقط، وسأنتهى بعدها لنغادر سوياً.

رد عليه جمال بإحراج بعد سبه في سره:

-إن أتوبيس الساعة الرابعة الذى يقل الموظفين من الكلية، سوف يتحرك بعد قليل، وأرغب في أن أستقله. فجئت لأستئذنك أن أنصرف لألحق به.

لم يجبه شريف على الفور ، كما اعتاد أن يفعل حين يطالبه أحد العمال أو الطلاب بشيء ما .. كان يعجبه دوماً أن يشعرهم أنه الرجل المهم صاحب القرارات، حتى لو كان الأمر تافهاً .. كأن يأتيه أحد الطلاب مثلاً راجباً في تغيير مجموعته لمجموعة أخرى.. حينها كان يتأخر في اتخاذ قراره ؛ كي يوحى لمن أمامه أن مايطلبه منه أمر جليل يستحق التأمل والتفكير، قبل أن يقرر.

لذا قال بعد فترة جاوزت الدقائق الثلاث، متشاعلاً خلالها بتجهيز أدواته، وجمال يراقبه بضيق وتململ، ولايكف عن سبابه في أعماقه:

-حسنا يمكنك أن تنصرف ،وسأتولى أنا إغلاق الباب خلفي بعد أن أنتهى من هذه الجلسة.

-ولكن الدكتور نعيم أمر ألا يمكث أحد بالمشرفة بمفرده أبداً.

-لا شأن لك بما أمر به الدكتور نعيم.. اذهب الآن ولا تضع وقتي.

قالها بصرامة فانصرف جمال محرراً حانقاً عليه، متسائلاً في نفسه عن السبب الذى يجعل البشر يتعالون على بعضهم البعض .. إنها وضاعة الأصل، والغرور .. من المستحيل أن يتصرف بتلك الطريقة الخشنة أحد من أصل طيب .. هكذا كان يرى السبب ..

لكنه بعد ثوان كان قد نسى كل شيء .. فما كان يهيمه حينها هو أن يلحق بأتوبيس الكلية، وأن يجد به مقعداً شاغراً ، كي لا يضطر للوقوف فيه حتى يصل إلى بيته.

أما شريف فقد واصل عمله، كشف الغطاء البلاستيكي عن الجلسة التى أمامه، فطالعه وجه الفتاة بملاحظة لم يطمسها الموت، ولا حجبها الفورمالين .. جميلة للغاية و فاتنة صاحبة تلك الجلسة..

تطلع إلى ملامحها الدقيقة وتنهده.. كانت تمثل الجمال الذى يحلم بأن يقتنيه يوماً ما حين يتزوج.. ويخشى دائماً ألا يظفر به لدمامته التى لا تخفى عليه ..  
لكنه سرعان ما نفى تلك الأفكار التى راودته عن عقله، وامتدت يده إلى كفها الأيسر ليبدأ عمله، وبلا تردد مزق الجلد الداكن قليلاً بتأثير الفورمالين، كاشفاً عن أنسجته وأوردته بمهارة حقيقية.. اقترب من الوريد الأزرق الداكن، وحاول أن يحدد مساره بعينه، ثم أخذ يفصل طبقة الشحوم الخفيفة من حوله محاولاً ألا يصيبه.

لكنه دون أن يشعر فوجئ بالمشروط الحاد الذى يعمل به يخترق الوريد فيمزقه.. كان خطأً معتاداً وكثيراً ما يحدث، وإن لم يتمن أن يحدث معه ..  
اخترق المشروط الوريد؛ فاندفعت منه على الفور الدماء الحمراء القانية .. دافئةً، سائلةً ولزجةً.. لوثت يده التى يعمل بها، وتسرب بعضها إلى الأرضية مكوناً بقعةً من الدماء راحت تتسع ببطء.. تطلع إلى الوريد بذهول، وهو يغمغم متراجعاً بظهره للخلف:

-دماء طازجة .. أى عبث هذا؟!

كان من المستحيل أن تتواجد دماء طازجة فى أى جثة بالمشرحة.. فالدماء سريعاً ما تتجلط فور الوفاة.. هذا ماتعلمه، وراه دوماً ..

فمن أين جاءت هذه الدماء الطازجة الدافئة التى تنساب بغزارة الآن؟..  
حانت منه التفاتة إلى وجه الجثة فارتعد..

كان وجهها حينئذ مرعباً وممتلاً بالغضب.. كانت ترمقه بعينين براقبتين انقعدت حواجبهما المرسومة بدقة فى غضب، وتقلصت العضلات حول فمها بصورة ذكرت له بوجه أمه حين كانت تقسو عليه وتعاقبه .

دقات قلبه تحولت لطبول إفريقية تقرع صدره بلارقيب وضافت أنفاسه فشعر بالاختناق.. تراجع بظهره للخلف، وحاول أن ينهض من مقعده مبتعداً، فخذلته قدميه فهوى مع المقعد أرضاً.. شعر حينها بألم حاد بذراعه الأيسر؛ حيث اخترقه المشروط الذى كان يحمل به يده الأخرى ..

لم يبال بإصابته، ولا بدمائه التى انهمرت بغزارة من ساعده ، وهو يحدق بعيون جاحظة مذعورة للجنة التى دبت فيها الحياة فجأة، لم تعد جثة الآن، وزال من جسدها كل أثر للموت .. نهضت من رقدتها وأخذت ترمقه بابتسامة ساخرة.. لاحظ برعب أن ذلك اللون الداكن المميز للجثث المخنطة قد زال عن بشرتها الآن.. لاحظ صدرها العارى الذى اختفى عنه تفضنه ، فاستدار وصار مشيراً بصورة لا تقاوم ..

طالما حلم فى يقظته من قبل بامرأة تمتلك صدراً مثله .. لكن مثل تلك الأفكار لم تراوده فى هذه اللحظة ، لقد أذهب الهلع عقله، وذكرياته، وأحلام يقظته .. صرخ وهو يرتطم بمنضدة اعترضت طريقه، وهو يتراجع بظهره، فسقط أرضاً مرة أخرى ..

أراد أن يتلو آية الكرسي، فلم يتذكرها، كأنما تبخرت فجأة من عقله .. استمرت الفتاة فى التقدم نحوه ، وأخذ يتراجع بظهره زاحفاً ، كأنما يخشى أن يوليها ظهره فتتقض عليه من الخلف .. حانت منه التفاتة إلى يدها التى قام بتشريحها منذ قليل فوجدوا سليمة لا أثر لمبضعه فيها..

وفوجئ بما تقول بصوت رخم، وهى تمد نحوه يدها كأنما تدعوه إليها:  
- لا تخف أيها الصغير الجميل.. اقترب منى ولا تخف.. وأعدك ألا تشعر بشيء..  
هذه المرة انطلقت صرخاته المكتومة، فاستدار ، واندفع نحو باب المشرحة ليجده مغلقاً ، ازداد رعبه ، وقد أيقن أنه قد صار حبيساً معها فى المشرحة

بمفردهما.. فأخذ يطرق الباب بجنون عسى أن يسمعه أحد ما بالخارج فيأتي  
لنجدته .. ومن خلفه وصله صوتها قريباً من أذنه كثيراً، قائلاً:  
- كلكم حمقى.. هكذا أنتم أيها البشر.. أنتم حمقى بالفعل.  
شعر بأنفاسها الحارة تصطدم برقبتة من الخلف.. انتشر في الفراغ عبق أنثوى  
مثير.. استدار بيأس؛ ليجدها خلفه تماماً، ويديها تمتدان نحوه.. حاول أن يدفعها  
بعيداً عنه بيديه، لكن يديه خانته فلم تستجيبا له.. أحاطت وجهه بأنامل رقيقة  
حانية، وهي تقول بصوت مخيف، وابتسامتها المخيفة تتسع في وجهها كله:  
- لقد صرت لى الآن يا صغير.. توقف عن المقاومة، ولا تخشى شيئاً.. سينتهى  
الأمر سريعاً فلا تقلق.  
هذه المرة قررت مراكز المخ العلوية، أن وقت الإغماء قد حان.. فهوى على  
الأرض مغشياً عليه.. للأبد.

**تقدم** ولت الأيام الطبية لتفسح للأيام التعيسة مكانها ..

هكذا فكر رئيس المباحث الرائد محمد وهدان ، وهو يرمق بحنق جثة الدكتور شريف الرافدة أمامه على أحد مناضد المشرحة ، وقد اكتسبت بشرتها لونا بنيا ، لا يختلف عن باقي الجثث المجاورة ، وتم حفظها بالفورمالين هي الأخرى . راقب خبراء البحث الجنائي الذين انهمكوا مرة أخرى في البحث عن أى دليل قد يقودهم إلى الفاعل .. شعر أنهم لن يصلوا لشيء هذه المرة أيضا ، تطلع إلى ساعته؛ فأدرك أن الطبيب الشرعى ، ووكيل النيابة قد تأخرا كثيرا .. كان ينتظرهما منذ ساعة أو أكثر ، ولم يأت أيهما بعد ..

أخرج سيجارة من علبة تبغها ، وراح يحركها بين أنامله للحظات ، ثم وضعها بغمه وأشعلها ، وأخذ ينفث دخانها بعصبية ، وأفكار كثيرة تتصارع في عقله ؛ فشعر بالإجهاد ..

لقد اقترن به سوء الحظ هذه المرة ، فألقى في طريقه جرمي قتل غامضتين في مكان واحد ، ويفصلهما أسبوع واحد .. كان أمامه شهور قليلة قبل الترقية الجديدة التي حان موعدها ، لم يكن ليحتمل الآن مفاجأة من أى نوع قد تعوقه عن الحصول عليها .. عليه أن يزيح هذا الغموض ، وأن يصل إلى القاتل ؛ وإلا صارت ترقبته في مهب الريح ..

تكاثفت سحب الدخان الرمادية حول رأسه ، وهو يفكر ، هل ولت الأيام المبهجة التي كانت قضايا القتل فيها نمطية بلا ألغاز حقيقيه .. من قبل كان المتهم دائما موجوداً ، وكان يعلم كيف يوقعه ، ويدفعه لأن يعترف بارتكاب الجريمة .. لو كان القاتل شاباً ابحت عن الزوجة والعشيق ، ولو كان رجل أعمال .. فحتماً هناك

عشيقة ما في الخفاء أو شريك أو منافس.. إنها الجرائم التي اعتادها ويعرفها، ويعرف بحدسه كيف يصل إلى الفاعل فيها دون عناء حقيقي .

لكن الأمر هاهنا يختلف.. إن جريمة مزدوجة كهذه تمت بهذه الصورة الغامضة لن يصلح لها أسلوب التلفيق .. كان من السهل أن يتهم أحد عمال المشرحة بفعلها، وبالتأكيد سينجح في إجباره على الاعتراف بفعلها .. لكن من يضمن له أن القاتل الحقيقي سيكشف عن جرائمه بعدها مكتفياً بمن قتلهم.. فلو لم يتوقف القاتل الحقيقي حينها، وارتكب جريمة جديدة ، فسوف يرى هذا المتهم الذي لفق له التهمة .. وحتماً لن يكون موقفه أمام رؤسائه مقبولاً ..

وجد نفسه يلقي عقب السيارة دون أن ينتهي منها تحت حدائه، ويدهسها بعنف، وهو يتمتم :

-اللعنة !

انتبه في تلك اللحظة إلى وكيل النيابة الشاب، الذي اندفع بخطوات سريعة إلى داخل المشرحة، وقد بدت علامات الترقب على خلعجته، ثم توقف لحظة في منتصف القاعة الواسعة، مسحت خلالها عيناه المكان المكتظ برجال الشرطة، والمعمل الجنائي، ثم تلاقت عيناه بعيني الرائد محمد، فاتجه إليه، وهو يقول بانفعال:

-قتيل آخر بالمشرحة؟! .. ما الذي يجري هنا بالضبط!؟..

تهدد الرائد محمد ، وأوماً برأسه مؤكداً، ثم غمغم، وهو يشير بإصبعه، إلى جثة الدكتور شريف الراقدة على منصدة على يمينه :

- هذه المرة القاتل هو معيد بالقسم .. كان بالمشرحة بالأمس حيث كان يقوم بإعداد الجثث، ويبدو أنه لم يبه عمله في مواعده، فاستمر بالمشرحة بعد انصراف الجميع، إلى إن اكتشفوا جثته في الصباح ..

اقترب الاثنان من الجثة محاذرين الاصطدام بأحد رجال البحث الجنائي الذي ركع على ركبتيه متفحصاً أرضية الحجر بعدسة في يده..

كشف وكيل النيابة الغطاء عن وجه الجثة، فطالعه وجه التصقت به صرخة صامته، وعيون جاحظة مفزوعة.. ولاحظ اللون البني الذي اكتسبه، ورائحة الفورمالين القوية التي راحت تفوح منه، فغمغم بشيء من عدم الراحة :  
-ومن اكتشف الجثة هذه المرة؟

-أحد عمال المشرحة أيضاً، تماماً كما حدث في المرة السابقة، كان متولى هذه المرة، إنه أحد الاثني اللذين احتجزناهما في المرة الماضية..

أوماً وكيل النيابة برأسه متذكراً، ومال رأسه نحو الجثة، وغمغم مغالباً رائحة الفورمالين القوية التي تشير أغشية أنفه المخاطية وتحرقها:

- إنه محفوظ هو الآخر بالفورمالين.. يبدو أن لدينا هنا قاتل يهوى التشريح؟  
- أظن أن هذا يضيق دائرة البحث عن القاتل.. إنه بالتأكيد أحد العاملين هنا بقسم التشريح..ربما يكون أحد الأطباء وربما أحد العمال.. فحقن الجثتين بالفورمالين هكذا، يشير أن القاتل له خبرة بطريقة حفظ الجثث ..

أشار وكيل النيابة بإصبعه نحو باطن يد القاتل اليسرى، وهو يقرب إصبعه من جرح قطعي عميق دون أن يلمسه، وضافت عيناه متفحصاً إياه وهتف :

-وهل لاحظت هذه الإصابة، يبدو كجرح حديث، اعتقد أنه قد تم بفعل آلة حادة.

انحنى الرائد هشام بجواره، وهو يتطلع إلي الإصابة العميقة التي بدت حوافها غير منتظمة في ساعد القاتل الأيسر؛ بالرغم من اكتسابها لوناً داكناً بفعل الفورمالين، وقد برزت بعض أنسجتها المتهتكة، وقال :

-لقد رأيتها بالفعل.. لكنني لا أظنها تفسر وفاته.. جرح كهذا لن يقتله أبداً.

هز وكيل النيابة رأسه موافقاً، وقال، وهو يعتدل :  
- لكنها ربما تدل على مقاومة القتل لقاتله .. إن الطبيب الشرعى هو من سيخبرنا كيف تم هذا الجرح.

وانتبه حينها إلى خلو المكان من الطبيب الشرعى ، فقال بدهشة:  
- لكن أين الدكتور هشام؟.. ألم يستدعه أحد؟!  
- لقد أرسلت بالفعل في طلبه.. لقد حدثتهم في مصلحة الطب الشرعى ، فأخبرونى أنه في معاناة خارجية، لحادث طريق، فأرسلت إحدى سياراتنا إلى مكان الحادث لجلبه.

ضاقت عيننا وكيل النيابة ، وهو يتفحص المكان متأملاً.. لاحظ الكرسى المقلوب، وأدوات التشريح المبعثرة أسفل إحدى المناضد التى عليها جثة ما، والتى أتمك بعض خبراء البحث الجنائى فى تصويرها قبل أن يجمعوها بحرص محافظين على البصمات الموجودة بها ، ثم وضعوها بأكياس بلاستيكية للتحفظ عليها ..

أخرج علبة سجائره من جيبه، وتناول سيجارة منها قدمها للرائد محمد، فتناولها شاكراً، ثم أخرج واحدة أخرى، ووضعها فى فمه، وأشعلها ، وهو يقول للرائد محمد:

- مارأيك لو إنتظرنا بالخارج قليلاً.. الرائحة هنا كريهة للغاية، وقد بدأت أشعر بالاختناق من هذا المكان .

رافقه الرائد محمد للخارج شاردأً، وتوقفا أمام باب الحديقة الخلفى للمشرحة ، فحمل إليهما بعض النسومات الباردة التى أنعشتهما، وبددت من أنفيهما رائحة الفورمالين الخائقة .. وراح كل منهما يتنفس بعمق، وارتياح لطرد الرائحة الخائقة للفورمالين من صدرهم ، وغمغم وكيل النيابة:

- إننى أتعجب من قدرة الأطباء والعمال على الحياة وسط هذه الرائحة المريرة للفرمالين، والجثث المتحللة.. إننى أشعر بالغثيان الشديد من هذه الدقائق القليلة التى قضيتها بالداخل.

- لا بد أنهم قد تعودوا عليها.. وإن كنت لا أفهم كيف يتعود إنسان على رائحة كهذه.. إنها سيئة بالفعل.

- وأوافقك فى رأيك هذا.. ومن الصعب أن يتعود أحدنا على شيء كهذا.. لا بد أن الأطباء يمتلكون أنوفا غير التى تمتلكها ليحتملوا هذا.

صمت بعدها لينتهى من سيجارته، وعاد ليحدث الرائد محمد قائلاً:

- اعتقد أنك تتفق معى فى أن قاتل هذا الطبيب والطالبة هو نفس الشخص.. لا أعتقد أنه قاتل آخر.

أوماً الرائد محمد موافقاً :

- إنه حتماً نفس القاتل .. لقد كرر مافعله بالمرّة الأولى حرفياً هنا.. أتعجب من رباطة جأشه التى تجعله يفعل جريمتين فى نفس المكان فى أسبوع واحد.. ألا يخشى هذا أن يفتضح أمره مثلاً؟..

- أرى أن الأكثر عجباً أن يقوم ذلك القاتل بقتل ضحاياه، وبعد ذلك يحفظ جثثهم بالفرمالين.. لماذا يفعل شيئاً كهذا؟ .. هذا مالا أفهمه؟!...

- أخشى أنه يفعل هذا ؛ ليحيرنا، ويسخر منا.. وربما كان مجنوناً، ولهذا يقوم بتلك الأفعال الغير مبررة .

سطعت فى عقل وكيل النيابة فكرة ملحة وغريبة فى الوقت نفسه.. ترك عقله يقرب فيها للحظات قبل أن يعرضها على مفتش المباحث قائلاً:

- أتعلم فيما أفكر فيه الآن يا محمد بك؟

تلاقت عيناهما للحظة، وهز الرائد محمد رأسه منتظراً إجابته ؛ فأكمل وكيل النيابة ببطء، كأنما يختبر وقع استنتاجه عليه:

-قاتل متسلسل..

تصلب وجه الرائد محمد بدهشة، وردد :

-قاتل متسلسل! .. قاتل متسلسل في مصر؟! .. لم يحدث شيء من هذا القبيل من قبل، الحادثة الوحيدة التي نذكرها في هذا الشأن هي " رايا وسكينه "، وإن كنت لا أعدها قتلاً متسلسلاً.. كانت قتلاً من أجل السرقة.

قالها، وراح يتذكر ما درسه من قبل في الكلية عن حوادث القتل المتسلسل.. كانت محاضرة مملة لم يشعر بأن لها أهمية ما، وخاصة أن عقله قد استبعد من البدايه أن يواجهه في يوم من الأيام قاتلاً كهذا ..

لكنه مازال يذكر ماقاله المحاضر عن انتشار تلك الجرائم في أحياء، وأزقة المدن الأوروبية، وبخاصة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.. القاتل فيها إما أن يكون مهترا نفسياً أو سادياً عنيفاً .. وضحايه يكونون في الغالب من الموسسات، أو أطفال الشوارع، أو العجزة المرضى، والمشردين .. وغالباً ما يميل القاتل إلى اتباع سلوك متكرر في جرائمه .. كان مازال يذكر أسماء عدة ذكرها المحاضر كأمثلة لهؤلاء القتلة؛ مثل جاك السفاح ، وتيد بندي.. لكنه نسي الآن تماماً ماذا فعلوا بالضبط ..

ومازال يرفض أن يتخيل أن تحدث جرائم كهذه في مصر .. إنها جرائم يخلو لبعض كتاب الصحف المتأنقين التحدث عنها، وقصصها للقراء لإثارة دهشتهم..وزيادة توزيع جرائمهم..لكن الواقع يقول إنه لا مكان لحوادث كهذه في مصر.

لكن وكيل النيابة كان مصراً على فكرته، فأكمل بحماس :

-إن كل مانراه هنا يقودنا نحو هذه الفكرة بالرغم من غرابتها..لدينا قتيلان في مكان واحد ،لارابط بينهما ..ولادافع واحد لقتلها ..ثم يحدث عبث بالجنث بعد قتلها ..ألايوحى لك هذابأننا قد نكون إزاء قاتل مختل عقلياً أو قاتل

متسلسل؟.. ألا يوحي لك حقن القتلى بالفورمالين بعد موتهم أن القاتل يتبع في فعله الطقوس نفسها ..

بدأت الفكرة بالرغم من غرابتها ، وعدم تقبل عقل الرائد محمد لها منطقية كثيراً.. فقال بتوتر:

-لو كان قاتلاً متسلسلاً فعلاً فنحن في ورطة .. إننا لم نواجه شيئاً كهذا من قبل ، ولا خبرة لنا في التعامل معه ..

-ستكون ورطة بالفعل .. فالقاتلها قد يكون أى واحد ممن حولك .. قد يكون عامل المشرحة ، وقد يكون رئيس القسم نفسه .. وغالباً من الصعب أن تتوقع من يكون أو أن توقعه ؛ لأنهم غالباً ما يتميزون بثبات نفسى رهيب يبعد الشكوك عنهم تماماً ، وعليك حينها أن تنتظر مصادفةً ما أو خطأ يرتكبونه كي توقعهم .. الحظ هنا هو سلاحك الأول في مواجهة قاتل كهذا.

تنهد الرائد محمد بعمق ، وحمل وجهه تعبيراً مبهماً من الحيرة والقلق .. كان يتمنى بداخله ألا يكون استنتاج وكيل النيابة صائباً .. ليس هذا وقت القضايا المعقدة الصعبة.. نريد القاتل الأحمق الذى يكاد وجهه يصرخ "أنا القاتل"

حاول أن يبعد الفكرة عن عقله ، لكنها كانت ملحّة كذبابة صيف لعينة.. قاتل متسلسل!..!أىكون هذا ما يواجهه حقاً؟!..!

كان جميع عمال المشرحة في حال يرثى له، فجميعهم يدرك أن ما يحدث ليس جرائم قتل عادية .. إن هناك شيئاً شيطانياً يدور في المشرحة .. شر واجهوه جميعاً ، لكن أحداً لا يصدقهم ..

المشكلة الحقيقية الآن أهم صاروا المشتبه الأول في جريمة القتل .. إنهم أضعف أطراف الحلقة ، وبالتالي فهم المتهم الجاهز دائماً . وحتماً لن يتهم الأمن أحد أطباء المشرحة طالما العمال المساكين موجودون .

كان العمال الأربعة في النيابة في انتظار متوهم للتحقيق مرة أخرى أمام وكيل النيابة .. أكثرهم جرعاً كان جمال .. كان آخر من رأى القتييل .. وبالتالي كان يخشى أن يتهموه بقتلة ..

يعلم يقيناً أن الجاني الحقيقي ليس بشرياً، ولذا فمهما بحثوا عنه :فلن يستطيعوا أن يصلوا إليه .. لذا تداعت في ذهنه عشرات الخيالات المرعبة .. لا بد أنهم في حاجة الآن لاثام أحد ما بارتكاب الجريمة ، ولأنه مجرد عامل بالمشرحة ، لا ظهر له أوسند ، فلن يعدموا حيلةً ما كي يلقفوا التهمة له ... هذه أشياء سمع عنها من قبل في الحارة والمقهى ..

هل ينسى محروس صبي المكوجى الذى اقتادوه من بيته ذات مساء ، ولفقوا له تهمة سرقة المدرسة الإعدادية .. علم جميع سكان الحارة أنه مظلوم ؛لأنه وقت ارتكاب الجريمة كان موجوداً فى المقهى ، وعشرات الرواد كانوا قد رأوه وشهدوا بذلك بالفعل ..

لكن الضابط الذى قبض عليه ولفق له التهمة كان ذنباً .. فوضع بعض الأشياء التى تخص المدرسة بمحكمة أسفل فراشه أثناء تفتيش حجرته .. وتكفل

الضرب والتعذيب في أن يعترف الولد بالتهمة، ولم تشفع له شهادة الشهود، ليحكم عليه القاضي بالسجن خمسة أعوام ..

لكن الأمر هنا ليس سرقة أو مشاجرة .. إنها جريمة قتل .. مما يعنى أن العقوبة هذه المرة هي الإعدام حتماً ..

ارتجف حين جالت الفكرة برأسه، فقال لعم منصور بصوت أقرب لل بكاء :

-هل سيعذبوننا ياعم منصور كي نعترف ؟ ...

أجابه عم منصور بمس، وهو يتلفت حوله بخوف كي لا يسمعه أحد ما من العساكر أو المخبرين المنتشرين كالجراد حولهم :

-نعترف بأى شيء يا أبله؟! ..

-بأننا من قتلنا الدكتور شريف، وتلك الطالبة ...

هذه المرة همس متولى فيه بذعر، وهو يتلفت هو الآخر حوله ليتأكد أن أحداً من حراس النيابة لم يسمع ماقاله جمال :

- اصمت أيها الغبي .. هل تريد أن تثبت علينا تهمة لم نرتكبها ..

انتبه جمال إلى خطئه؛ فانكمش في نفسه أكثر ليزداد ذعراً حتى شعر بأنه سيفقد وعيه قريباً من الملح، بينما قال عم منصور محاولاً تهدئته هامساً :

-نحن لم نفعل شيئاً يا جمال .. ولا دليل واحد يدين أى منا . سوف يسألوننا كالمرأة السابقة، ثم يصرفونا بعدها إلى منازلنا .. هذا ماسيحدث حتماً.

قالها، وهو يشعر أن ماسوف يحدث غير ذلك .. لكنه حاول أن يبدو أمام زملائه متماسكاً كي يطمئنهم .. إلا أن جمال لم يطمئنه هذا الرد؛ وعاد ليغمغم بصوت خافت:

-وهل هؤلاء في حاجة لدليل؟ .. إنهم يفعلون ما يرغبون فيه، وهم بحاجة الآن لمن يحمله القضية، ولا يوجد لديهم غيرنا ليطعموه .

تمنى متولى لو كان يتطوع أن يوسع ضريباً لحماقة ما يقوله .. خاف أن يورطهم جميعاً في الأمر بغبائه هذا لو تفوه بمثل مقاله الآن في التحقيق .. أراد أن يسبه لبيصمت، لكن العسكري القابع على باب وكيل النيابة نادى على جمال في تلك اللحظة؛ فصمت الجميع والتفتوا إليه ..

دارت عيناه بين زملائه ببؤس، ثم أخذ يجرجسده البدين جراً نحو حجرة التحقيق؛ وهو يرتعش بشدة، ويتلو المعوذتين في سره.

حين دخل الحجره لاحظ وكيل النيابة الشاب اضطرابه والارتجافه التي تعروه، فسأله ببطء عن بياناته، وعيناه معلقتان به..وعيثاً حاول جمال أن يبدو متماسكاً، وهو يجيب أسئلته، لكنه ازداد ارتباكاً فلم يدرى ماذا أجاب..

لاحظ أن وكيل النيابة يسأله في أشياء متناقضة لارابط بينها، ففطن إلى أنه يريد أن يوقعه في خطأ ما، فازداد اضطرابه، فصارت إجاباته مزيجاً مبهماً لامعنى له..وبنفاذ صبر صاح فيه وكيل النيابة حين أيقن أنه لم يظفر منه بشيء ذي قيمة، وهو يضرب سطح مكتبه بكفه:

-اسمع يا جمال.. ربما تكون بريئاً، ولست أنت الجاني، لكنك كنت لسوء حظك آخر من رأى القاتيل..لهذا فأنت أمامى المشتبه الأول في ارتكاب هذه الجريمة..وهذه ليست الجريمة الأولى كما تعلم..إننا بحاجة إلى أن نخبرنا بكل ماتعلمه، وكل ما سمعت به، أو رأيته كي نستطيع القبض على القاتل الحقيقي، وإلا فالإدانة بانتظارك، ولن أستطيع مساعدتك أبداً مادمت صامتاً..حاول أن تساعد نفسك يارجل وتكلم.

تماسك جمال بصعوبة مجاهداً ألا يبكى، وشعر بأنفاسه تختنق، وهو يتخيل حبل المشنقة، وقد التف حول عنقه؛ فأجاب بصوت أقرب باكٍ للولولة:

-ولكنى لم أقتله.. أقسم بالله العظيم إننى لم أفعل.. لقد أمرنى أن أتركه بمفرده ليكمل عمله؛ فتركته لألحق بأتوبيس الكلية.. إن هذا هو ما حدث..

- إذن من برأيك قد يكون القاتل؟

-لا أعلم.. لو كنت أعلم شيئاً لأخبرتك به على الفور.. لكننى لا أعلم..  
في النهاية أصدر وكيل النيابة أمراً بحبسه أربعة أيام قيد التحقيق.. فأخذ يبكى، ويصرخ بأنه لم يفعل شيئاً، وأنه مظلوم، والحارس يضع في يديه القيود الحديدية.. قبل أن يخرج به .

دخل بعده عم منصور الذى أنكر هو الآخر أن يكون له صلة ما بالجريمة.. فهو قد انصرف في الثالثة مع عبدالدايم، ومتولى تاركين جمال بمفرده بالمشرفة مع القتيل.. إلا أن وكيل النيابة نهض من مكانه، وتوقف بجوار المكتب عن يساره، وعقد يديه خلف ظهره وبدا صارماً للغاية، وهو يقول بصوت مخيف :

-المشكلة أننى لم أصدق حرفاً مما ذكرته في التحقيق من قبل، في حادث مقتل تلك الطالبة قبل أسبوع.. لقد ادعيت أنت والعامل الآخر أن هناك من هاجمكما في المشرفة حينها، ولهذا غادرت المشرفة.. ومن حسن حظكم أن حارس أمن الكلية قد ذكر أنكم قد غادرت المكان قبل الحادث بوقت طويل.. فتركتكم حينها.. لكن هذه المرة الأمر مختلف.. لن أذكر في التحقيق أن الأشباح أو حتى الجن الأزرق هي الجاني.. سأصير أضحوكة كافة وكلاء النيابة إن فعلت.

-لكن ماقلته هو ما حدث بالفعل، وأنا لم أكذب..

-ومن قال أننى أتهمك بالكذب.. فقط أعطنى قصة معقولة يمكن تدوينها في التحقيقات، وسوف أجعلك تغادر المكان على الفور..

-يا فندم أنا لا أعلم إلا القصة التي حدثت لى أنا وباقي العمال ..إننى وباقي العمال قد مررنا بأحداث غامضة فى المشرحة ،لكن الجميع يابى أن يصدقنا بالرغم من أن مانقوله هو الحقيقة .

رقمه وكيل النيابة بنظرات نافذة كأنما يتقين من خلجاته مقدار صدقه فى ما يذكره، ثم تحرك نحوه، وتوقف بجواره تماماً ووضع ذراعه فوق كتفيه ،وقال له بهدوء :

-لنترك أمر أشباحك أو أى ما كانت الآن جانباً ..وأخبرنى ، هل كان للقتيل عداء مع أحد ما أو تشاجر مثلاً مع أحد ما مؤخراً؟.

-الدكتور شريف-رحمه الله- كان يتعامل معنا بشيء من التعالى والتكبر.. ولا أبالغ لو قلت أنه يعامل الجميع باحتقار ..لذا فقد كنا جميعاً نتحشاها بقدر الاستطاعة . لكن لا أظن أن هذا التعالى قد يدفع أحد ما لقتله.

-وماذا عن الأطباء والأستاذة فى القسم..كيف كانت معاملته معهم ،وهل كان على خلاف مع أحد ما منهم؟

-لم أسمع أنه تشاجر مع أحد منهم ..لكننا لاحظنا بعض المشاحنات الصغيرة بينه وبين الدكتور حاتم فى بعض الأحيان.

انتبه وكيل النيابة ،ودون الاسم فى ورقة صغيرة على مكتبه وقال باهتمام :

-مشاحنات؟ .. هذا مثير .. أى نوع من المشاحنات تقصده بقولك هذا؟

ابتلع عم منصور ريقه، وخشى أن يكون قد ورط الدكتور حاتم فى الأمر ، فقال متداركاً:

-لا أدرى يابيه ..فالدكتور حاتم كان على عكس الدكتور شريف محبوباً من الجميع ،ويعامل الجميع معاملةً طيبة ،ولهذا فجميعنا يحبه ..وهذا على النقيض

من الدكتور شريف كما ذكرت لك..وأظن أن الدكتور حاتم لم يكن راضياً عن الطريقة التي يتعامل بها الدكتور شريف مع الجميع، ولهذا كانا أحياناً يختلفان .

-وهل وصل الأمر حد العراك يوماً ما .

-لم يحدث هذا أبداً ..الأمر لم يتعدى أبداً مشاجرات لفظية...

استمر وكيل النيابة بعدها في توجيه الأسئلة، وعم منصور يجيب عليها دون جديد يذكر.. في النهاية أمر بإخلاء سبيله كالمرة الماضية بضمنان محل إقامته .

دخل عبدالدايم بعد ذلك ،ولم يختلف ما ذكره في التحقيق عما ذكره عم منصور ،وخاصة حين حاول وكيل النيابة أن يعلم منة طبيعة العلاقة بين الدكتور حاتم والدكتور شريف والمشاحنات التي كانت تتم بينها .. في النهاية تم إخلاء طرفه أيضاً بضمنان محل إقامته ..

في النهاية كان متولى .. لم تختلف أقواله هو الآخر كثيراً عن زملائه ، إلا أنه أضاف شيئاً خطيراً .. فعندما سأله وكيل النيابة عن أعداء ما محتملين للقتيل صمت لحظة قبل أن يجيب مطرفاً برأسه لأسفل:

-الكل لاحظ أنه كان دائم التشاجر مع الدكتور حاتم.

هنا أراد وكيل النيابة أن يستزيد من معلوماته فسأله:

-لا بد أن هناك سبباً ما لتلك المشاحنات؟ .. أليس كذلك يامتولى؟

أدرك متولى مقصده، فأجاب وهو يطرق برأسه لأسفل كأنما يهم باللقاء معلومة خطيرة :

-ربما لأن الدكتور حاتم كان دائم السخرية منه ، وربما من أجل ...

صمت لحظة متردداً ،فمال نحوه وكيل النيابة باهتمام وقال:

-من أجل ماذا يامتولى؟ ..

-ربما بسبب الدكتور زينب.

قالها مرة واحدة، فنظر إليه وكيل النيابة بتساؤل وقال :

-لست أفهم ماذا تعنى بقولك هذا.

-أظن أن الدكتور شريف -رحمه الله- كان يميل قليلاً إلى الدكتورة زينب لكنى أعتقد أنها كانت تفضل الدكتور حاتم..وربما كان هذا الأمر يحقنق الدكتور شريف ويغضبه.

لم يذكر بعدها متولى شيئاً مهماً آخر، وفي النهاية أمر وكيل النيابة بإخلاء سبيله الآخر بضمان محل إقامته، واستدعاء الدكتور حاتم، والدكتورة زينب للتحقيق معهما .

(22)

جلس الدكتور حاتم بحدوء ورباطة جأش أمام وكيل النيابة .. كان يبدو علي وجهه بعض الاضطراب.. لكن نظراته الثابتة وشت بتماسكه.. تأمله وكيل النيابة متفحصاً.. لكن وجه الدكتور حاتم لم ينبئه بالكثير، لذا بدأ في طرح أسئلته :

-علمت أنك لم تكن على وفاق مع القتيل..هل هناك سبب ما لهذا؟  
كان سؤالاً مباشراً أراد به أن يريكه ،إلا أن الدكتور حاتم رد بصوت قوى ثابت :

-لقد كانت خلافات العمل الطبيعية..ربما لأنني كنت أعترض على أسلوب تعامله المتعالى مع الطلاب والعمال ..لكن من الصعب أن تسمى ما كان بيننا خلافات حقيقية.

-وماذا عن الدكتور زينب ؟..

بان الانزعاج على ملامح الدكتور حاتم ،فهتف باستنكار:  
-ماذا عنها؟..

-لاشيء.. فقط أتساءل هل كان القتيل يميل إليها.

-لم ألاحظ شيئاً كهذا ..ولم تخبرني هي عن شيء كهذا.

واكتسب صوته رنة حزم ،وهو يكمل:

-ثم إننا مخطوبان تقريباً لبعضنا البعض..فقط قررنا أن نخفي الأمر قليلاً؛ حتى ننتهي من الماجستير.

هز وكيل النيابة رأسه بفهم ،وقال:

-متى كانت آخر مرة رأيت فيها القتيل ؟.

-قبل مقتله بيوم .. كنا نعمل سوياً لإعداد الجثث بالمشرحة أنا وهو والدكتورة زينب ..

صمت بعدها للحظة، وهو يفكر إن كان عليهان يخبره بتلك المشاجرة الصغيرة التي حدثت في ذلك الوقت.. خشى أن يكون وكيل النيابة على علم بما فيشك فيه لو أخفاها عنه .. انتبه وكيل النيابة إلى صمته وتردده، وشعر أنه يريد أن يقول شيئاً ما فافتفى بمتابعته في انتظار أن يتكلم.. بعد لحظات حسم حاتم أمره، فقال:

-في هذا اليوم كانت هناك مشادة بسيطة بيني وبينه، غادر على إثرها المشرحة، ولم يعد ليكمل عمله إلا حين انتهينا أنا والدكتورة زينب من عملنا -إذا فقدت شاجرتم حينها مرة أخرى.. أيمكنني أن أعرف لماذا حدث هذا؟. قص عليه الدكتور حاتم ما حدث.. إلى أن غادر الدكتور شريف المشرحة غاضباً.. وأخبره أنه لم يره بعدها.. عاد وكيل النيابة ليسأله:  
-ومتى غادرت الكلية في ذلك اليوم..

-غادرتها في الثانية والنصف عصراً بصحبة الدكتورة زينب والدكتور عبد الحميد محفوظ أحد زملائنا بالقسم .. إنني أمتلك سيارة صغيرة ، واعتدت أن أقلهم للمنزل كل يوم.

رمى وكيل النيابة الكاتب الذي جلس بجواره ، وراح يدون كل كلمة يقولها حاتم .. ثم التفت إلى حاتم، وقال له:

-بالتطبع تعلم أن هذه الجريمة هي الثانية بالمشرحة بعد مقتل تلك الطالبة الأسبوع الماضي .. من برأيك من الممكن أن يفعلها؟.. هل يكون أحد عمال المشرحة مثلاً؟

- كلا بالطبع .. إننى أعرفهم جميعاً جيداً.. ومن الصعب أن أتخيل أن أحدهم بإمكانه ارتكاب جريمة كهذه.. إنهم إناس فى منتهى الوداعة والبساطة، ومن العسير أن يقوم احدهم بشئ كهذا ..أرى أنكم تظلموهم بشدة بشككم هذا فيهم

انتهى بعدها التحقيق معه .. وجاءت بعده الدكتورة زينب التى أقرت ما ذكره حاتم، فأخلى سبيلها هى الأخرى.

أرسل بعدها فى طلب الرائد محمد وهدان ،الذى جاءه بعد أقل من نصف الساعة ،وجلس أمامه بإرهاق حقيقى، فسأله عن نتائج التحريات التى قام حول القتل وأهله، وهل اكتشف أعداءً له ،فأجابه الرائد محمد أنه لم يتوصل إلى شئ ذى بال ؛

فطلب منه وكيل النيابة أن يضع المشرحة تحت الحراسة الدائمة فى الفترة القادمة ،وأن يتم تسجيل خروج ودخول كل شخص يذلفها ،فوافق الرائد محمد، ثم انصرف.

(23)

**تبادل** الدكتور محمود رئيس قسم الطب الشرعى بكلية الطب والدكتور هشام كبير أطباء مصلحة الطب الشرعى النظرات الحيرى .. كانوا قد انتهوا من تشريح جثة الدكتور شريف .. وكما جرى فى المرة السابقة لم يصف التشريح إليهم جديداً غير الحيرة، والمزيد من الألغاز..

كانت جثة الدكتور حاتم كالجثة السابقة، بلا دماء على الإطلاق، كأنما امثّصت كل الدماء التى بما لآخر قطرة، وكذلك تم حقن أو عيتها الدموية بالفورمالين دون أن يظهر عليها كيف تم هذا حقنها.. وكان القلب أيضا فارغا من الدماء تماما ومضغوطة بشدة كما حدث لقلب الطالبة القتيلة.

كان هناك جرحاً عميقاً فى كف اليد اليسرى ، إلا أنه لم يقدم لهم الكثير .. فاتجاه الجرح، وأداة التشريح التى سببته، والتى وُجدت بجوار الجثة تؤكد أنه جرح ذاتى أحدثه الطبيب بنفسه.. وفى الغالب سقط القتل أرضاً، وكان يحمل بيده تلك الأداة الحادة؛ فأخترقت أنسجته رغماً عنه،

أيضا لم يكن الجرح خطيراً، ولم يكن ليسبب للقتيل مشاكل حقيقية.

اغتسلا بعد انتهائهما من التشريح، ثم ذهبا سوياً بعد ذلك لمكتب الدكتور هشام.. جلب لهم الساعى كويين من الشاى، وتناول الدكتور هشام سيجارةً ، وقال للدكتور محمود مستندناً:

-أيضا يملك أن أدخن؟

- كلا بالطبع .. خذ راحتك.

أشعل الدكتور هشام سيجارته قبل أن يقول :

-والآن مارأيك يا دكتور محمود ..هاهى جثة أخرى لم تقدم لنا إلا الأحاجى مرة أخرى ..

-إن أكثر ما يحيرنى هو أين تذهب دماؤهم ،وكيف تمتص هكذا ..لقد راجعت طوال هذا الأسبوع معظم مراجع الطب الشرعى القديم والحديث كى أرى إن كان ممكناً تفريغ الجثث من دماؤها تماماً كما نرى ها هنا فلم أجد مايفيدنى .  
وصمت للحظة وتقلصت ملامحه بانزعاج حقيقى وقال :

-ليس من العدل أن تموت تلك الفتاة أو هذا الطبيب الشاب هكذا ..فتاة جميلة وصغيرة مفعمة بالأحلام والطموحات ،وطبيب فى مقتبل عمره يجتهد كى يرتقى بنفسه ،ثم تنتهى حياتهما فجأة بلا ذنب أو مبرر حقيقى على يد قاتل حقير مريض ..إننى أهتم بتلك القضية ،لأننى أبحث عن بعض العدالة لتتحقق ..بعض العدالة فقط ..فحتى لو وجدنا القاتل وأعدمانه لما تحققت العدالة الكاملة ..فموته لن يعنى شيئاً لمن ماتوا ..لكنه يضمن بالتأكيد ألا يكون هناك ضحايا آخرين لهذا المعتوه

سحب الدكتور هشام نفساً عميقاً ،موافقاً على ما ذكره الدكتور محمود ..قبل أن يقول بصيقل:

-هل تعلم أن النائب العام بنفسه قد اتصل بى ،وأخبرنى بانزعاجه من حوادث القتل هذه ..وأبدى اهتمامه بنتيجة التشريح .

-وماذا أخبرتة ؟

-أخبرتة بالحقيقة ..إن الأمر محير ..ومازلنا نبحث عن حل يجلو ظلام الخيرة التى يعرفونها .

ران الصمت للحظة قبل أن يقول الدكتور محمود بتردد بعد أن ارتشف بعض الشاى من كوبه:

-ستتعجب منى حين أخبرك بأننى عدت أفكر فى تفسيرك الذى أخبرتنى به فى مكتبى.

-أى تفسير .. لست أذكر أننى توصلت لتفسير ما.

صمت الدكتور محمود متردداً .. إلا أنه فى النهاية حسم أمره وقال بجدوء:  
-لقد قلت من قبل أنك تخشى أن يكون بالقضية أمر ما خارق للطبيعة أو لعنة ما.. لا أدرى لماذا بدأت أميل لتصديق أن هذه الأفعال غير بشرية .. أشعر أنها تماثل ما سمعنا عنه من أفعال الجان والأرواح ..

فى الواقع كان دكتور هشام من المؤمنين بهذه الأمور بشدة .. بل ويجزم أنه مر ببعض الحوادث الغريبة من قبل، إلا أنه لم يقصها لأحد؛ ربما لأنه يخشى أن يسخر منه البعض أو لا يصدقها؛ وربما لأنه يفضل أن يحتفظ بمثل هذه الخبرات لنفسه لذا قال:

-التصديق بالجان جزء من إيماننا .. فالجان كما نعلم جميعاً ونؤمن به المذكور فى القرآن بل، وفى الكتب السماوية الأخرى، وهم مخلوقات كما أخبرنا الله من نار تعيش بيننا دون أن نشعر بها، وإن كانت ترانا وتشعر بنا، والبعض يزعم أنها قد تؤثر فىنا فى بعض الأحيان، كما أن الأشباح بالرغم من عدم إيمان البعض بها، إلا أن ذكرها موجود فى كل الثقافات.. لكن هل تعنى بقولك هذا أن نضع احتمالاً كهذا فى البالنا.

صمت الدكتور محمود، وهو يزن كلماته ثم قال :

-إننى رجل علم ..ولهذا أرفض أن أنساق لمشاعرى دون دلائل واضحة .. لكن الغموض والتهب الذى نلاقه فى هاتين الجريمتين الغامضتين يدفعنى للنظر فى هذه الناحية جدياً..لاحظ أن نتائج عملنا وتشريحنا للجثتين لا يخضعان لتفسير علمى واضح.

هرس الدكتور هشام عقب سيجارته في منفضة السجائر قبل أن يقول:  
-إذاً ماذا تقترح؟..

ابتسم الدكتور محمود وقال:

-أرى أن علينا أن علينا أن نستعين بأحد ما يهتم بمثل تلك الأمور الخوارقية  
كالجان والأشباح وغيرها..

شعر الدكتور هشام أن الحوار قد أخذ منحنيًا عمليًا وجديًا، فقال بترقب:  
-وهل تعرف أحد ما بعينه؟

هز الدكتور محمود برأسه، وقال بحسم:

-لا أثق هنا إلا بشخص واحد أعلم يقيناً أنه ليس نصاباً؛ إنه الدكتور محمد  
شاهين.. رئيس قسم الطب النفسى بالكلية سابقاً.. هل تعرفه؟...

حميم على الكلية كلها، وقسم التشريح خاصة، جو من الحداد والتوتر.. فى البداية كان مقتل الطالبة الشابة، والآن معيد شاب بنفس القسم .. وبالرغم من أن الدكتور شريف لم يكن الشاب اللطيف الذى يجب أحد ما، إلا أن للموت هيبة، كما أن صغر عمره خلق حالة عامة من التعاطف معه.. المشكلة الأكبر أن حوادث القتل قد تسربت بصورة ما إلى الطلاب .. ولايدرى أحد كيف وصلت تفاصيل الجثث المخبئة إلى أحد الطلبة، فلم يألوا جهداً فى نشر الأمر بين أوساط الطلاب، لينتاب الجميع حالة عامة من الفزع .. وانتشرت الكثير من الإشاعات كالنار فى المهشيم ..

كان على أستاذة الأقسام المختلفة أن يبحثوا عن إجابات مقنعة لأسئلة الطلاب المتكررة بإلحاح عن حقيقة ماحدث.. ولأنه لا أحد كان يعلم الحقيقة تحديداً، ولغموض الأمر كلية، تضاربت إجابة الأساتذة فزادوا الطلاب اضطراباً؛ فانتشر بينهم أن هناك ما يخفيه الأساتذة عنهم ..

بالطبع انتشرت الإشاعات عن السفاح الذى يقتل الأطباء والطلاب، ثم يقوم بتحنيطهم .. وتطوع خيال بعض الطلبة بإطلاق الإشاعات عن شبح المشرحة الذى يقتل من يوجد بما وحيداً .. تحمس البعض، وأعلنوا لزملائهم أنهم سيقتحمون المشرحة سراً بعد انتهاء اليوم الدراسى لكشف غموض ما يحدث بما .. إلا أن محاولتهم ذهبت هباءً لوجود بعض عساكر الأمن الذين تم تعيينهم لمراقبة المشرحة وحراستها .. قرر بعض الطلبة برغبتهم أو برغبة آبائهم التغييب لفترة عن الدراسة حتى يجلو الأمر أو ينتهى.

كان الدكتور نعيم في أسوأ حال ممكن .. ماهذا الذى يحدث بالمشرحة؟.. كان يحقنه أنه لا يدرى كيف ومتى يستطيع بدء الدراسة بالمشرحة، ومامصير هذا العام الدراسى بها ..وبالطبع كان حزينا لمقتل أحد اطبائه.

ازداد معدل استهلاكه للسجائر بصورة مخيفة؛ حتى صار من النادر أن يراه أحد دون سيجارة مشتعلة في يده يعقبها دوماً بأخرى قبل أن تحبو نارها .. ازداد عصبيةً بصورة مخيفة، وصار سهل الاستثارة والغضب لأنفه سبب ..

جلس بمكتبه بصحبة الدكتور مصطفى، الذى جلس على مقعد جلدى بجانب الحجرة الأيمن واضعاً ساقاً فوق ساق واجما صامتاً.. وقال الدكتور نعيم بضيق، وهو ينفخ من فمه وأنفه سحباً لانتتهى من الدخان الرمادى :

- لا أعتقد أن القسم واجه سوء طالع مثل هذه الأيام الكئيبة .. يبدو أنى قد نحسته حين صرت رئيساً للقسم.

- لا تبالغ هكذا وكفى تطيراً.. إنها مصادفة سيئة لا أكثر، ومع الوقت ستنتهى ، وسينساها الجميع..إننا شعب يعرف جيداً كيف ينسى أكثر مما يعرف كيف يتذكر ..وبعد أسبوع أو أسبوعين سيعتاد الجميع الأمر ولن يهتموا به.

-وماذا عن الدراسة بالمشرحة ..لقد توقفت تماماً..وزاد الأمر سوءاً عساكر الأمن الذين صاروا يجرسونها ليل نهار.

-إن هذا كله خطأ ،أنا أرفض وجود الأمن هكذا لأن هذا يفرع الطلاب؟..كما أنى لا أوافق مجلس الكلية في رفض بدء الدراسة العملية بالمشرحة..فلا يجب أن يتأثر الطلاب بتلك المشكلات ،وأسهل طريقة لتبديد خوفهم ، وإخماد إشاعاتهم هو شغلهم بالدراسة والمحاضرات.

صمت الدكتور مصطفى للحظة بعدها قبل أن يميل نحو الدكتور نعيم قائلاً:  
-لقد فكرت في حل ، ربما يفيدنا مؤقتاً.

قال الدكتور نعيم بلهفة .

-أخبرني به بالله عليك ؟

-أرى أن نستعين بمشرحة القصر العيني..من الممكن أن يذهب إليها طلابنا  
يومين كل أسبوع بالتنسيق مع إدارة الكلية هناك ..

كان حلاً مقبولاً ..فقال الدكتور نعيم مفكراً:

-وهل تظن أنهم سيوافقون؟

قال الدكتور مصطفى ببساطة :

-ولماذا يرفضون ..يمكنى أن أتحدث في هذا إلى عميد الكلية ورئيس القسم  
هناك ، فهناك علاقة طيبة تربطني بهما ،والأمر هنا يتعلق بحق الطلاب في  
العلم..

-ليكن ،سوف أعرض الأمر على العميد ؛لأخذ موافقته. وبعدها يمكنك أن

تحدثهم .

ران الصمت مرة أخرى بينهما ..فأفهى الدكتور نعيم فنجان القهوة الذى  
يتناوله واجماً ،ثم قال الدكتور مصطفى بعدها:

-أتريد رأيي في ما يحدث؟

أجابه الدكتور نعيم باهتمام:

-بالطبع يادكتور مصطفى؟ ..

-أرى أن نأخذ رواية عمال المشرحة بشيء من الجدية ، فبعد ماحدث لا أظن  
أنهم يتوهمون ماحدث لهم بداخل المشرحة أو يختلقونه ..هناك شيء غامض  
يحدث بالمشرحة ..هناك لمسة غير طبيعية ، في جريمتي القتل .. أعلم أنك تفهم  
ما أعنيه ؛وإن كنت ترفض تصديق ما تشير إليه الوقائع.

قال الدكتور نعيم معترضاً:

- يادكتور مصطفى نحن أساتذة جامعيون .. علماء كما يقال في مجالنا .. ماتقوله  
يجرنا إلى تصديق الخرافات التي سمعناها، ونحن صغاراً.. هل تطالبني أن أصدق  
قصص العفاريث، والأشباح بعد أن صنع الإنسان الصاروخ، وصعد إلى سطح  
القمر .. من الصعب أن أتخيل هذا.. إن تلك الأشياء خرافات مبعثها الجهل  
والتخلف.

ابتسم الدكتور مصطفى، وهو يجيب:

- وما التعارض بين هذا وذاك .. هل تنكر وجود الجان .. هل تنكر قصة ذلك  
العفريت الذى جلب لسليمان عرش بلقيس .. لقد ذكرت في القرآن .. وهل  
قرأت قصص الجان والعفاريث والمردة في العهد القديم .. أنا هنا أتكلم عن كتب  
سماوية، ولا أتحدث عن عشرات الآلاف من المشاهدات والتجارب التي تحويها  
آلاف الكتب .. أنا شخصياً أرى أن لاتعارض بين الخوارق والعلم .. ربما من  
العسير أن نُخضع تلك الأشياء للبحث والتجريب بقواعد العلم الحالية .. لكن  
هذا لاينفي وجودها .. ومن الممكن أن نكتشف القواعد الصحيحة لدراستها في  
يوم من الأيام .. بل وربما تصير إحدى فروع العلم القابلة للخضوع لآلياته  
حينها.

أشعل الدكتور نعيم سيجارة جديدة محاولاً استيعاب ما يقوله الدكتور  
مصطفى .. كان يحترم الدكتور مصطفى بشدة فهو أكبر سنّاً وأغزر علماً .. إنه  
عالم حقيقى يدرك قيمته الجميع .. لكنه الآن يتحدث عن أشياء ظل طوال  
عمره يرفضها .. كان يرى أنها أقرب للدجل والخرافة ..

لو كان شخصاً آخر هو من يتحدث إليه هكذا؛ لرد عليه بعنف، فمن  
المستحيل أن يقتنع بشيء كهذا .. إلا أنه لا يستطيع أن يوح بأبيه هذا مسفهاً

رأى الدكتور مصطفى .. فهذا لا يليق احتراماً لقيمة الرجل، واحتراماً لصداقة دامت بينهما لأكثر من ثلاثين عاماً ..

لذا قال بحدوء:

- ربما كان هذا صحيحاً .. لكنى أعتقد أن حوادث القتل بالمشرحة لا بد أن لها تفسيراً مادياً آخر .. لا يجب أن نخضع بسهولة لتلك التفسيرات العجيبة.

- وهل استطاع عقلك تقديم تفسير مقبول لما حدث .. كيف تم قتل تلك الطالبة وشريف؟ .. وكيف تم حقن أوردتهم بالفورمالين بهذه الصورة دون إحداث ثقب بأجسادهم ، وفي هذه الفترة القصيرة التي لاحظناها في حالة الفتاة ..

هل تتخيل أن يتم قتل الفتاة والتخلص من دماها ثم حقنها بالفورمالين في أقل من نصف ساعة؟! .. أخبرني عن أقل فترة زمنية نحتاجها لإعداد وحفظ الجثث بالفورمالين هنا؟ .. أربع ساعات على الأقل .. فكيف حدث هذا مع الفتاة في أقل من نصف ساعة إذاً؟ .. أعطى تفسيراً مادياً معقولاً، وسأطرح حينها أفكارى كلها جانباً .

كان الأمر محيراً له .. هو نفسه فكر في الأمر مراراً، ومحاولاً إيجاد تفسيراً معقولاً، لكنه فشل .. لكن هذا لا يعنى أن يطرح المنطق جانباً ليبحث عن شبح ما أو جثة كما ادعى عمال المشرحة لإلصاق التهمة بهم، لذا قال بعناد:

- ربما لا أملك تفسيراً بالفعل .. لكن من العسير أن أقبل أن الجان أو الأشباح هم من فعل هذا .. ماهو الدافع لديهم في القتل .. ولماذا لم يفعلوا هذا من قبل؟ .. لم يرد عليه الدكتور مصطفى مباشرة .. فقد كان هذا وقت توجيه الاتهام لمتهم يجول بخاطره .. لذا قال بعد صمت طويل، مرة واحدة:

- جثة الفتاة! .. تلك الجثة التي جلبها متولى .. لو لاحظت فإن كافة الأحداث حدثت بعدما جلبها متولى إلى المشرحة .. أرى أن سراً ما يحيط بها .. هل لاحظت

كيف كانت تبدو حين جلبها متولى..لم تبد أبداً كجثة .. ألم تتعجب من خلوها من أى من علامات التحلل؟ ..لقد كانت بالفعل عجيبة محيرة في كل شيء.  
ثم ابتلع ريقه للحظة دون أن يرفع عينيه من عيني الدكتور نعيم، قبل أن يكمل بحماس: :

-لن أخجل من أن أخبرك أنني ذهبت بالأمس إلى المشرحة؛ لألقى نظرة عليها.. لقد فرغت حين أزحت جفنيها لأرى عينيه ..لن تصدق كم البريق والحيوية الذى مازالت تحتفظ به..بريق فشل الموت و الفورمالين في إطفائه..إن عينيها حيتان تماماً لو جاز لى التعبير.. إننى أعمل منذ أكثر من أربعين عاماً بالطب..كطبيب تشريح تعاملت خلالها مع مئات الجثث .. ولا بد أنك تصدقنى حين أخبرك أنه في حياتى كلها لم أر جثة كهذه.

تطلع إليه الدكتور نعيم في حيرة ودهشة ..أيود الدكتور مصطفى أن يتهم جثة بافتعال كل هذا ..هذا يتنافى تماماً مع العقل ..إنه لاينفى أن تلك الجثة كانت غريبةً، لكنها جثة في النهاية ..قال معترضاً:

-إنها جثة يادكتور مصطفى ..جثة!..فكيف يمكنها أن تفعل كل هذا ..الموتى سيظلون موتى إلى يوم القيامة، ولن ينجح أحد في إحيائهم مهما فعل ..هذا أساس عقائدى لا مجال لإخلاله.

-أنا لم أقل إنها عادت للحياة..ربما كانت لعنة ما أو مس شيطاني يحيط بها .. شيء مثل لعنة الفراغة فعلاً..

لم يقتنع الدكتور نعيم بتلك التبريرات، إلا أنه غمغم مستسلماً :

-إذن ماذا تقترح لتتأكد من افتراضك هذا؟

-أرى أن علينا أن نقوم ببعض التحريات عن هذه الجثة ..من هي؟.. وكيف ماتت؟.. وماهى الظروف المحيطة بموتها؟..إننى أنوى أن أستعين فى هذا بمتولى .. فمن يدرى ربما وصلنا بعد هذا لشيء ما حينها؟!

يعيش عم منصور في منشية الصدر .. منطقة فقيرة تنتشر فيها الأكواخ والعش الحشبية والبيوت المصنوعة من الطمي كما ينتشر في أرجائها بعض محلات الأطعمة المتواضعة والقهاوى الرخيصة ..  
اخترها عم منصور ؛ لأنها كانت قريبة للغاية من الكلية ولا يفصلها عنها إلا مسافة قصيرة.. يسيرها كل يوم ..  
أحب المكان كثيراً، فقد بدا بيوته وسكانه مألوفاً له ، وذكره بقرية بالنبيا حيث نشأ.. ولا عجب في هذا فأغلب القاطنين هنا ذوى أصول ريفية أو صعيدية بالفعل ..

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل حين غادر القهوة الوحيدة بالمكان ، حيث اعتاد أن يقضى سهراته فيها .. يشرب الشيشة .. يلعب الطاولة .. يتكلم عن الحرب مع إسرائيل التي لا يكف الجميع عن الجدال إن كانت مصر جادة في الدخول فيها أم أن إسرائيل قد فعلت فعلتها وظفرت بما اختطفته إلى الأبد ..  
كانت القهوة وسيلة تساعد على إزاحة أوقات فراغه.. حيث يظل بها حتى يشعر بالنعاس ؛ فيغادرها متثاقلاً نحو داره ..

انتصف الليل؛ فقرر العودة إلى منزله الصغير الذى يستأجره .. منزل عتيق مكون من حجرة واحدة ومطبخ صغير وحمام صغير بلا باب يدخله بالكاد .. وبالرغم من ضيق المكان إلا أنه كان يشعر بالرضا عنه.. على الأقل هناك مكان يستره آخر الليل .. وصل المنزل وفتح الباب ، وامتدت يدها إلى جانب الحائط الأيمن المجاور للباب حيث مفتاح الإضاءة .. ضغط عليه فلم يضيء المصباح الكهربائى .. فتمتم بضيق:

-اللعنة ..هل أحترق الأسلاك مرة أخرى؟

تطلع من النافذة إلى الخارج ليلاحظ أن المنازل المجاورة له مضاءة ..إذا فالعطل في بيته فقط ..كان من المستحيل أن يحاول معرفة مكان العطل الآن في هذا الظلام ؛ لذا فقد قرر أن يبيت ليلته في الظلام، ولينتظر العطل للصباح ..اتجه إلى الحمام بعدها محاولاً ألا يتعثر في أى شيء بطريقه، ونجح في هذا لحد ما .. وبعد أن قضى حاجته أشعل عود ثقاب ليبحث عن المصباح الزيتي ..

وجده على أحد الأرفف بالخائط ..نزع غطاءه الزجاجي، وقرب عود الثقاب من فتيله ليشعله، لكنه لم يستجب ..تطلع على ضوء عود الثقاب الآخذ في الذبول إليه، فلاحظ أنه خال تماماً من الوقود..أعاده إلى مكانه، وقد تذكر أنه قد نسي جلب المزيد من الوقود ..

غمغم بموال شعبي صعبدي شهير، وهو يتجه الى فراشه حيث خلع عنه جلبابه، ووقد عليه .

كان من النوع الذى يرضى دائماً عن نفسه، ولا يؤنب نفسه أبداً .. هل كان هذا تأثير الحشيش الذى يدمنه؟ ..ربما..

لذا كان من الصعب أن يعكر صفوه أى شيء حين يعود من المقهى، وقد شرب حجرتين أو ثلاثة من المعسل المخلوط بالحشيش ..ولهذا لم يضايقه الظلام، ولا أسلاك الكهرباء الثالثة، ولا المصباح الخالى من وقوده، ولا حتى القنبلة الذرية التى ألقتهامريكا يوماً على اليابان أو مذابحها فى فيتنام بعد ذلك، ولم يمرض وقت طويل إلا وقد راح فى نوم عميق و تعالى شخيره .

لم يدر هل نام طويلاً أم أن وقتاً قصيراً قد مضى على نومه حين شعر بحركة ما فى الحجرة..فتح عينيه باتساعهما محاولاً أن يخترق بهما الظلام الكثيف الذى يحيط به دون جدوى..هل هناك أحد ما غيره بالغرفة ؟ ..

أ يكون ل صاً ما؟..ولكن لو كان كذلك فماذا سيسرقه .. المنزل بأكملة لا يوجد فيه ما يستحق أن يعبر أتعس لص انتباهه له.. لهذا لن يقتحم لص بيته ليسرق بعض الهلاهيل والكراكيب التي لن تجد من يشتريها ..  
إذن من هذا؟ ..أ يكون فأراً؟ ..ربما ..لذا هتف بصوت مخنوق متوتر:  
-من هناك ؟..

جاوبه الصمت قبل أن يشعر فجأة يبرد غربي ينتشر بالمكان كله .. شعر بقلبه يضطرب فجأة، ورائحة عطرية قوية ومثيرة تتسلل نحو أنفه..  
مرة أخرى هتف بتوتر أكبر، وهو يحاول أن يجعل نبرة صوتة قوية غير مرتعشة، إلا أنه اكتشف أنه فشل في ذلك حين خرجت من فمه مرة أخرى مخنوقة أكثر :  
-من هنا ؟!تحدث وأخبرني من أنت

مرة أخرى كان الصمت والبرد والخوف، والرائحة المثيرة تزداد قوة ..هنا تذكر فجأة أين شم هذا العطر من قبل..كان هذا في المشرحة..في تلك الليلة التي هاجم فيه متولى شيء ما..فشعر بملع شديد ..

إنه بمفرده مع هذا الشيء ..أ تكون نهايته الآن مثلما حدث مع الدكتور شريف وتلك الطالبة؟..إن دفع الأدرينالين في جسده وقد خشى الموت ولم يشعر إلا بنفسه، وقد انتفض فجأة من فراشه، وقد عزم أن يهرب ..سيجرب نحو الباب ليفتحه، وينطلق إلى الشارع، ولن يألوا جهداً حينها في الصراخ طلباً للنجدة ..  
لكنه ما أن تحرك حتى فوجئ بأنامل دقيقة باردة كالثلج، وناعمة تحيط بذراعيه العاريتين، وتقبضان عليه بقوة وتصميم..

حاول التملص من هذه القبضات الرقيقة القوية فلم يستطع ..هنا صرخ بأقوى مايملك..صرخ وهو يشعر بقدميه واهنتين ترتعشان كأقدام طفل يتعلم الحبو ..

صرخ .. فترددت في المكان ضحكةً أنثويةً مثيرةً .. صرخ وصوت جميل يقترب من أذنه، ويهمس فيهما بنشوة:

-خائف أنت ومدعور يا صغيرى .. إن هذا يطربنى بشدة..

هنا لم يعد في الإمكان أن يظل بوعيه كل هذا الوقت، والهول بجواره .. لقد ظل محتفظاً بوعيه لفترة أطول من اللازم، ففقد وعيه بين يديها.

بالخارج تعالت الدقات القوية على باب بيته منادية عليه، وقد انتبه بعض جيرانه لصرخاته؛ فهبوا إليه لنجدته.. تحطم الباب تحت وطأة الأكتف القوية التي راحت تصطدم به بقوة وحماس ..

أضواء المصباح الكهربائي فجأة، حين تحطم الباب ليجد المندفعون عم منصور راقداً على الأرض ومغشياً عليه بجوار الفراش، والعطر الأنثوي المثير يملأ الفراغ.. لم يكن هناك في المكان أحد ما غيره .. انهكموا في إفاقتة، وراحوا يخمنون ماذا حدث له.

(26)

فى نفس الوقت كان هناك أمر مثير آخر يحدث مع جمال الذى أطلق سراحه منذ أيام لعدم توافر الأدلة .. عاد من القهوة كعادته كل يوم بعد أن انتصف الليل .. فلم يكن يغادر القهوة إلا حين يكون متأكداً من أن زوجته قد نامت، وأنه لن يجدها بانتظاره حين يعود ..

كان يسكن فى الطابق الثانى فى عمارة صغيرة من أربعة طوابق بحى المطرية.. صعد الدرج المظلم بحدوء، وفتح باب شقته محاذراً أن يصدر عنه صوت ما .. ثم دخل سائراً على أطراف أصابعه .. وقف للحظة صامتاً ليتأكد من أنه لا أحد مازال متيقظاً بالبيت .. أرهف سمعه، فلم يصل لأذنه إلا أصوات الأنفاس المنتظمة لأبنائه وزوجته النائمين .. ابتسم باطمئنان قبل أن يتجه إلى المطبخ.. كان يبحث كعادته عن الطعام الذى تتركه له زوجته كى يأكله قبل أن ينام ..

أضاء المصباح وتطلع إلى المنضدة الخشبية التى تتوسط المطبخ .. كان هناك طبقان مغطيان بورق جرائد، كشفهما ليجد طبقاً من الأرز وآخر به بامية مطبوخة تتوسطه قطعة صغيرة من اللحم ..

شعر بالسعادة لهذه الوجبة، وتحركت شهيته.. فهناك لحم اليوم .. اتجه إلى الثلاجة ليحضر زجاجة مياه باردة تجرع منها جرعات كبيرة، قبل أن يعود للمنضدة؛ ليجلس على أحد كراسيها، ويبدأ فى التهام عشائه ببطء، وهو يدندن أغنية لعبد المطلب يحبها ..

-ياحاسدين الناس مالكم، ومال الناس ..

كان ظهره للباب إلا أنه شعر فجأة أن هناك من يقف خلفه بجوار الباب ويراقبه .. ازدرد معلقة الأرز التى كان يهيم بابتلاعها بصعوبة، وقد أيقن أنها زوجته

حتماً فمن غيرها يتحرك بمثل تلك الخفة التي تميز الزواحف؛ فلا تشعر بها أبداً..  
هي ليلة سوداء بالتأكيد.. عيب وهو يلتفت برأسه مستعداً للعراك، لكنها لم  
تكن زوجته.. كان من المستحيل أن تكون هي.. زوجة لا تختلف عن جوال من  
البصل يسير على قدميه.. أما هذه فهي حورية.. تطلع إليها بذهول حتى أن  
فمه الممتلي بالطعام قد فغر، وسال على جانبه الأيسر بعض اللعاب.. كانت  
تبتسم له ابتسامة شديدة العزوبة..

تساءل في سره من تكون، وهو يتنفس بعمق تلك الرائحة الأنثوية المثيرة التي  
تفوح منها.. أتكون إحدى قريبات زوجته؟! ظلت كما هي بمكانها بجوار الباب  
ترمقه بصمت، وابتسامة ساخرة ترسم على شفثيها، وظل يرمقها بانبهار قبل  
أن يقول:

-مرحباً.. أنت إحدى قريبات زوجتي؟..

هزت رأسها ببطء نافية، وأجابت بصوت ساحر:

-إنني ضيفتك هذه الليلة.

اتجهت إليه بخطوات لاصوت لها، وعيناها معلقتان بها لالترمشان، وجلست  
بجواره، وأكملت بصوت ساحر أمثله:

-أكمل طعامك... أحب أن أراك تأكل.

التفت إلى الطعام، وبدأ في التهامه بشهية، دون أن يرفع عينيه عنها، وقد  
جلست أمامه ترمقه بعينين نجلاوين أسكرتاه..

كان كالمنوم مغناطيسياً..

ظلت تبتسم حين تذكر فجأة أين رآها من قبل.. هبط الجواب على رأسه فجأة  
كالمصائب التي تأتي بغتة.. إنها هي جثة الفتاة التي في المشرحة!!!

هنا اتسعت ابتسامتها، وهي تلاحظ فكه السفلى الذى تدلى ببلاهة ورعب، ونظرة الهلع التى ارتسمت على قسماات وجهه، وبقايا الطعام التى كان يلوكها ظاهرة خلال فمه الفتح، فقالت، وهى تشير بإصبعها نحو صدرها:  
-نعم إننى هي..ألأتراى فاتنة!!؟

كان هذا وقت الذعر، وكان يجب للجنون الآن أن يمرح، إلا أنه تيبس على مقعده، ولم يقو على فعل أى شيء .. فقط أعلن قلبه عن تمرده فراح يدق بعنف واضطراب.. اقتربت منه فى هذه اللحظة بوجها وجسدها يميل نحوه، وغمزته بعينها اليسرى، وقالت بمرح:  
-فى المرة القادمة انتبه لما تأكله!  
وبفزع اتجهت نظراته إلى طعامه ..  
الأرز صار دوداً مقزراً، والطبيخ كان دماء!

هنا لم يستطع أن يكتم صرخاته أكثر من ذلك، فانطلقت من حنجرتة صاخبة؛ لتمزق سكون البيت .. حينها اندفعت زوجته من الحجرة صارخةً هى الأخرى على صوت صرخاته، لكن الفتاة حينها لم تعد بالشقة .  
ظل يصرخ لفترة من هول ماحدث له وجزعاً مما أكله.. أخذت معدته فى التقلص والتمرد على مادخلها، فانتابته نوبة عنيفة من القيء فانحنى ليفرغ تحت الطاولة مأكله، وزوجته تراقبه بوجل، وهى لاتكف عن سؤاله عما حدث له .. لكنه فى تلك اللحظة لم يكن قادراً على الإجابة ..وظل هكذا طوال الليل.

(27)

فى نفس الوقت كان متولى هو الآخر يمر بلحظات لا تقل إثارة عما يمر به زميلاه .. كان قد استلقى على فراشه فى انتظار أن تأتبه زوجته التى كانت تحاول بشتى الطرق أن تجبر أبناءها الأربعة على النوم .. لعنت خلالها مراراً القاهرة أو مصر كما كانت تسميها ..

فحين عاشوا فى قريتهم بمحافظة البحيرة كان يكفى أن تؤدى صلاة العشاء ؛ ليخلد أبناؤها بصورة تلقائية للنوم بعدها .. كانت أيام مبهجة وبسيطة .. وبالرغم من مرور فترة لا بأس بها منذ انتقالها للحياة بالقاهرة، إلا أنها لم تعتدها بعد.

لم تعتد أن تعيش فى المدينة الصاخبة التى لاتنام قبل الصباح .. المشكلة أن أبناؤها تأقلموا بسرعة، وبصورة مخيفة على الحياة هنا .. صاروا يستيقظون متأخرين بعد الظهر، وينامون بعد منتصف الليل .. بل والأفدح أنهم قد امتلكوا جرأة الرد عليها أحياناً لو زجرتهم .. وتعلموا أن يرفضوا ماتصنعه من طعام لهم لو لم يروق لهم ..

بل وأخذوا يحدثونها الآن عن ملابسها التى عليها أن تغيرها ؛ لأنها لاتليق بما الآن .. لقد غيرتهم تلك المدينة الوحشية حين أبحرهم بأضوائها .. لكنها لن تنهزم أمام فتنها وإغرائها مهما حدث.

أخذ متولى يفكر وهو راقد على فراشه .. كان له مشغولاً بصفقة جديدة من صفقاته التى لاتنتهى ..

هناك ستة طلاب من طب القاهرة جاءوا يسألونه أن يوفر لهم هياكل عظمية كاملة، وطالب سابع كان يبغى جثة سليمة على أن يحفظها هو بالفورمالين قبل أن يتسلمها الطالب منه ..

كان هذا يعنى مبلغا من المال لا بأس به يضاف لجيبه ، ورحلة أخرى لقريته  
لجلب الهياكل .فراح يفكر إن كان يستطيع توفير تلك الصفقة كاملة ..

من حسن حظه أنه كان على علاقة جيدة بعم عبدالواحد .. حانوتى القرية ..  
لم يتعب كثيراً فى إقناعه بنيش القبور ، وإخراج أحشائها من بقايا البشر القابعين  
بما ليوم الحشر ليسلبهم أجسادهم وعظامهم .. فالخى دائما أبقى من الميت، كما  
أن الموتى لم يعد هناك ماقد يضيرهم ..

لقد انتقلت أرواحهم الى بارئها أما أجسادهم؛ فهي جيفة يأكلها الدود  
والتراب .. أقنعه أنهم لايقومون فى عملهم هذا بأمر يجرمه الله.. ألتساعد هذه  
الهياكل والجثث الطلاب على معرفة تكوين الإنسان وتركيبه.. وكل هذا  
لإعدادهم لأن يصبحوا فيما بعد أطباء مهرة يعالجون المرضى ، ويحاربون الأسمام  
ويقاومونها..

إن مايقومون به هو من أجل العلم، و يخشى الله من عباده العلماء ..  
كان كلاماً بالطبع لايقنع أحداً ، لكن حين تضيف إليه سحر المال، فسيصير  
هذا الكلام من درر الحكمة وعجائب الدهر .. لذا لا تتعجب حين تجد عم  
عبدالواحد قد وفر الجثث من أجله، ثم يقبض فى يديه ثمنها.. ليتمتم بعدها  
بخشوع.. جزاك الله خيراً.

ولأن تجارته بالجثث والعظام قد اتسعت، وصار مقصد الكثير من طلاب  
الطب ،فقد قام عن طريق عم عبدالواحد بالاتفاق مع عم عبدالودود ،حانوتى  
إحدى القرى المجاورة لقريتهم ، ليحلب لهما هو الآخر المزيد من الجثث والهياكل  
من الحيوانات التى يقوم برعايتها ..

ظل سارحاً في خيالاته حين لاحظ أن النور قد أطفأ فجأة، وقبل أن ينادى زوجته شعر بما تدلف إلى السرير، وترقد إلى جواره، فاقترب منها ليحتملها شاعراً بجسدها الدافئ، وقال منتشياً ويدها تحيطان بجسدها الغض:  
- اقتربي مني أكثر؟.

لم تقاومه وإن تعالت أنفاسها، وأفعمت المكان بعطر مثير ذكره بشيء ما لا يذكره تحديداً، فتنشق العطر بعمق ليفاجأ بأن ملمس ذراعيها اللذين يحيطهما بذراعيه قد صارا باردين فجأة، فقال بتعجب، وهو يبعد كفيه عن جسدها:  
- أنت باردة كالثلج. ماذا بك؟

لم يجاوبه إلا أنفاً لاهته.. ثم فوجئ بصوت زوجته يأتي من خارج الحجره قائلاً:  
- مع من تتحدث يا متولى؟! ...

انتصب شعر رأسه وتواثب قلبه.. إذا كانت زوجته بالخارج تناديه الآن، فمن هذه؟! .. هبط الجواب على رأسه مرة واحدة مفزعةً ومخيفاً، حين تذكر العطر الذي يفوح من تلك المرأة.. كان هذا هو عطرها الذي شمه من قبل.. عطر الفتاة التي جلب جنتها للمشرفة وهاجمته بعدها.. لم يتمالك نفسه، فأطلق صرخة فرح، وصوت مخيف يهمس في أذنيه بجذل:  
- نعم إنني هي.. وقد جئت لآخذك معي ..

حاول أن يدفعها بيديه بعيداً عنه، وهو يطلق صرخةً أخرى.. إلا أنه أحس فجأة بدوار مفاجئ يغطي مناطق وعية، وبعدها لم يشعر بشيء..  
أما زوجته فحين سمعت صرخات زوجها تعالي في الظلام لم تألوا جهداً في أن تطلق صرخات قوية توقف الموتى.. واندفعت نحو الحجره لتجدها خالية من

زوجها الذى وصلها صوته منها منذ قليل .. فاستمرت فى إطلاق صرخاتها، وعيناها  
تبحث عن زوجها الذى اختفى من الحجرة فجأة، واختطفته الشياطين .

(28)

فى الصباح كان عبد الدايم كعادته أول من وصل للمشرحة .. حياً العسكرى  
الأسوانى دقيق الجسم ، ذو البشرة السمراء، الواقف على باب المشرحة ،  
والمكلف من الشرطة بحراستها .. ودعاها لأن يتناول إفطاره معه، فلبى العسكرى  
الدعوة بامتنان. دخلا المشرحة سوياً، فغطى الجندى أنفه وفمه بمنديل حين واجهته  
رائحة الفورمالين الخائقة قائلاً :

-هل الرائحة هنا سيئة دوماً هكذا؟ .. لا أدرى كيف تحملونها

ضحك عبد الدايم ، وقال بلهجته النوية الدافئة:

-أكل عيش يا بلدينا .. لقد تعودنا عليها منذ زمن فلم نعد نتم أو نشعر بما .

- لاأظن أن رائحة كهذه من الممكن أن يعتادها المرء يوماً ما...

-صدقنى .. لقد اعتدناها بالفعل ..

-بالمناسبة .. أنا إسماعيل .. إننى من أسوان.

-وأنا عبد الدايم النوبى .. إننى من النوبة كما يشير اسمى وبشرتى.. لكننى أعيش

الآن هنا بالقاهرة.

هزّ الجندى رأسه ، وهو يتطلع إلى آخر قاعة المشرحة ، وقال بصوت خافت

وعيناه تلمعان من الإثارة:

-هل يمكننى أن أرى الجثث التى هنا ؟ .. إننى لم أر جثثاً قط فى حياتى .

-بالتطبع يمكنك أن تراها الآن .. لكن عدنى ألا تخبر أحد .

قالها عبد الدايم ، وهو يمسك بيده ، ويتقدمه نحو قاعة المشرحة ليريه الجثث ..

دخلا قاعة التشريح فكان الهول بانتظارهما .. فما رأياه كان أكثر فزعاً من

الكوابيس نفسها !

أطلق عسكرى الأمن صرخة فزع، وهو يحتضن عبدالدايم الذى راح جسده يرتجف هو الآخر، وهو يتمم :

- يا إلهى ! .. الرحمة يا الله !

فأمامهما كانت الجثث الموجودة بالمشرحة بأكملها معلقةً فى الهواء بصورة مقلوبة، فكانت أرجلها لأعلى، ورأسها للأسفل، وقد تقاطعت أذرعها أمام صدورها، فى وضع مشابه لوضع المومياءات الفرعونية المخطئة.. وفى منتصف الجثث المعلقة فى هذا الوضع المخيف ظلت جثة على منصفتها . كان جلياً أن الجثث تصنع بأجسامها رؤوس نجمة خماسية الأضلاع ، وتتوسط تلك النجمة الوهمية جثة الفتاة .

حانت التفاتة من عبدالدايم إلى إحدى الجثث المعلقة ففوجئ أنها لتتولى . كان عارياً تماماً من ملابسه، مثله مثل الجثث التى تسبح بجواره، وقد احتقن وجهه بشدة من جراء وضعه المقلوب هذا .

ظل الجندى يرتجف، وهو لا يصدق ما يراه، وذعر هائل يعجزه عن فعل أي شيء ما، فأخذ يبسمل، ويستعيد بالله من الشيطان الرجيم .

أما عبدالدايم؛ فقد تغلبت مروءته على فزعه، فصاح بالجندى بتوتر، وهو يشير إلى جسد متولي بإصبع مرتجف:

- إنه متولى .. ساعدنى يا إسماعيل أرجوك كى ننزله .

تطلع إليه الجندى بفزع ونظرة خاوية على وجهه تشى أنه لم يفهم ما يقوله أو لا يصدق أنه يطلب منه التدخل فى أمر كهذا .. أشعره ما يراه أن أبواب الحجيم قد فتحت، وبصقت كل شياطينها هنا الآن ..

لاحظ عبدالدايم جموده .. فهزه بيده بعنف، وهو يصيح به:

- إنه متولى زملينا بالمشرحة معلق بين الجثث .. ساعدنى لننزله .

انتبه الجندى إلى متولى ، فقال بصوت مضطرب :

-وما الذى ذهب به إلى هناك؟!...

-وما أدرانى .. ولكن علينا أن ننزله الآن ..

-وكيف سنفعل هذا؟!...

-سنجذبه لأسفل معاً...ولكن انتبه حتى لايسقط على رأسه فيصاب.

اندفع الاثنان ناحيته ، وهما يتحركان بحذر بين الجثث المعلقة متطلعين إليها بتوجس ورعب ..تخيّل الجندى الشاب أن تمد إحدى الجثث المعلقة يدها نحوه فجأة، لتمسكه من رأسه أو شعره فاقشعر بدنه..شيء كهذا سيوقف قلبه حتماً له لو حدث .. وصلاً إلى متولى ؛ فجذباها كل من أحد كتفيه ..

كان بارداً.. لكنهما لم يلتفتا لهذا الأمر .. جذباها بقوة أكبر محاولين التغلب على مقاومة خفية تجذبه لأعلى .. مضت لحظات من المحاولات الحثيثة دون جدوى وفجأة اختفت تلك المقاومة الخفية لجذباها مرة واحدة، فسقط جسد متولى عليهما وأسقطهما معه..ونجح عبدالدايم بسرعة في حماية رأس متولى من الارتطام بالأرض بأن احتضنها ..

اندفع الاثنان بعدها في جر جسد متولى للابتعاد به عن هذا المكان الملعون ، وراح الجندى يصرخ بفرع:

-دعنا نخرج من هذا المكان الملعون ..أسرع بالله عليك..هيا أسرع.

أسرعوا في جر متولى جراً .. وجذبوه نحو حجرة العمال، ثم وضعوه على الفراش .. وبينما غطاه عبدالدايم ببطانية صوفية ، اندفع الجندى فجأة نحو باب الحجرة فاراً ، كأنما تتبعه الشياطين ، وهو يصرخ :

-لن أمكث في هذا المكان الملعون لحظة واحدة بعد الآن.. ليسجنونى لو شاءوا .. لكننى لن أعود هنا ثانية.

بالطبع لم يكن عبدالدايم بقادر على لومه ..جثث معلقة في الهواء؟.. أى فعل شيطاني هذا؟..

كان يتمنى هو الآخر أن يفر من المكان ، إلا أنه لم يكن ليترك متولى بمفرده في مثل هذه الحالة.. لذا أخذ يهز رأسه وجسده بصورة محمومة محاولاً إنعاشه وإفاقته..

لكن متولى بالرغم من انتظام أنفاسه الآن وتحسنها قليلا، لم يستجب لمحاولاته إلا بعد وقت طويل..

"أى جنون اعتزى الجميع هاهنا ..جثث تطير في المشرحة ..عن ماذا تتحدثون؟.."

قالها الدكتور نعيم بعصبية شديدة واستنكار ،وهو لا يصدق مايلقيه عبدالدايم على أذنه.

كان عبدالدايم يقف أمامه بصحبة عم منصور وجمال ومتولى الذى بدا شاحباً للغاية ،وبصعوبة بالغة استطاعت قدماه أن تحمله.. كان يرتدى ملابساً قديمة لعم منصور كان يحتفظ بها في المشرحة..قميص رمادى وبنطالون صوفى أسود واسع، وبدا جسده غارقاً في الملابس الواسعة للغاية فأضفى له هذا منظرًا مضحكاً..  
وجم الجميع أمام استنكار الدكتور نعيم وثورته ،لكن عبدالدايم استمر في جداله قائلاً دون خوف:

-ياسيدى ما أقوله الآن هو ماقد حدث، ولست أختلق أو أتوهم شيئاً مما ذكرته ..وهاهو متولى أمامك ليؤكد كلامى، وهناك أيضا جندى الأمن الذى كان شاهداً على ماحدث هو الآخر..

كاد الدكتور نعيم أن ينفجر في وجهه ،وخاصة حين لمح نظرة عبدالدايم المتحدية اللامبالية بغضبته، إلا أنه تمالك نفسه وقال من بين أسنانه ببطء :  
-إذن فأنتم تريدون منى أن أصدق أن الجثث بالمشرحة كانت معلقة في الهواء ،ومتولى بينها كذلك ومعلق هو الآخر من قدميه في الهواء ..أليس هذا ماترغبون منى في تصديقه.؟

-إن هذا ماحدث بالفعل ..ولقد تركنا المشرحة ،وهى كذلك.

قالها عبدالدايم بشئ من التحدى ،فالتفت الدكتور نعيم إلى عم منصور وجمال ،  
وقال لهما ،وهو يلوح بأصابعه في الهواء :

-وماذا عنكما ؟.. هل رأيتم أيضا الجثث المعلقة؟.

أسرع عم منصور يجيب بتوتر :

-أنا لم أدخل المشرحة بعد .. فلم أر شيئاً .. لقد صحبتهما إلى هنا مباشرة .  
-هذا يعنى أنه لا أحد قد دخل المشرحة مذ كانت معلقة أليس كذلك؟  
هز بعضهم رأسه مؤكداً .. فاستطرد الدكتور نعيم بنفس الصوت الريب  
البطيء .

-إذا يمكننا أن نذهب إلى هناك لنرى تلك الجثث المعلقة بأعيننا .

قالها ،ثم هُض من مقعده ، وانطلق بعصبية ، وخطوات سريعة نحو المشرحة .. كان  
حانقاً عليهم جميعاً ، وعقله يأبى أن يصدق حرفاً مما يدعونه ..

إنهم جميعاً ثلة من الجهلة يهرتلون بلا شك .. لكنه لن يسمح لهذا الهراء أن  
يستمر للأبد .. وسيثبت لهم الآن أنهم حمقى ويكذبون .

تبعوه مهولين ، وهو يتجه للمشرحة .. دفع بابها الخارجى بعنف واتجه مباشرة ،  
وبلا تردد نحو قاعة التشريح .. دلفها ، ثم توقف مباشرة بعد الباب ، وتطلع إليها  
للحظة قبل أن يلتفت إليهم قائلاً بلهجة ساخرة ، ويده تشير إلى الجثث الراقدة  
على مناضدها :

-هاهى الجثث كما هى على مناضدها .. فإين إذاً تلك الجثث المعلقة ؟..

تطلعوا هم الآخريين بتوتر إلى الجثث ، بالفعل كانت على مناضدها كالمعتاد ..  
هنا هتف عبدالدايم بحيرة وضيق ، وهو يخشى أن ينعوته بالكذب :

-أقسم بالله أنما كانت معلقة فى الهواء .. كل الجثث كانت كذلك إلا جثة تلك

الفتاة .. وحدها كانت كما هى

صاح الدكتور نعيم ، وهو يشعل سيجارة ببعض التعالى والحزم:  
-هل ستستمر كثيراً في صب هذا الهراء على آذاننا ..إنني أمنعك عن  
هذا..ولو استمرت في ادعائك هذا ،فسيكون هناك كلام آخر.

قال عبدالدايم بيأس ،وعيناه تستنجدان بزملائه :  
-هناك جندي الشرطة يمكنك أن تساله.. لقد كان هنا ورأى كل شيء  
مثلي..إسأله أرجوك ..إنني لا أكذب  
-لن أسأل أحداً عن أى شيء.. لقد انتهى الحديث في هذا الهراء ..ولن أسمع  
حرفاً آخراً في هذا الشأن بعد الآن.

قالها الدكتور نعيم ببرود ، ثم التفت إلى متولى مستطرداً بجزم:  
-أما أنت فأريد تفسيراً منطقياً لوجودك بالمشرفة عارياً..أخبرني كيف فعلت  
هذا ؟..

غمغم متولى بإعجاب حقيقي:  
-إنني لا أعلم شيئاً مما حدث ..وآخر ما أتذكره أنني كنت بفراشي بالأمس ،ثم  
استيقظت لأجد نفسي هاهنا...

لم يرغب متولى في أن يقص عليه ما حدث له بالأمس على فراشه قبل أن  
يفقد الوعي.. كان مشوشاً ومرعوباً مما حدث .. صحيح إنه لايدري كيف جاء  
للمشرفة ،ولا كيف صار عارياً معلقاً للسقف ..إلا أن ما حكاها له عبدالدايم  
حين أفاق ،وكيف أنه كان عارياً ومعلقاً في الهواء بين الجثث أورثه رعباً يفوق  
الوصف ، وارتسم في عقله تساؤل مخيف ..

ماذا كان سيفعل لو أفاق فجأة ،ووجد نفسه هكذا معلقاً من قدميه في الهواء  
وحوله الجثث معلقة ..بالتأكيد لن يحتمل قلبه شيئاً كهذا ،وستكون نهايته ..

كان هذا هو نهاية عمله في المشرحة، ولو كان عمله بما يكسبه ذهباً .. فهناك  
حكمة يفهما جيداً..

الموتى لا يعرفون الذهب.. لذا فعليه أن يعيش إذا أراد أن يستمتع بأمواله.  
لذا لم يبال بنظرة الدكتور التي رمقه بما برود ، قبل أن يقرر الدكتور نعيم أن  
يغادر المكان بكل الهراء الذى به، لولا أن قال لهم منصور هذه المرة :  
-نحن أيضا نصدق عبدالدايم يادكتور ،وهناك أيضا ما أود أن أحكية لك أنا  
وجمال.

قالها ، فتطلع إليه الدكتور نعيم بنفاذ صبر، وهو ينفث دخان سيجارته بضيق ،  
فحكى له عم منصور وجمال ما حدث لهما بالأمس..

اكتفى الدكتور نعيم بالصمت ،وراح يرمقهما من حين لآخر بتوتر مغالباً  
إحساسه ولم يعقب ، ثم هز رأسه بقوة كأنما يطرد كلامهم منها ، ثم تركهم وغادر  
المشرحة دون أن يعلق على ما قالوه ، فتطلع الأربعة إلى بعضهم البعض  
بتعجب، وقال عبدالدايم بحنق:

- لا أدرى لماذا يرفض أن يصدق؟.. لا أظن أننا كلنا نختلف ويدعى ما حدث.  
قال متولى بلامبالاة:

-لا يهمنى الآن تصديقه من عدمه، فلن أمكث لحظة واحدة في هذا المكان  
بعد الآن..لن أحتمل رعباً آخر في هذا المكان .. إن مرتين من الفزع تكفى.

واقفه جمال الذى قال بخوف ،وجسده الضخم يرتجف ،ويهتز بانفعال:  
-ولا أنا سأملك هنا..سأستقيل أنا الآخر..ولتذهب تلك الوظيفة المشؤومة  
إلى الجحيم .

حاول عبدالدايم أن يهدئهما أو أن يثنيهما عن قرارهما ،ولم يتكلم عم  
منصور.. كان يتذكر كل ما حدث له ولهم ،ويحاول بعقله أن يربط كل تلك

الأحداث بخيط واحد.. كانت كل الأحداث تنتهي كل مرة عند جثة الفتاة.. لقد بدأت تلك الأحداث بعدما جلبها متولى .. كما أن من يهاجمهم كل مرة كانت هي .. هل تكون هذه الجثة ملعونة؟..

وجد نفسه يقول فجأة قاطعاً الجدال القائم بين باقى العمال وهو ينظر إلى متولى بسخط:

-متولى من أين أتيت بهذه الجثة اللعينة؟.

"إنني على عكسك تماما يا دكتور نعيم أصدق كل ما قالوه.. إن مامروا به يتفق مع ما أفكر فيه.. من المستحيل أن يتلقوا كل هذا.

غمغم بما للدكتور مصطفى للدكتور نعيم حين قص له ما حدث.. كان الدكتور مصطفى على يقين الآن أن أمراً ما غير طبيعي يحدث بالمشرحة، ويرتبط هذا الأمر بالجثث أو بجثة الفتاة على وجه التحديد ..

كان يمتلك عقلاً مرناً، ولم يكن بالشخص الذى يرفض فكرة ما مهما بدت غرابتها إلا بدليل عقلى لا يدحض.. رأى أنه من المستحيل أن يتلقى العمال كل هذه الأحداث، فلاهدف ما سيحققونه باختلاق أحداث كهذه .. كما إنه من المستحيل أن نتهمهم جميعاً بالهلوسة أو الجنون ..

هل نواجه كائنًا شيطانيًا.. هل نواجه جانا .. كان هذا هو السؤال ..

حين كان صغيراً شاهد في قريته الصغيرة بالقلوبية بعينه أحداثاً مخيفة تحدث لأحد أقاربه .. اتفق الشيوخ حينها على أن جانا ما قد أصابه بالمس .. كان كثيراً ما يرى قريبه هذا يثور فجأة دون مبرر، فيحطم كل ما حوله قبل أن يهدأ فجأة .. كان قادراً على تحريك كتل صخرية تزن أكثر من عدة أطنان بيديه بالرغم من ضعفه وهزاله .. وكانت النيران تشتعل فجأة حوله .. بل وكاد مرة أن يحترق على فراشه، حين بدأ السرير في الاشتعال بينما كان نائماً عليه ..

كانت تجربة مريرة لأسرة قريبه هذا عاشها معهم وكان شاهداً عليها .. وقد انتهت للإسف بموت هذا الشخص غرقاً في مصرف المياه ذات مساء ..

كان يؤمن بأن هناك الكثير مما يدور حولنا، ولانشرع به أو نراه، ولكنه موجود وربما يؤثر علينا أحياناً بشكل ما .. لذا قال للدكتور نعيم متسائلاً:

-هلا تخبرني بالفائدة التي تعود على العمال من اختلاق هذه الأحداث الكثيرة المتلاحقة؟! المتلاحقة!

لم يجد الدكتور نعيم إجابة محددة لهذا السؤال، لذا قال بحيرة:  
-المشكلة أن مايقصونه يفوق قدرتي على التصديق ..إنهم اليوم كما أخبرتك يحدثونني عن جثث معلقة من أرجلها في الهواء ، ليس هذا فقط بل يتحدثون عن متولى الذى نام على فراشه ليجدوه اليوم معلقاً هو الآخر بين الجثث عارياً ..لو كان ما يقولونه قد حدث بالفعل ، فكيف وصل إلى هنا، ومن الذى فعل به هذا؟..هل هناك عاقل يصدق هذا الهراء؟..

-يمكنك أن تضيف هذا السؤال إلى عشرات الأسئلة الأخرى التي تحيرنا .  
وضع الدكتور نعيم يديه بإرهاق على سطح مكتبه، وأسند رأسه عليهما، وقال بصوت ضعيف حائر:

-مارأيك أن تتولى أنت الأمر ..فأنا لست بقادر على التفكير فى أى شيء الآن .

-قرار صائب .. سوف أتولى الأمر من هذه اللحظة ،إن لدى شكوكاً قوية حول جثة الفتاة التي جلبها متولى ..سأذهب إليه ليُعلمنى من أين أتى بها ،وما قصتها ،ولو اقتضى الأمر سأذهب للمكان الذى أتى بها منه بنفسى لأعرف قصتها..لقد كان هذا ما نويته كما أخبرتك من قبل ..وأظن أن وقت البحث جدياً لمعرفة ما الذى يحدث قد حان.

-أتمنى أن تفلح فى مقصدك ..إننى أريد أن ينتهى هذا الكابوس بأى صورة كانت .

-إن شاء الله سوف ينتهى كل هذا فى أقرب وقت،إننى أتوقع أن تقدم لنا تلك الخطوة بعض الإجابات التي تحيرنا.

هزّ الدكتور نعيم رأسه موافقاً على الاقتراح قبل أن يقول مكماً:  
- وهل تنوى أن تستعين بأحد ما في هذا الأمر؟  
- سأكتفى بنفسى فى البداية، وأرجو ألا نلجأ لأحد الدجالين الذين يستخرون  
ملوك الجن الذين لا يخلو لهم كى ييوحوا بأسرارهم إلا للغربان المصابة بالبواسير،  
والديوك المصابة بعمى الألوان، والضفادع التى تشكو من عسر الهضم.  
ضحك الدكتور نعيم وقال :  
- لو أن هذا سيفيد فسأجأ له .. على العموم افعل ماتراه صواباً، وسأدعو الله  
أن تنجح فى مسعاك حقاً..  
قالها، وأكمل فى سره.  
- وإن كنت غير مقتنع تماماً بما تفعله .

وصل الدكتور مصطفى ومتولى إلى قرية أولاد عكاشة قرب المغرب.. تلك القرية التي تلتصق بقرية متولى، والتي جلب منها متولى جثة الفتاة .. رحلة شاقة لأكثر من أربع ساعات بالسيارة بين طرق صغيرة وعرة، وغير ممهدة ذات المنحنيات حادة تنذرك دوماً بأنك في لحظة سهو واحدة، قد تنقلب بك السيارة أو قد ترقد بك في أعماق ترعة أو مصرف مياه ..

لاحظ الدكتور مصطفى الذى يقود السيارة مظاهر الدهشه التي تعلق وجوه الفلاحين العائدين من أراضيهم قرب المساء، بعد يوم عمل شاق في هذا الطقس الحار الذى خنق أنفاسه، وهم يتطلعون إلى السيارة بفصول ..

لا بد أن قدوم سيارة ما إلى هذه الأثناء كان قليلاً، فصار حدثاً أن يرى الفلاحون سيارة تخترق قريتهم ..

عند مدخل القرية أشار متولى للدكتور مصطفى بالانعطاف بالسيارة نحو طريق فرعى، فنظر الأخير إلى الطريق بقلق، وهو يلاحظ مدى ضيقه، قبل أن يقول لهتلولى:

-هل تظن هذا الطريق يتسع للسيارة؟..أخشى أن يكون ضيقاً.

-اطمنن يادكتور.. الطريق سيتسع للسيارة، وليس ضيقاً كما يبدو ..إن أتى إلى هنا بسيارات أضخم حجماً ويستوعبها الطريق.

لم يكن امامه إلا أن يجرب، فانحرف الدكتور مصطفى بالسيارة نحو ذلك الطريق، ثم سار بما يبوء ..وكما توقع وخلافاً لما قاله متولى كان الطريق غير ممهد وضيق بصورة مخيفة وأخذت السيارة تتقاذف عليه كلما عبرت حفرة، أو اصطدمت بنتوء به.. كان جانب الطريق الأيمن أراضٍ منخفضة وحده الأيسر ترعة صغيرة..

كان على الدكتور مصطفى أن يعود بعد ساعات من الآن من نفس الطريق مرة أخرى .. حينها سيكون هناك الليل بظلامه .. ولأنه أسوأ سائق بالظلام ، فقد شعر بالتوتر ..

لكنه نفص عن رأسه تلك الأفكار .. وقرر أن يترك كل شيء لحينه .. فلا أحد يعلم ماسوف يحدث بعد ساعات .

لاحظ بعض الصبية الذين أخذوا يعدون خلف السيارة ، وبإلاحقونها كى يلمسونها، ويعتلون سطحها إن استطاعوا ، فصار أكثر حذراً كى لا يصبطم بأحدهم .. وبعد قليل لاحظت من بعيد شواهد قائمة انعكست خلفها أشعة الشمس الغاربة بجمرتها المقبضة .. فقال متولى مشيراً إليها:  
-لقد وصلنا يادكتور ..

اتجه الدكتور بالسيارة نحو مساحة عارية واسعة بجوار المقابر ، فأوقف السيارة بها ، ثم ترجل منها .. أشار متولى إلى حجرة من الطوب اللبن معروشة بالخشب مقامة فى مقدمة المقابر قائلاً:

-هذه حجرة عم عبدالودود .. إنه يعيش بها .

سارا نحو الحجرة ، وقدامهما تطأ الأرض المليئة بالحصى ، فى نفس الوقت الذى خرج من الحجرة رجل عجوز متجهاً هو الآخر نحوهما .. لا بد أنه قد انتبه إلى صوت السيارة ، فخرج ليرى ما هناك ..

كان نحياً للغاية ، وقد امتلاً وجهه بالتجاعيد حتى صار من العسير أن تحدد عمره الحقيقى .. واكتسبت عيناه الضيقتان صفرة مائلة للخضار تشى بكبده المعلول كما فتر فمه عن أسنان سوداء نخرة .. كان يرتدى كلسوناً نبياً حال لونه وصديرى أبيض مهترئ ذابت أطرافه ..

اقترب منهما ببطء بقدم متباعدة الأطراف ،وعينان ضيقتان ترتعشان في محجرهما وتتاُملاهـما بشكـ ..

تعرف على متولى فلانت ملامحه، وهو يقول مرحباً بصوت خشن :  
-مرحباً يامتولى .. أهلاً وسهلاً بك يا بنى .

قالها ،ونظر إلى الدكتور مصطفى بتوجس ،ومتولى يجيبه :

- أهلاً بك يا عم عبدالودود .. كيف حالك؟ .. أتمنى ألا نكون قد أزعجناك .

-أهلاً بك في أى وقت يا بنى .

ثم أشار للدكتور مصطفى مكماًً بخفوتٍ وريبةٍ، وهو يرى ملبسه الأنيقة، ومنظره الحسن:

-الباشا مباحث ؟..

ابتسم الدكتور مصطفى لطرافة ما ظنه .. أدرك من الارتجافة البسيطة في جفنا العجوز ،ويديه أن هذا الرجل ممن يتعاطون الحشيش وغيره غالباً ، وأقصى رعب يعيشه أن يأتيه أحد من الشرطة ،وقد افتضح أمره .. لا بد أنه لم يعد يخشى الموتى أو الأحياء .. لكن أن يزوره رجل شرطة فهذا مايرعبه حقاً ،لذا أسرع قاتلاً ليطمئننه:

-لست مباحث يا حاج عبدالودود .. إننى طبيب .

وأسرع متولى يقدمه له قاتلاً:

-هذا هو الدكتور مصطفى .. إنه أحد الأساتذة الكبار في كلية الطب التى أعمل بها .. يمكنك ان تقول أنه رئيسى فى العمل .

لانت ملامح عبدالودود مرة أخرى، وظهرت ابتسامة حقيقية مرحبة على وجهه، وقال وهو يدعوها للدخول:

-أهلاً وسهلاً يادكتور .. زيارة كريمة .. تفضلوا من هنا .

دخلوا حجرته الصغيرة التي بان الإهمال فيها جلياً ، وقد تناثرت في أركانها وجوانبها الكثير من الملابس المبعثرة ، وبعض أوراق الجرائد ، والكثير من قطع الأخشاب المحترقة التي لا بد إنه يستعملها كوقود للشيشة .. كانت هناك - أيضاً - برتقالة ملقاة في المنتصف .. وتحت النافذة الوحيدة كان هناك فراش عتيق ، وبجواره انتصبت طاولة خشبية متهالكة عليها موقد كيروسيني وإناء لغلي الشاي.. وكان أسفلها بعض أواني الطهي النحاسية وبعض الأطباق ، وفي منتصف الحجره على حصيرة من الخوص كانت هناك شيشة وموقد فحم .. كان هواء الغرفة كريهاً مبهماً، وبدا كمزيج من رائحة دخان عتيق ، ورطوبة عطنة بعض الشيء ..

أسرع الرجل يجمع ملابسه المبعثرة على الأرض داعياً إياهما للجلوس على الحصيرة.. وشرع على الفور في إعداد الشاي لهما ، وهو يشكو الروماتيزم ، والدم الذي يمتزج بالبول مصحوباً بحرقه شديدة .. تفهم الدكتور مصطفى الأمر على الفور .. إنها البلهارسيا بالتأكيد .. نصحه ببعض النصائح ، وأوصاه بإجراء بعض التحاليل ، وبعد أن انتهى من شكوى مرضه قال له متولى :

- لقد أتى الدكتور مصطفى إليك ليسألك عن شيء ما .

تطلع إلى الدكتور مصطفى بتوجس ، وقال :

- وأنا تحت أمر الدكتور

قال الدكتور مصطفى بجدوء :

- أخبرني متولى أنك ساعدته في جلب جثة من هنا منذ بضع أسابيع ، ونريد

أن تمدنا ببعض المعلومات عن صاحبها لو كان هذا ممكناً .

عادت إلى نفس الرجل بعض الريبة ثانيةً، فرفت عيناه وجلاً، وانتقلت بسرعة إلى متولى، إلا أن الأخير هزّ رأسه له مطمئناً، فسكنت بعض مخاوفه، وقال:  
-لماذا يادكتور...؟ هل حدث شيء ما؟!..  
-نريد أن نعرف من صاحبها، وكيف ماتت.. وأى شيء آخر عنها تستطيع أن تخبرنا عنه.

قال عم عبد الودود بدهشة:

- صاحبها؟!.. لكن الجثة كانت لرجل يادكتور .  
شعر الاثنان بالدهشة، فقال متولى مذكراً إياه:  
-إنها جثة فتاة.. تذكر ياعم عبدالودود جيداً.. لقد كانت الجثة لفتاة.  
-يا بني أنا أعرف كل عين بالمقابر، وأعى جيداً من دفن في كل قبر.. لقد أعطيتك جثة كمال أبو الفضل .

تبادل الدكتور مصطفى ومتولى النظرات الذاهلة، قبل أن يقول الدكتور مصطفى بهدوء:

-لكن الجثة التي جاء بها متولى كانت لفتاة صغيرة في بداية العشرينات من عمرها.. ربما فتحتم مقبرة أخرى دون أن تنتبهوا وجئتم بجثة أخرى.  
-مستحيل أن يحدث هذا يادكتور.. فأنا لأخطئ أى قبر.. كما أنها لم تمت أى فتاة صغيرة هنا منذ زمن بعيد.

شعر كلاهما بالحيرة أمام ثقة الرجل وإصراره، ولم يدر متولى ماذا يقول، إلا أن الدكتور مصطفى تمسك باحتمال أن يكون الرجل قد أخطأ، فقد تقدم العمر بالرجل، كما أن وعيه لا يبدو سليماً تماماً، لذا قال بنفس هدوئه:  
-هل يضايقك يا حاج عبدالودود لو قادتنا إلى المقبرة التي جلبت منها الجثة لنراها.. نريد أن نتقن أنه لم يحدث خطأ ما.

- سأقودكم لها بالطبع لأريكم شاهد القبر لتتأكدوا من كلامي .. إنه كمال أبو الفضل، وهو من أعطيته متولى وليس أحداً آخر .. هيا بنا الآن لو شئتما ..  
قالها ،وقادهما وهو يحمل مصباحاً زيتياً مشتعلًا إلى داخل المقابر .. كان الليل قد هبط الآن على المكان بظلامه وظلاله المتوجسة ، فبدت شواهد المقابر مخيفة بعض الشيء، تبعث على الرهبة والخوف ..

شعر الدكتور مصطفى ببعض الحجل لهذا الشعور الذى انتابه لمراها .. فبعد أعوام طويلة من التعامل مع الجثث بكافة أشكالها ،مازال يتوجس من زيارة المقابر ليلاً ..ومن بعيد علا نباح غامض متوجس لكلب ما ،فجاوبه نباح آخر أقل حدة .. إن ليال الصيف فى المقابر مميزة وحافلة بشدة .

ساروا حتى الصف الرابع من المقابر ،وتوقفوا بجوار شجرة ضخمة عتيقة برز بجوارها شاهد من الطوب الأحمر لأحد القبور ، فأشار إليه عم عبدالودود بيده الفارغة، قائلاً وهو يسعل :

-هاهو القبر .. يمكنكم أن تقرأوا المكتوب على شاهده .. أليس هو كمال أبو الفضل ..؟

قرأ الدكتور مصطفى نفس الاسم على الشاهد، والذى كان مسبقاً بالآية القرآنية (كل نفس ذائقة الموت) بينما بدت الدهشة والحيرة على متولى .. فلم يكن هذا هو القبر الذى جلبوا الجثة منه ..

إنه مازال يذكر القبر جيداً ،بالفعل كانت هناك شجرة بجوار القبر الذى جلبوا منه الجثة ،لكنها لم تكن بمثل هذه الشجرة .. كانت أكثر قدماً وأضخم جذعاً، كما أن شاهد القبر كان أقدم من هذا كثيراً، ولم يكن مدوناً عليه أى اسم .. ليس هذا هو القبر .. القبر الآخر مختلف تماماً .

كان مازال يذكر النقش الغامض الموجود على أحد حواف شاهد القبر .. شيء غريب يشبه ثعباناً يأكل ذيله ، وإن طُمست عوامل التعرية كثيراً من خطوطه وحوافه .. قرب عينه ودقق في جانب الشاهد .. لم يكن النقش موجوداً .. إنه لم يخطأ في شكه إذا .. لذا اعتدل ، وقال بنبات وثقة:

- يبدو أنك أخطأت هذه المرة ياعم عبدالودود ، لم يكن هذا هو القبر .. أنا أذكر القبر الآخر جيداً .. كان أقدم من هذا كثيراً والشجرة الملاصقة له لم تكن هذه الشجرة .. الاخرى كانت يابسة قديمة.

قال عم عبدالودود ، وهو يحك رأسه بحيرة :

- ولكن هذا هو قبر أبو الفضل .

هز متولى رأسه بإصرار قائلاً:

- صدقني ليس هذا هو القبر .. دعنا نبحث عنه في الصفوف التالية.

لم يعلق عم عبدالودود، وسار أمامهم باستسلام مضيئاً لهم المكان بمصباحه، حتى وصلوا إلى الصف السادس من القبور، فتوقف متولى ، وقال متنهداً بارتياح ، وهو يشير لشاهد قبر قديم:

- هذا هو القبر الذى جلبنا منه الجنة .

ظل الدكتور مصطفى صامتاً مترقباً ، وهو يتابعهما في رحلة البحث عن القبر الصحيح .. تساءل في نفسه هل أخطئوا وجلبوا جثة أخرى .. وهل دفنت الفتاة دون أن يعلم عم عبدالودود، مادام يصر على أنه لم يقم بدفن أى فتاة منذ فترة طويلة .. كان يعرف بحكم نشأة الريفية أن هذا يحدث كثيراً ، وخاصة في جرائم الشرف .. هنا يقوم أهل الفتاة بقتلها ليلاً، ثم دفنها سراً .. ولكن حتى لو كان هذا ما حدث .. ففي النهاية سوف يثير غياب الفتاة الكثير من الشكوك والشبهات ، وسوف يكتشف الأمر حتماً ولو بعد حين ..

فوجنا باللحداء العجوز ينحنى نحو الأرض ، و يتأمل التراب المحيط بالقبر ، قبل أن يهض ويردد بخوف ، وصوت مرتجف ، وهو يخطو خطواتٍ سريعةً مبتعداً عن القبر :

-رحماك يا الله ..رحماك ياالله...

تبعاه بدهشة وقلق ،ومتولى يهتف :

-ماذا هناك يا عم عبدالودود؟!..ولماذا تهرول هكذا؟!..

استمر عم عبدالودود فى السير مهولاً ، ومبتعداً ، عن القبر كأنما تلاحقه الشياطين ، وهو يصيح دون أن يلتفت للخلف :

-لقد جلبنا المتاعب لأنفسنا ولغيرنا ..لقد نبشنا قبرها..لقد أيقظنا شهرها .

ظل يردد غمغماته الغامضة حتى وصلوا إلى حجرته ، وأمام أعينهم المذهولة مما يفعله ،ويقوله ارتدى بسرعة جلباباً فوق الصديري ، وكأنما هو فى عجلة من أمره وقال لهم بصوت ضعيف مرتجف :

-تعالوا معى ودعونا نبتعد عن هنا..سأخذكم إلى من يعرف أكثر منى ..عليكم أن تعلموا أى شر أيقظناه .

هنا قال له الدكتور مصطفى بدهشة :

-ماذا هناك يا عم عبدالودود؟..لماذا ابتعدت بخوف من ذلك القبر ؟ وماهذا الذى تقوله ؟..أخبرنا بالله عليك ماذا جرى؟!..

تجمعت تجاعيد وجهه أكثر ،وتقلصت عضلات فمه ،وهو يجيب :

-يبدو أننا ارتكبنا خطأً شنيعاً يادكتور .. لقد فتحنا على أنفسنا أبواب الجحيم..لم يكن علينا أبداً أن نقرب هذا القبر .

-أرجوك اهدأ قليلاً.. وأخبرنا مالذى تقصده..من حقنا أن تفر لنا الأمر بدلا من حيرتنا هذه ..إهدأ يارجل وأخبرنا ماذا حدث .

-يا دكتور ألم تفهم ما حدث؟.. لقد دنسنا قبراً ملعوناً منذ أجيال .. قبر تعلمت أن أتحاشاه دائماً منذ امتهنت مهنتي هذه.. أنت لم تر كيف لاتقرب الطيور أبداً هذا القبر .. هل لاحظت الشجرة التي تجاوره .. هل لاحظت موتها وتحجرها.. لو كنا نهاراً لرأيت كيف تتحاشاها الطيور هي الأخرى ، ولاتقف أبداً على أغصانها المتبيسه.. منذ زمن بعيد رأيت بعيني ذات مرة ذئب يتجول بين شواهد القبور.. إن هذا شيء مألوف في كل المقابر في أى مكان ..

تتبعته من بعيد خشية أن يكون قد اتخذ مكانا ما بين القبور وكرأ له، فهذا أمر خطير للغاية ، فقد يهاجم حينها أحداً لو اقترب من وكره وقد يؤذيه.. لذا كان عليّ لو حدث هذا أن أطرده من المكان..يومها فوجئت بالذئب يقترب من القبر ، وإذا بشعر جلده بأكمله ينتصب ، وأخذ الذئب يعوى بصوت مخنوق لم أسمع مثله من قبل، قبل أن يندفع هارياً؛ كأنما تلاحقه كلاب الحجيم.. وفي اليوم التالي وجدته ميتاً بجوار ذلك القبر دون أفهم ما حدث.

صمت بعدها لحظة لئبتلع ريقه الجاف ، قبل أن يكمل وكلاهما يتطلع إليه بترقب ودهشة :

- يبدو أننا قد أخطأنا ودنسنا هذا القبر... ليغفر لنا الله هذا وليرحمنا من شوه.. أنتم لم تستمعوا إلى الأصوات التي تنبعث منه أحياناً..همهمات كنت أسمعها لو اقتربت منه فجراً.. ضحكاتٍ ساخرةً في الليالي المقمرة.. وصرخاتٍ وأنين مفرع أحياناً أخرى كأنما هناك من يصلى جحيماً بداخله.. إنه قبر ملعون .. ملعون كان من الواضح أنه يخشى هذا القبر بشدة ..شعر الدكتور مصطفى بالإثارة ، وقد أحس بصدقه من الذعر الحقيقي البادى على وجهه ، بينما شعر متولى بالخوف .. أليكون حقاً قد اشترك في نبش هذا القبر .. وهل سيصيبه مكروه

جِزَاءَ هَذَا؟.. بعد ما حدث له من قبل كانت الإجابة واضحة .. إن الجحيم  
بانتظاره، لذا ابتلع ريقه بصعوبة، وقال بتوتر بصوت اقرب للبكاء:  
- من دُفِنَ بهذا القبر ياعم عبدالودود؟.. ولماذا هو ملعون .. لا بد وانك تعرف  
حكايته كلها وسره .. أليس كذلك؟.  
نظر إليهما بعينين التمعنا بدموع خفيفة .. قبل أن يقول:  
- هذا القبر يحوى حكاية قديمة تتناقلها العجائز هاهنا منذ زمن طويل .. إن  
خالتي إحداهن ،وهى أكثر منى درايةً بها .. لهذا سأخذكم إليها ..وهى من  
سيقص عليكم حكاية صاحبتة .

**غرقت** البلدة في ظلام الليل البهيم فتصاعد القلق بداخل الدكتور مصطفى، وهو يسير في الشوارع المظلمة مع عبدالودود ومتولى ..فهاهو الليل قد استقر، ولم يحصل بعد على الإجابات التي أتى من أجلها، بل ازدادت حيرته مع ما ذكره له عبدالودود عن القبر الملعون ..

كان في طريقه للمرأة العجوز التي علّما أن تجلو الأسرار، وتزيح الطلاسم .. ولكن هل تملك العجوز الإجابات حقاً، أم أن ماستقدمه له هو الخرافات التي تتناقلها العقول المتبلسة الطاعنة في العمر ..

فكر للحظة في أمر غريب آخر.. إن عم عبدالودود شيخاً عجوزاً طاعناً في السن، ولا بد أنه قد اقترب من الثمانين من عمره، فكم يكون عمر خالته إذن؟ لكنه عاد مرة أخرى، ليفكر في زوجته وأولاده الذين أخبرهم أنه لن يتأخر كثيراً.. هل سينجح في العودة سالمًا لو قاد سيارته في هذا الظلام على طرق غير ممهدة كهذه، يكفيه فيها أن تسهو جفونه للحظة كي يجد نفسه في قلب مصرف أوترعة أوحقل .. أم أن عليه أن يبيت في مكان ما منتظراً الصباح والنهار؟

لم يفكر كثيراً واتخذ قراره، سوف يبيت ليلته هنا في أى مكان وعلى متولى أن يعثر له على هاتف ما عسى أن ينجح في الاتصال بأسرته ليطمئنهم إلى غيابه ..

سار أمامهما عم عبد الودود متكئاً على عكاز خشبي، وراح يرشدهما إلى الطريق، وتبعاه بخطوات بطيئة صامتة.

كانت خالته طاعنةً في السن للغاية كما توقع الدكتور مصطفى.. لا بد وأنها قد تجاوزت المائة ببضع سنوات .. كانت تعيش في بيت ريفي من الطوب اللبن ذي سقف منخفض مغطى بأكوام من الحطب والطين .. سريها كان فرنا بلديا من الطين ،وضعت فوقه بطانية قديمة حال لوغها ورقدت عليها ..

لم يكن باب دارها مغلقاً بإحكام حين وصلوا، واحتاج لدفعة بسيطة من يد عم عبدالودود، ليستجيب لفوره مصدراً صريراً عالياً .. كانت رائحة الطمي العطن تملأ المكان .. لكن المكان كان نظيفاً بالرغم من ذلك.. فخمنا أن هناك من يعتنى به من حين لآخر ..

دخل عم عبدالودود إلى حجرة مظلمة في نهاية البيت ، فانتظروه للحظات بالخارج قبل أن يلاحظا اشتعال مصباح في الحجرة أضاءها، ثم ناداهما داعياً إياهما للدخول.

حين دلفوا ارتفع صوت متولى محيياً السيدة العجوز:  
-مساء الخير يا أمى .. كيف حالك ؟...

التفتت إليه برأسها، وإن لم ترد فاقترب من أذنها عم عبدالودود، وأعاد تكرار تحية متولى لها ، فأيقنوا أن سمعها ضعيف للغاية ؛حتى أن الدكتور مصطفى تساءل في قرارة نفسه بإحباط ..هل مازالت تحتفظ بذاكرتها فعلاً، أم هي الأخرى في طريقها للزوال ،والضعف كسمعتها ...

رحبت بهم بصوت قوى لم يتوقعا أن يخرج من حنجرتها قائلةً:

أهلاً وسهلاً .. أهلاً وسهلاً .. من هؤلاء يا عبدالودود؟

مرة أخرى مال على أذنها عم عبدالودود ،وقال لها بصوت مرتفع :

-الباشا طبيب من القاهرة .. لقد جاء خصيصاً لبراك.

هزت رأسها متفهمة، وقالت بصوت أضعف من الأول متوجعة:  
- هل جئت به ليفحص بطني .. إنها تؤلمني طوال الوقت ، ولم أعد اتمتع بأى  
شهية للطعام.. إن الألم كله هنا .. لقد تبست وصارت كالحطبة الجافة ، هل يعنى  
هذا أننى أموت ، وأن المعدة قد توقفت؟..

ابتسم الدكتور مصطفى بإشفاق ، بينما قال عم عبدالودود بصوته القوي في  
أذنها :

-سوف يفحصك الدكتور فيما بعد .. لكنه يريدك الآن أن تحكى لهم  
ماتذكرينه عن رومية .

لاحظ متولى والدكتور مصطفى التقلص الذى بدا على وجهها حين ذكر كلمة  
رومية .. بان على وجهها الانزعاج، واختجلت تجاعيد وجهها .. فأشاحت بيديها  
المتغضنة بعروقها الكثيرة ،وهى تقول بضيق واضح:

-وما الذى ذكرهم بها الآن؟..وهل أتوا في هذا الوقت المتأخر من اجل هذا؟  
أدرك الدكتور مصطفى أنها مازالت تذكر الفتاة، وأن هذه الذكرى لم تسقطها  
ذاكرتها بعد .. رأى هذا منعكساً على وجهها ، فنهض من مكانه، وقرب فمه من  
أذنها ،وقال بصوت مرتفع :

-لقد أخبرنى عم عبدالودود أنك أكثر من يفيدنا في هذا الأمر..  
-يابنى هذا أمر قد حدث منذ زمن بعيد قبل أن أولد أنا ..كانت قصصاً،  
أخبرنا بها الأجداد ولم نعشها ..فما الداعى لتذكرها الآن .  
-لكنك مازلت تتذكرينها ..أليس كذلك؟..

مصمست شفيتها الجافتين ،وأشارت بيدها إلى قلة فخارية موضوعة في صينية  
على قائم من الطوب قائلةً بضعف:  
-اسقنى يا عبدالودود.

ناولها القلة ؛فتجرعت منها جرعات صغيرة ، ثم أعادتها إليه ثانية ،وقالت بصوت أكثر قوة كأنما أنعشها الماء :

-يابنى هذه قصص عجائز لم يعد يصدقها أحد.. فلماذا تبحث فيها الآن ..  
دع تلك الذكريات للنسيان كي تموت كما يموت كل شيء ؟  
شعر الجميع أنها لا ترغب في أن تقص عليهم ماتعلمه.. فتطلع متولى ، والدكتور مصطفى إلى عم عبدالودود الذى أدرك ما أدركاه ،فانحنى نحوها صائحاً :  
-ياخالتي ..إنهم ضيوفنا فلا تخذلىنى أمامهم ..إنهم يرغبون في أن تحكى لهم عن رومية ، فأخبريهم بما تعرفينه.

تمتت بكلمات مبهمة غير مسموعة قبل أن تقول بصوت واضح :  
-حسنا .. سأحكى لهم يابنى ماداموا يريدون ذلك.. لقد كنا من قبل نحكيها للأطفال والأبن يهتم بما الأطباء .. لقد صار زمنكم عجيبا غريبا ولا أفهمه ..  
وشردت بعينها نحو الجانب البعيد من الحجرة ، وتحركت شفتيها ببطء .. ثم بدأت تحكى لهم.

بداً كل شيء حين جاء الفرنجة إلى مصر ليحتلوها..ها قد جاء بونابرت وجنوده بأسلحتهم الغربية ومدافعهم القاتلة..فارتبكت الحياة في كل مكان، واهتزت النفوس وزلزلت في الصدور، وانقسم الناس بين مؤيد للغزاة الذين سوف يخلصون الخلق من نير المماليك وطغيانهم وبين من يرى أن الفرنجة كفرّة يجب قتلهم ، وأن المماليك بالرغم من ظلمهم وطغيانهم؛ فهم من يحمون البلد ويقومون بشئونه .

كان هناك محمود بن الحاج عبدالحفيظ ..فتى يعبق بالفتوة والوسامة والمروءة.. فتى من الذين تنظر إليهم الحوامل عسى أن يُرزقن بفتى مثله..و تنظر إليه الفتيات ، ثم يتنهدين بحرارة ولوعة، وهن يتمنين أن يلتفت إليهن مرة.. لكنه خدطن جميعاً فلم يعرهن اهتماماً ..بدا كأنما يبحث على أميرة أخرى لم تولد هاهنا بعد ..

قالوا إنه ترك القرية ،وذهب إلى مصر ( القاهرة)؛ كى يحارب الفرنج ..غاب ثلاثة أعوام، لم يسمع أحد خلالها عنه أى شيء ، حتى ظن البعض أنه ربما قد حدث له مكروه ما أو مات.. لكنه عاد فجأة ذات نهار.. ولم يكن بمفرده .. كانت مع زوجته .

قالوا إنها كانت فتنة تحبو على أديم الأرض ، كانت كالبدنر فى تمامه ، جميلة بصورة جعلت من العسير على أى فتاة أن تحنق عليها ؛لأنها خطفت محمود منهن ..فأمام جمالها يبدو جماهن شاحباً قميئاً..

إنها أميرة من أميرات الحواديث القديمة التى لايكف المردة والجان عن اختطافهن ،ولايكف الفرشان والشطار عن إنقاذهن والبحث عليهن.

من يراها دون أن يعرفها يظن أنها من بنات الفرنجة الجميلات.. كانت ذات بشرة راقئة، ناصعة البياض لم ير أحد مثلها من قبل، وكانت عينها حلوتين آسرتين؛ فلا يستطيع أحد أن ينظر إليهما لحلاوتهما ..  
لذا أطلقوا عليها رومية ..

مرت الأيام عليها في القرية هادئة في البداية .. ومع الوقت بدأ الهمسات ترتفع عن سبب تأخر حملها حتى الآن .. إلا أن الأمر بدا، وكأنما لا يشغل بال زوجها الذي كان يعشقها، ولا يبغي أى شيء سواها ..

اشتعلت الشائعات عنها بعد ذلك حين زعم البعض أنهم رأوها بين المقابر في منتصف ليلة مقمرة .. بالطبع لم يصدّق أحد حرفاً مما قيل، واعتقد البعض أنها افتراءات مصدرها الفتيات الحانقات عليها..

بعد ذلك مات الكلب الذي كان يملكه الحاج عبدالحفيظ حماها .. كان الرجل يحبه جداً؛ فقد رباه ورعاه لأكثر من عشر سنوات، وكان الكلب لا يفارقه أبداً ..

يقولون أن الكلب في أحد الليالي المقمرة بدأ في النباح فجأة .. ويبدو أنه أطل النباح؛ لأن الحاج محفوظ خرج إليه؛ ليعلم سر نباحه .. وجد الرجل الكلب مبقور البطن سابحاً في دمائه محتضراً.. ليموت بعد ساعات من الألم ..

الغريب هنا في الأمر أنهم وجدوا بين أسنانه قطعة ممزقة من ملابس رومية .. وأيضاً هذه المرة لم يشك أحد فيها.. فانتهى الأمر وتناساه الجميع، قبل أن يبدأ اختفاء بعض أطفال القرية ..

قالوا إنهم كانوا ستة أو سبعة .. وحين بحثوا عنهم لم يعثروا إلا على جثة أحدهم فقط.. كانت جثة الطفل شاحبة كالثلج خالية تماماً من الدماء .. كيف حدث هذا؟.. لا يعلم أحد .. اتجهت أصابع الشك إليها هذه المرة أيضاً، فقد

كان كل الأطفال الذين فُقدوا من رواد بيتها.. فقد اعتادت أن تلاعب الكثير من الأطفال من جيرانها، وأن تمدهم بالحلوى.. وأوعز زوجها ماتفعله إلى اشتياقها للأطفال ..

لكن هذا الحب لا يفسر أن تجد خادمتها بين حاجياتها أشياء تخص الأطفال المختلفين .. وجدت بين أغراضها بعض الألعاب الصغيرة والأحذية وغيرها.. بالطبع لم يتهمها أحد صراحةً، ولكن الهمسات لم تتوقف، وازدادت حتى وصلت لمسمع زوجها ..

لم يجد مايفعله غير أن يواجهها بما يُقال ؛ بكت كثيراً له وأخبرته أنها تعلم أن الجميع يغار منها لجمالها .. وأن الكل يشمت فيها لعدم إنجابها .. طلبت منه الطلاق ؛ لأنها لا تطيق أن تعيش في قريته ، إلا أنه كان متمماً بما، فرفض طلبها .. فطلبت منه أن يعوداً سوياً للقاهرة ليعيشا هناك .. وافقها بالرغم من معارضة والده ، واشترى لها بيتاً بالقاهرة ..

غاب لفترة طويلة عن القرية ، قبل أن يعود بمفرده لزيارة أهله، ليجد أن كل من يقابله ينظر إليه بارتياح ويتحاشاه .. لا أحد يرد على سلامه وتحيته.. وكل من يراه ويعرفه يشيح وجهه للجانب الآخر بعيداً عنه كي لا تتلاقى النظرات .. وصل حائراً إلى دار والده ، وهو لا يدري لماذا يعامله أهل القرية هكذا .. وهناك فسّر له والده الأمر ..

أخبره أنه ما إن غادر إلى القاهرة ليعيش فيها ، حتى عاشت البلدة أهوالاً كثيرة.. اختفى الكثير من الشباب دون أثر .. غرقت الكثير من الفتيات في الترفة أو المصرف .. لكن المخيف حقاً في الأمر أن الكثيرين صاروا يرون زوجته في شوارع القرية في نفس الأوقات التي تحدث فيها هذه الحوادث ..

رآها الكثير في المقابر ليلاً.. رأها البعض الآخر في الطرقات المظلمة بعيداً متوهجة مخيفة.. وراحت بعض النساء يقسمن أنهن رأيتها أسفل صفحة الماء تنظر إليهن بابتسامة ساخرة مخيفة، وهن يغسلن أوعيتهن بالترعة، أو يملن منها جوارهن ..

بل وأقسم البعض الآخر أنه رأها تسير فوق الماء .. لم يصدق محمود هذا الكلام .. فزوجته لاتفارقه أبداً منذ غادرا المكان إلى القاهرة ، فكيف تأتي هاهنا لنفعل كل هذا؟! .. لكن والده أخبره أنه وأمه هما أيضا قد شاهداها ذات ليلة مظلمة تتجول حول الدار ..

يقولون إن محمود كان غاضباً .. خائفاً .. متحيراً .. أقسمت عليه أمه أن يطلقها ، ويعيدها لأهلها فلم يجيبها ، فقط قرر أن يعود مرة أخرى إلى القاهرة دون أن يمكث معهم لبضعة أيام كما كان يريد ..

لا أحد يدري ماذا حدث في القاهرة له .. لكنه في اليوم التالي عاد بها إلى داره بالبلده .. بالطبع عاملها الجميع بخوف ، ولم يحدثها أحد ، ليفاجأ الجميع بموتها في اليوم التالي .. دفنوها بمقابر العائلة بعد أن قامت حماتها ، وبعض خادمتها بتغسيلها .. وأوصى الحاج عبدالحفيظ أن يكون لها قبر بمفردها ، وألا يدفن به أحد غيرها .. مات هو الآخر وزوجته بعد أيام من موتها - هو وزوجته - وجدوهما ميتين بالفراش ليلاً في نفس الوقت ، ليحلقهم محمود نفسه بعدها بأيام قليلة ..

تناثرت بعد ذلك الأقاويل عنها أكثر من ذي قبل .. البعض أقسم أنه رأها بعد ذلك في المقابر تتجول ليلاً .. وعاد آخرون ليؤكدوا أنهم يرونها تسير في الطرقات ليلاً تناديهم، وتدعوهم لنفسها .. بالطبع لا أحد يدري بالحقيقة في

أقوال كهذه .. لكنها ظلت فى النفوس والذاكرة طويلاً .. صارت قصة يتناقلها  
الجميع بتوجس ورعب .. وصار قبرها منبوذاً يخشاه الجميع ..

شعر الدكتور محمود بالإثارة مما يسمعه، وأخذ عقله بسرعة يبحث عن عشرات التفسيرات، دون أن يعقب على ماسمعه .. الحكاية قديمة ، وبالطبع لا يستطيع أحد أن يؤكد صحتها من عدمه، فعقود طويلة تفصلهم الآن عن وقت حدوثها.. بدا واضحاً أن توقيت حدوث القصة كان وقت الحملة الفرنسية على مصر.. هذا يعنى أن قرنين من الزمان تقريباً تفصلهم عن وقت حدوثها، وبالتأكيد سيضيف الخيال الكثير من الأحداث وسيسقط أحداثاً أخرى ..

لكنه صار متأكداً أن شيئاً ما غير طبيعي يحيط برومية ؛ كما أطلقوا عليها سابقاً .. هناك شيء ما بداخله جعله يصدق الكثير من هذه الأحداث ..

مرة أخرى قفز إلى خياله صورة جثتها في المشرحة .. جثتها التي لم تناها أبداً عوامل التحلل المعتادة .. جثة أثارت الكثير من المتابع منذ جلبها للمشرحة .. إن القرار الصائب في رأيه هو التخلص منها بأقصى سرعة ، وبأى وسيلة كانت .. إنما قبلة موقوتة لا يدري أحد كيف يتعامل معها، وماذا ستفعل هي في اللحظة التالية ..

شعر هذه اللحظة بكرابية و غضب شديد على متولى .. ربما لأنه كان السبب في جلبها.. وتمنى لو أنه لم يطلب من منصور إحضار جثة للمشرحة .. ربما وفر هذا الأمر متاعبهم التي يعيشونها الآن.

لذا قال لمتولى بضيق:

— ألم تجد غير هذا القبر لتعيب به ؟ ..

لم يكن هناك مايقوله الأخير ، فقد كان غارقاً في رعبه بعد ما سمعه الآن.. فهو من عبث بقبر رومية بعد كل هذه السنوات.. كان يعلم بعض ماقتصة العجوز

عليهما.. فقد سمع من قبل عن رومية في قريته ،وهو صغير..حكاية مخيفة  
كعشرات الحكايات عن الجان، والعفاريت، وأم الشعور، والنداهة، وغيرها من  
التي تمتلئ الذاكرة بها .. لكنه لم يتخيل أن يتورط في قصة من تلك القصص يوماً  
.. ما

تساءل برعب هل تنتقم رومية منه لهذا.. بالطبع هذا شيء متوقع ،ويفسر له  
لماذا اختطفته من داره ليلاً ،وأرسلته للمشرحة ، ولم تفعل هذا مع زملائه..  
ولكن هل تكفى بهذا أم تكون هناك مرات أخرى؟ ..

قبل أن يأتي هنا كان قد اتخذ قراراً بأن يستقيل من عمله ويتركه .. كان  
بالطبع متردداً، وفضّل أن يؤجل تنفيذ قراره حتى يستطيع إيجاد عمل آخر له  
.. لكن بعد ماسمعه الآن ، فالأمر قد انتهى.. لن يعود مرة أخرى إلى المشرحة مهما  
حدث ..

وأخذ يدعو الله في سره أن يكون هذا كافياً .. ليته لا تعود إليه بعدها لو غادر  
المشرحة ولا تهاجمه في بيته ثانية .. لكنه كان موقنا أنها ستفعل!

اتجهها بعدها إلى قرية متولى ،وقد قررا أن يبينا في بيت والده .. هناك استطاع  
الدكتور مصطفى الاتصال بزوجته بواسطة تليفون عمدة القرية ، والذي رحّب به  
بشدة حين عرف من هو، مقسماً أن يبني بداره لا دار متولى .. وفي الصباح  
عاد مباشرة إلى الكلية؛ لتنفيذ مانوى عليه دون إبطاء..

سوف يدفنون تلك الجثة الملعونة هذا اليوم .

فى الثالثة ظهرا خرجت سيارة من سيارات نقل الموتى من باب الكلية .. كانت تحوى جثة الفتاة، وبداخلها جلس عم منصور ومتولى وعبد الدايم جالسين حول جسماتها بوجوم.. اتجهت السيارة نحو أطراف القاهرة إلى المقطم حيث مقابر القاهرة .. كان هناك الكثير من مقابر الصدقة التى تلجأ لها المشرحة للتخلص من أشلاء الجثث التالفة بعد انتهاء العام الدراسى ..

كانت هذه المرة هى الأولى التى يتم التخلص فيها من جثة سليمة . تم إخبار العمال بماعليهم أن يفعلوه، وبدوا مرتاحين كثيراً لهذه الخطوة .. شرح لهم متولى ما قصته العجوز بالبلدة عن صاحبة الجثة رومية .. وتكفل الدكتور مصطفى بإقناع الدكتور نعيم بتلك الخطوة .. أما عن الشرطة فقد كان من غير المنطقى أن يجبرهم أحد بالسبب الحقيقى فى التخلص من هذه الجثة ، وإعادة دفنها .. لهذا أخرجوا الجثة من المشرحة أمام أعين عساكر الشرطة على أنها جثة تالفة يتم دفنها.. وبالتأكيد لن يشك أحد ما فى الجثث، ولن يربط بينها، وبين حوادث القتل التى حدثت بالمشرحة.

بعد أقل من ساعة كانوا قد وصلوا إلى المقابر.. كان هناك اللحد الشاب بانتظارهم برفقة جمال الذى سبقهم إلى المقابر؛ ليخبر اللحد أن يفتح إحدى المقابر، ويعدها لدفن الجثة .. تعاونوا معاً، وأنزلوا جسدها المكفن من السيارة، ثم سحوها على التراب بداخل القبر المفتوح.. قام اللحد بعمله فأغلق القبر ووضع كمية لابأس بما من الجير على بابه.. وعادوا إلى دورهم بعد ذلك، وقد غمرهم شعور رائع بالراحة.. فقد تخلصوا من هذا الكابوس...

لكن الصباح أتى حاملاً مفاجأة لهم ..

دخلوا المشرحة، فوجدوا الجثة راقدةً على منضدتها كما كانت من قبل .. امتلأت نفوسهم بالرعب والفرع.. بدا الأمر، وكأن الجثة ترفض أن تتركهم، وأنها مصرة على أن تبقى بالمشرحة .. ما الذى يعنيه هذا ؟.. لا أحد يعلم؟  
التفوا حول جثمانها من بعيد، وأخذوا يتطلعون إليها بعصبية وخوف، وقد خشى أى منهم أن يقترب منها كأنها الطاعون.. ولم يتمالك جمال نفسه وصاح  
بستريا بصوت أقرب للبكاء:

-انظروا.. إنها هى .. لقد عادت ثانية .. ألم ندفنها بالأمس .. ألم نعمل جميعاً؟  
أجابه عبدالدايم بحيرة وعيناها ترتجفان فى محجريهما:  
-بلى .. ولقد فعلنا هذا سوياً..

عاد جمال ليصيح، وهو يشير إليها:

-كيف عادت إذأ ؟.. ليخبرنى أحلكم أنه يمزح معنا، وأنه من أعادها إلى هنا؟.. من منكم قد فعلها يارجال ؟.. من فعلها؟..  
لم يردوا عليه، وساد عليهم الوجود دون أن يدروا ماعليهم أن يفعلوه  
..وتجاهلوا جمال الذى عاد مرة أخرى يكرر بستريا:  
-أخبرونى بالله عليكم من فعلها ؟!...

هنا صاح متولى بعصبية زاجراً إياه بخشونة وهو لايمتثل عوانه هذا وولولته:  
-اصمت يا أحقق قليلا، ولا تولول هكذا كالنساء .. لا أحد منا فعلها وأنت تعلم هذا .. إنك تثير أعصابنا بصراخك هذا.

كان يشعر بشعور الفأر الذى يطارده قط ماكر نجح فى أن يحاصره فى ركن صغير، ثم أخذ يستمتع برؤيته، وهو يحاول يائساً أن يجد وسيلة ما للفرار .. كان يشعر بالخوف من الجثة ويخشى أن تكرر ما فعلته معه من قبل حين اختطفته من

بيته وأتت به للمشرحة .. لقد عادت بوسيلة ما .. وسيلة شيطانية من وسائلها  
التي تجيدها .. فماذا تنوى أن تفعل به ، وبجسم هذه المرة؟  
ظلوا يتطلعون إليها صامتين لفترة ليست بالقصيرة ، وفي النهاية قال عم  
منصور، وهو يخرج من جموده مندفعاً للخارج:  
- سأذهب لأخبر الدكتور مصطفى والدكتور نعيم ... يجب أن يعلموا،  
ويفسروا لنا ما يحدث؟ ..

**وصل** عم منصور إلى مكتب الدكتور نعيم فوجده مغلقاً فانتظر أمام الحجرة حتى يأتي ، بعد نصف الساعة رأى الدكتور نعيم صاعداً الدرج فهرع إليه ، وبادره الدكتور نعيم قائلاً بدهشة حين لاحظ الشحوب الذى يكسو وجهه:

- صباح الخير يا منصور .. لماذا تنتظرنى فى هذا الوقت المبكر ؟.. ولماذا تبدو مرتبكا هكذا؟.. أحدث شيء ما؟

لم يرد عليه التحية من ارتبائه.. لذا تتم متلعثماً :

- هل تمنع يا دكتور أن تأتى معى إلى المشرحة ؟ هناك شيء أريد أن تراه بنفسك ..

-وماذا هناك بالمشرحة .. هل حدث شيء ما مرة أخرى بما؟

-أعتقد أنه من الأفضل أن ترى بنفسك.

شعر بالدهشة من هذا الأسلوب الغامض الذى يحدثه به منصور ، وحاول تخمين ماذا حدث دون جدوى؟.. ألم يدفنوا الجثة بالأمس؛ كما اقترح الدكتور مصطفى ؟.. ألا يعنى هذا أنهم قد انتهوا من المتاعب التى سببتها تلك الجثة للجميع لو كانت هى مصدرها بالفعل كما زعموا جميعاً؟

فماذا حدث إذاً ؟.

رأى أنه من الأفضل ألا يكرر سؤاله على منصور ، لذا قال باستسلام ، وهو يتجه نحو الدرج ليهبط إلى المشرحة:

-حسناً .. لنذهب إلى المشرحة لنرى ماذا هناك.

تبعه عم منصور إلى المشرحة... وما إن رأهما العمال حتى أفسحوا لهما الطريق نحو جثة الفتاة .لاحظ الدكتور نعيم الجثة التى التفوا حولها، فاتجة إليها على

الفور، وكشف الغطاء عن وجهها قبل أن يفلته دون وعى ، ويتراجع بذهول  
كالمسوع ، وهو يهتف بإستتكار:  
- ما هذا العبث؟

(37)

"لا بد أنكم تمارسون هنا مزحةً سخيفةً .."

قالها الدكتور نعيم بذهول.. وأبعد عينيه عن الجثة متحاشياً النظر إليها ،  
والتفت إلى العمال الواجمين حوله .. وصاح فيهم بغضب وحنق:

-الآن أريد أن أعلم أى لعبة قدرة تمارسونها هنا؟.. وماذا تهدفون من ورائها؟..  
حدثوني ماذا يجرى هاهنا بالضبط.

لم يجبه أحد، واستمروا في صمتهم ؛فاندفع مرةً أخرى صارخاً في وجوههم  
الممتقعة ، بصوت هادر:

-لماذا عدتم بما دون أن تدفنونها؟.. ألم تذهبوا بها بالأمس إلى المقابر؟ .. لماذا لم  
تفعلوا إذا؟..

أجابه عبدالدايم بصوت خافت مرتجف:

-لقد دفناها بالفعل يا دكتور ، كلنا فعل هذا بالأمس.

-إذن كيف عادت؟.. هل سارت على قدميها حتى جاءت إلى هنا ، أم تراها  
قد طارت؟..

هنا فقد جمال تماسكه ، وهتف برعب :

-هذه الجثة ملعونة يا دكتور .. هناك شيطان ما يلتصق بها .. لقد دفناها  
بالأمس.. بل لقد أدخلتها القبر بنفسى ، لكن هاهى تعود ثانية.. ألايعنى هذا أنها  
ملعونة.. إنها جثة شيطانية بالفعل.

لكن الدكتور نعيم كان منزعجاً للغاية مما يحدث فصاح به:

- كف عن قول هذا الهراء حالاً.. إنكم تمارسون لعبةً حقيرةً هاهنا وسأكتشفها، وستحاسبون جميعاً عليها.. سوف أبلغ الشرطة عنكم ، وسأدعها تعلم منكم ما المؤامرة الخبيثة التي تدبرونها معا.

اندفع بعدها مغادراً المشرحة بسخط ، فتابعوه بأعينهم حتى خرج من المشرحة تماماً.. ثم قال عبدالدايم بقلق:

- و الآن ماذا سنفعل ؟.. إنه يتهمنا بأننا من يفعل هذا ؟.. لا أدري كيف صور له عقله هذا ؟..

أجابه عم منصور، وهو يهز رأسه بحيرة:

- لن نفعل شيئاً.. سننتظر حتى يقرر هو ما علينا أن نفعله.. لكن إياكم والاقتراب من تلك الجثة الملعونة.. اتركوها وشأنها حتى ينتهي هذا الجنون.

أما الدكتور نعيم فقد اندفع إلى مكتبه حانقاً.. قبل أن يغلقه بإحكام خلفه ؛ كأنما يرغب في الأبراه أحد.. كان متوتراً وكان خائفاً يرتجف.. كان يحاول بؤس أن يدارى ذعره كي لا يشعر به أحد.. كان يعلم أن هذه الجثة ملعونة، ولا يشك في هذا الآن.. لم يكن هذا رأيه أبداً حتى الأمس، بالرغم مما حكاها له الدكتور مصطفى عن الجثة، وصاحبته، وما حدث مع العمال.. كان عقله على إصراره رافضاً ما يقال عنها، وإن سايرهم في تفكيرهم الذي يرفضه ، ووافق أن يقوموا بدفن الجثة، والتخلص منها.. لكن ما حدث له بعد ذلك نسف قناعاته تلك تماماً.

اتجه بخطوات مثقلة الى مرآة صغيرة بأحد أركان الحجر، وتأمل وجهه فيها.. كانت هناك هالات سوداء كثيفة تلتف وتنكاثف حول مقلتيه، وقد انتفخ جفناه، وصارت عيناه حمراوتين محمقتين كالدم.. كل هذا كان لأنه لم يحظ بالنوم منذ ليلتين كاملتين.. لم يحجر أحد عن السبب في هذا، ولا يريد أن يفعل.

كان يعيش بمفرده منذ انفصل عن زوجته التي لم تحتمل عصبية الشديدة، ومع الطلاق أيقن هو الآخر أنه من المستحيل أن تحتمل طباعه ، وعصبية هذه امرأة ما فقرر ألا يتزوج ثانية..

بدأ الأمر منذ يومين حين كان بغرفة مكتبة في البيت يقرأ .. وحين ارتفعت دقات الساعة؛ لتعلن تمام العاشرة مساءً.. ترك الكتاب الذي يقرأه ، ومال بجسده نحو الراديو المعلق على الحائط بجواره ، فأدار بكرة جانبية به، ليظهر صوت المذيع معلناً عن نشرة العاشرة مساءً بالبرنامج العام .. كان يتابع مسلسلًا إذاعياً مثيراً، يأتي كل ليلة في العاشرة وخمس دقائق على البرنامج العام .. تابع بلا إكتراث الأخبار التي لم تأت بجديد عليه، ثم راح يصغي لتتابع الموسيقى التصويرية للمسلسل ، فاسترخى على كرسيه ، مغمضاً عينيه، مستمتعاً بالأحداث التي يتابعها بأذنه ، ويصورها له خياله.. كان الراديو في هذا الوقت مازال وسيلة الترفيه الأولى .. ولم ينجح التلفزيون في أن يحتل مكانة بعد ..

كان مستغرقاً في تخيل الأحداث حين تناهى لأذنيه صوت خطوات تأتي من الصالة .. ففتح عينه باتساعهما، وهب واقفاً بقلق ، وهو يتطلع إلى الباب الزجاجي الذي يفصله عن الصالة .. أرهف السمع فلم يسمع شيئاً .. جلس مرة أخرى موعزاً الصوت الذي سمعه لإرهاقه، أو ربما يكون إحدى الحشرات الصيفية التي ربما دخلت الشقة من خلال الشباك المفتوح..

طرد الأمر عن عقله ، وإن ظلت عيناه معلقتين بباب الحجرة بشيء من الترقب .. انتهى المسلسل ، وتعالته بعده موسيقى إحدى الأغنيات القصيرة لكارم محمود ، فأخذ يردددها معه حين لاحظت عيناه ذلك الظل السريع الذي مر من خلف

الباب الزجاجى .. تأكد هذه المرة أنه لا يتوهم .. لقد رأى ظلاً يتحرك خلف الباب بسرعة من ناحية للأخرى باتجاه حجرة نومه .

هذه المرة شعر بالرعب .. فقد كان بمفرده بالشقة .. فمن يكون هذا؟  
أىكون لصاً؟ .. ولكنه لو كان لصاً فكيف دخل؟ .. كان من المستحيل أن يدخل بواسطة باب الشقة ، فهو يغلقه دائماً من الداخل بأكثر من مزلاج .. ومن العسير كذلك أن يدخل من الشباك المفتوح فى الصالة .. فالشباك يطل على الشارع الرئيسى، والشارع مازال مكتظاً بالمارة حتى الآن ، ولو حاول أحد ما أن يتلسق البناية ليدخل من الشباك فسيراها المئات بسهولة .. إذن من هذا؟! .. وكيف دخل؟.

تجمد فى مكانه، وعينه معلقتان بالباب بتحفز، ودقات قلبه تتصاعد معلنةً عن فرعها هى الأخرى..

ماذا يفعل الآن؟ .. فكّر دون أن يهتدى لفعل ما .. فكّر أن يندفع بسرعة نحو باب حجرة المكتب الذى يجلس فيها الآن فيغلقه بالمفتاح .. ثم يصرخ من شباك الحجرة المطل على الشارع طلباً للنجدة من المارة .. لكن باب حجرة المكتب زجاجى ضعيف .. ومن السهل اختراقه .. كما أن من سيهب لنجدته عليه حينها أن يكسر باب الشقة كى ينجده ، وهذا سيستغرق وقتاً ما .. وربما آذاه اللص فى هذا الوقت قبل أن تصله النجدة .

الحل الآخر أن يخرج ليرى بنفسه من هناك ، فربما كان واهماً فيما رآه .. طال تفكيره دون أن يصل لحل ؛ فقرر أن يخرج ليرى من هناك .. لكنه قبل أن يفعل اتجه إلى المكتب، وهو يحمد الله على أنه يحتفظ بسلاحه النارى المرخص فى أحد أدراجه ..

أخرجه، ويبد مرتخفة لاتصدق أنها قد تضطر لاستعماله أمسكه .. وبخطوات مرتعشة وساقين لينتين كأعواد المكرونة سار نحو الباب ..

فتح الباب بسرعة ، وقلبه يتواثب بين ضلوعه، وتطلع إلى الصالة يسبقه المسدس المصوب بتحفظ نحو عدو وهمي ..

بدت الصالة ساكنة، ولا أحد فيها؛ فشعر ببعض الاطمئنان ..

اتجه بخطوات مترقبة إلى حجرة الصالون، وأضاء مصباحها .. ففتهد بارتياح، وهو يرى المقاعد الفارغة، والحجرة الخالية أمامه..فتش بعدها الحمام والمطبخ، لكنه لم يجد أحداً .

ازداد اطمئنانه .. إنه الإرهاق إذا .. لم يبق أمامه غير حجرة نومه؛ فاتجه إليها بهدوء، وفتح بابها الخشبي، وامتدت يده نحو زر الإضاءة بجوار الحائط، فضغط عليه ..

بدد النور ظلام الحجرة، فرآها أمامه تجلس على طرف الفراش، وقد وضعت ساقاً فوق ساق، واستندت بمرفقها الأيمن على الفراش .. كانت تنظر إليه بابتسامة لعوب .. كانت جميلة وفاتنة كما رآها بالمشرفة .. لكن بشرتها - هنا - كانت رائقة حلوة ومثيرة ..

اجتاحه الذعر .. فراح قلبه يتواثب بصورة لم يعهدها من قبل ، كأنما يحتج على مايراه .. آلام الذبحة الصدرية المخيفة بدأت حينها في غزو عظمه القص في صدره مثيرةً وجعاً لا حد له ، ثم تسللت بحيث نحو كتفه الأيسر فخدرته، وأصابته بالشلل، ومعها بدأت أنفاسه اللاهثة في الاختناق ، ويقعة من الظلام تتسع في مجال بصره معلنةً عن اقتراب تسرب الوعي منه ..

عجزت يدها عن حمل السلاح الناري ، فسقط منه دون أن يقدر على منع هذا .. بينما ظلت كما هي جالسة على فراشه تتطلع إلي معاناته باستمتاع .. أراد أن يسألها مَنْ أنتِ فلم يطاوعه لسانه .. لكنه سمعها تجيبه دون أن يسأل:

-ألا تعرفني حقاً؟.. سأغضب حقاً لو كنت نسييتني !.. وصدقني أنت لن ترغب في إغضاب فاتنة مثلي .

نفضت بعدها من الفراش لتسير نحوه.. أراد أن يتراجع مبتعداً عنها، لكن قدمه هي الأخرى خذلته فلم تتحرك .. وتساعد الأُم في صدره معلناً عن رعبه هو الآخر منها ..

صارت أمامه تماماً .. فتصاعدت منها رائحة عطرية مثيرة للغاية.. رائحة لم يشم مثل حلاوتها من قبل ... وسمعها تهمس له ، وهي تضع أناملها الرقيقة على قلبه:

-يالهُوس قلبك الضعيف .. لا يبدو أنه سيحتمل فتنتي طويلاً ..

شعر بيدها تلامس صدره باردة كالثلج ، فزال الأُم عن صدره مرة واحدة .. لا يدري كيف حدث هذا ولكنه قد حدث .. شعر وكأن أثقالاً لاحد لها قد إنزاحت عن صدره فجأة .

مالت على أذنه بعد ذلك، وقالت له هامسةً بصوت مثير دافئ ، ويدها الناعمتان تعبتان بوجهه وشعره الأشيب:

-سأعود إليك مرة أخرى .. فانتظري .. ألا ترى أنني أنقذت حياتك توأاً .. احتبست أنفاسه من الإثارة ، وعاد قلبه يدق بشدة حين اختفت فجأة من أمامه .. عاد الألم مرة أخرى ، وبالرغم من أنه كان أقل حدةً مما سبق .. إلا أن سحابة الظلام في عينيه اتسعت مرة أخرى .. وتخاذلت قدماه .. ففقد الوعي ..

أفاق على دقائق الساعة التي تدوى ، وتخرق ظلام سكون البيت ، وتعالى صوت الراديو الذي مازال يعمل معلناً عن نشرة الثالثة فجراً .. ظل في حجرته

راقداً على فراشه بوهن دون أن تفارق عيناه باب الحجرة متوقفاً أن تدخل منه تلك الفتاة في أى لحظة .. خشى أن يغادر مكمنه فيجدها في مكان ما بالخارج بانتظاره ..

أخذ عقله يتساءل في رعبٍ، هل تكون إحدى الجنيات التي كانوا يحكون عنها؟! ... أم تراها شبحاً ما؟! ...

لم يكن - من قبل - ليصدق تلك الأشياء ولا يؤمن بها .. لكنه صار الآن قادراً على تصديق أى شيء .

أشعل عدداً لا حصر له من السجائر؛ حتى فرغت جميع العلب التي يحتفظ بها .. وفارق النوم عينيه فلم ينم .. فتح المصحف الذي بجواره على الكومود المجاور لفراشه، وأخذ يقرأ منه بصوت خافت في البداية قبل أن يتعالى صوته تدريجياً؛ كأنما يريد أن يطرد بالقرآن كل الشياطين التي بالمنزل، ولم يغادر حجرته إلا حين تسرب ضوء النهار ساطعاً من خلال النافذة .. فتش بعدها الشقة مرة أخرى فلم يجد أحداً .. فارتدى ملابسه وذهب للكلية ..

في الكلية قابل الدكتور مصطفى الذي قص عليه ماروته العجوز عن صاحبة الجنة .. اقترح الدكتور مصطفى التخلُّص من الجنة بدفنها، فلم يمانع، وفي نهاية اليوم عاد إلى منزله مرهقاً مكدوداً .. صداع عنيف يكاد يفتك بخلايا مخه .. عقله ينبض بألم حاد من شدة احتياجه للنوم ..

كان مازال قلقاً أن تزوره الفتاة مرة أخرى كالأمس .. أراد أن يطرد رغبته الملحة للنعاس، فشرب العديد من فناجين القهوة حتى بدأ الحمض في معدته يزأر محذراً من أى فئجان آخر .. في النهاية لم يشعر بنفسه وراح في سبات عميق .. لكنها لم ترحمه حتى في نومه، كانت هناك بين أحلامه بنفسه ابتسامتها العابثة الساخرة، وقالت له بصوت عميق مخيف ..

- لن يجدى ماتفعله .. إننى معكم للأبد ، وسوف أعود...  
أفاق فجأة ليكشفت أنه لم ينم أكثر من ساعه .. هذه المرة قرر ألا يقع فريسة  
للنوم مرة أخرى .. فمكث ساهراً طوال الليل . قرر كذلك ألا يبيت فى البيت  
بمفرده هذه الأيام .. سيذهب إلى أخته غداً ، وسيمكث عندها بضعة أيام ؛ ريثما  
ينتهى الأمر ..

وهكذا حين أتى اليوم ، كان فى أسوأ حال .. نثار على العمال ، وهو يدرك جيداً  
أنه لاشأن لهم بما يحدث .. ما يحدث أكبر منهم ومنه .

لقد عادت إذاً كما أخبرته فى حلمه .. كان هذا كابوساً تمنى أن يفيق منه ..  
لماذا عادت؟ .. بل وماذا تريد؟! .. كلها أسئلة بلا أجوبة ..

فجأة ألح عليه هاجس ملح أن يرى الجثة ثانية ، فذهب إلى المشرحة مغالباً  
رهبته .. أراد أن يفحص الجثة بنفسه هذه المرة .. أراد أن يرى وجهها ؛ ليتأكد أنها  
هى من هاجمته فى شقته .. وأراد أن يفهم كيف تفعل كل هذا ، ثم تعود للمشرحة  
ثانية كجثة بريئة ..

بالداخل قابل جمال فأمرة أن يتبعه .. وبلا تردد اتجه نحو الجثة ، وكشف الغطاء  
عن وجهها .. كان من المفترض أنهم قد قاموا بحفظها بالفورمالين .. لكن جسدها  
الآن عاد سليماً ، ولا أثر للفورمالين به .. فتح جفنيها ، وسلط الكشاف إلى  
حدقتيها اللامعتين بشدة .. لم تتفاعل عيناها مع الضوء ، وإن لم يقو على النظر  
إليهما طويلاً . وضع السماعة فوق صدرها مستمعاً إلى قلبها .. كان صدرها  
صامتاً كالقبر .. فحص النبض بكافة الأماكن الممكنة .. كانت أوردتها هامدة  
ميتة . ابتعد عنها خطوة وراقبها مفكراً .. كانت جثة مثل أى جثة أخرى  
بالمكان ..

ترى ما الذى تخفيه تحت قناع الموت الزائف هذا الذى ترتديه؟! .. تمخى لو  
يدرى الإجابة.

علم الدكتور مصطفى أن اللجنة قد عادت ثانيةً للمشرحة؛ فأصابه الدهول هو الآخر والرعب، وراحت مخاوفه تشتعل في صدره، وعقله يفكر كاخموم في سبب عودتها.. خشى أن يكون هذا لرغبتها في الانتقام منهم.. كان خاطراً مفزعاً؛ فارتجف جسده...

شعر أنه بحاجة لأن يتحدث إلى أحد ما، فاتجه إلى قسم الطب الشرعي، نحو مكتب الدكتور محمود تحديداً.. لم يكن هناك وأخبرته السكرتيرة أنه في مدرج المحاضرات، حيث يلقي إحدى المحاضرات للطلبة.. اتجه بخطوات ثابتة إلى مدرج المحاضرات.. ودخله من الباب الخلفي، وجلس في الصف الأخير.. لاحظته الدكتور محمود فأوما برأسه محيياً، واستمر لدقائق أخرى في محاضرتة قبل أن ينهيهما، فهبط إليه الدكتور مصطفى... حياه بجمرة، وهو يقول بود:

- أى رياحٍ طيبةٍ جاءت بك اليوم إلى هنا؟.. أنت لم تفعل هذا من زمن بعيد.

- أعتقد أنك تعلم السبب...

رمقه الدكتور محمود بصمت، وقد أدرك هدفه، ثم تأبط ذراعه، وقال، وهو يسير به نحو مكتبه:

- حسناً لتتحدث عن هذا في مكتبي.

قص عليه الدكتور مصطفى بعدها كل شيء علمه عن اللجنة، وأخبره كيف قام العمال بدفنها، ثم كيف عادت للمشرحة ثانيةً.. واكتفى الدكتور محمود بسماعه دون تعقيب، ولما انتهى زفر الدكتور محمود بقوة، وظهره يتراجع على الكرسي الجلدي الوثير، وقال، وهو يعدل من وضع نظارته على أنفه:

- في الواقع كنت أتوقع شيئاً كهذا .. أنت تعلم أنني قمت بتشريح جثة الدكتور شريف ،وتلك الطالبة التي ماتت بالمشرحة ..وأستطيع أن أجزم أنهما لم يُقلتا بطريقة نعرفها ..

تابعه الدكتور مصطفى ببصره، وكامل انتباهه ،فأكمل :

-لقد وجدنا الجثتين خاليتين من الدماء تماماً، وحين أقول تماماً هنا ؛فأنا لا أبالغ ..لقد كانت خاليتين من الدماء تماماً..

وحين قمنا بتشريحهما لم نجد بأى منهما أى جروح أو إصابات أو حتى نزيف داخلي يفسر لنا أين ذهبت دماؤهما.. لقد امتصت الدماء منهما تماماً دون أن ندرى كيف من الممكن أن يحدث هذا..شيء يشبه مانراه في أفلام مصاصي الدماء لو كنت قد سمعت عنها.

تذكر الدكتور مصطفى حديث المرأة العجوز عن جثة الطفل التي وجودها خالية من الدماء ،فقال بصوت مخنوق:

-وماذا عن سبب الوفاة..أعنى كيف مات كلاهما ؟

-لا ندرى ..

أجابه الدكتور محمود ببساطة ..ثم أكمل، وهو يهز كتفيه :

- ربما يكون السبب أى شيء..صدمة عصبية نتيجة الرعب ..هبوط حاد مفاجئ في الدورة الدموية ..سكتة دماغية ..أزمة قلبية مفاجئة ..جميع الاحتمالات هنا ممكنة..لكن لاعنف على الإطلاق قد تم مع هذه الجثث.

وصمت للحظة، وهو يتناول من بين أوراقه التي أمامه خطاباً محتوماً بختم دائرى أحمر غير مألوف ، ففتحه وأخرج ورقة منه ،وقدمها إلى الدكتور مصطفى مستطرداً:

- هذا خطاب من جامعة إكسفورد .. لقد حصلت على درجة الدكتوراة من هناك كما تعلم، وأعرف بصفة شخصية الدكتور "ماكس إدوارد" كبير الأطباء الشرعيين هناك، وأحد أفضل الأطباء الشرعيين في العالم .. كنت قد قمت بإرسال نتائج تشريح الجثتين إليه، وأرفقت بالتقرير بعض الصور التي التقطتها لهما أثناء التشريح، ونتائج تحاليل الأنسجة ..

أتدري ما النتيجة؟.. لقد كان الرجل حائراً مثلنا مما يراه .. بل وأرسل إلى هذا الخطاب ؛ ليخبرني بأنه لم ير شيئاً كهذا من قبل .. وأخبرني أنه يود لو وافقت الحكومة المصرية على استدعائه ليعاين الجثتين بنفسه مرة أخرى .. فقد أثارنا الجثتان فضوله، وشغفه العلمى بشدة.

هزّ الدكتور مصطفى متفهماً، وتطلع إلى الخطاب المكتوب بخط منمق، وأعادته ثانيةً لصاحبه.. ثم نظر إلى عينيه مباشرة، وقال ببطء:

- وماذا عن رأيك أنت في كل هذا يا دكتور محمود؟

- أتريد رأيي العلمى أم الشخصى؟!...

- أعتقد أنى جنّت من أجل رأيك الشخصى.

- أرى أننا نواجه لعنةً ما .. شراً ما .. سحراً ما .. سمّه ماشنت فلا أدري في الواقع ماهو، ولا ما هو الاسم السليم الذى يجب أن ننعته به .. ولكن آثاره تصطدم بنا بإصرار، وتجعلنا نتخبط في ظلامنا.

ابتسم الدكتور مصطفى، وقال بارتياح:

- هذا ما أردت سماعه منك، ولهذا أتوقع أن تساعدني في أن نستعين بالوحيد الذى أعتقد أنه يفهم في هذه الأشياء...

تطلع الدكتور محمود إلى عينيه مباشرة، وقال بمهذوء:

- أظنك تعنى الدكتور محمد شاهين؟..

أجاب الدكتور مصطفى بترقب :

- نعم.. ولهذا جئت إليك الآن .. أنت أحد أصدقاء المقيمين كما أعتقد.. أما أنا فلم أتشرف بمعرفته من قبل ، وأخجل أن أطلب مساعدته دون سابق معرفة.

هزّ الدكتور محمود رأسه متفهماً، وقال:

- في الواقع كنت أنوى أن أجا إليه .. فقط كنت أنتظر رد الدكتور "ماكس" قبل أن أحدثه لأطلب معونته.

- وها قد جاءك رد الدكتور "ماكس" ليؤكد شكوكنا .. فمتى تقترح أن نزوره إذأ؟.

- يمكننا أن نزوره اليوم لو أحببت ... سوف أمر عليك بسيارتي في السادسة مساءً لو كان هذا يناسبك؟.

- إنه مناسب تماماً .. سأنتظرك إذن في السادسة.

الدكتور محمد شاهين ..

هل سمع به أحد منكم من قبل ؟..

أراكم تتهامسون في حيرة، وتتبادلون النظرات محاولين تذكره دون جدوى ..

إذن أستطيع أن أجزم أن الكثيرين لم يسمعوا به ..

هذا يعنى أن عليّ أن أعرفكم به..

كان الابن الوحيد لداود باشا شاهين ...أحد باشوات وأعيان ما قبل الثورة .. لم يكن داود باشا يختلف كثيراً عن الصورة التقليدية للباشوات التي تعرفونها من خلال مافرايم في الكتب والروايات القديمة أو رأيتم في الأفلام .. نفس الباشا العاطل المتعجرف ذو الأصول التركية، الذي لا بد أن جده الأكبر الذي أتى في البداية إلى مصر كان جندياً بانساً أو صعلوكاً وغداً، يعرف كيف يستغل جنسيته التركية التي تعطيه الكثير من المميزات ، والعطايا على حساب أصحاب البلد الأصليين ..

ما يعنيننا أنه في نهاية هذه السلسلة كان هناك داود باشا .. الباشا التركي الذي يحتقر المصريين ..والذي يرى أن الأتراك هم الأسياد ، وأن المصريين لا يصلحون إلا للضرب بالكرواج، وحرث الأرض وزراعة المحاصيل، ثم خدمة أسيادهم الأتراك بالطبع ..

صورة تقليدية للغاية وقاسية ، إلا أنها هي الحقيقة ..

وعلى العكس منه كان ابنه محمد .. كان ذكياً ناهباً ، وبالرغم من قسوة أبيه ، وكراهيته للمصريين ، كان الابن ميالاً للمصريين .. فهو- في النهاية - قد وُلد في مصر، ولم يعرف وطناً له إلا مصر .. تفوق محمد شاهين في دراسته حتى حصل

على البكالوريا ، وأراد دراسة الطب؛ فذهب إلى معقل الطب في ذلك الوقت.. ذهب إلى إنجلترا حيث التحق بجامعة " إكسفورد"؛ ليتعلم أسرار الطب، وعجائبه من أساتذتها الأرسقراطيين المهذبين قليلى الكلام ، والمتحفظين دائماً.. أتم دراسته هناك ،ومارس الطب لفترة في إحدى مستشفياتها قبل أن يتحول لدراسة الطب النفسى .. كان هذا حين علم بقيام الثورة على الملك ، وطرده من مصر ..

في البداية تمس لها، لكنه بعد ذلك وحين صدرت قوانين الإصلاح الزراعى، وإصابة والده بالفالج من جراء هذه القوانين التى ذهبت بمعظم أملاكه، وأراضيه تاركاً له ،ولابنه مائة فدان فقط كرهها بشدة .. وقرر ألا يعود لمصر مرة أخرى مادام يحكمها هؤلاء العسكر اللصوص كما رأهم ..

بعد أعوام جاء العدوان الثلاثى على مصر ..تحدى ذلك الزعيم الشاب عبدالناصر إنجلترا الإمبراطورية التى لاتغيب عنها الشمس ..وفرنسا .. وإسرائيل ذلك الشيء الطفيلى الذى يتغذى على دماء الشعب الفلسطينى سارقاً أرضه وتاريخه .

راقب الطبيب الشاب ما يحدث بترقب وقلق ، وتابع ما تفعله الدول الثلاث .. رأى أنه نوع من البلطجة السياسية ..وتعجب حين سأل بعض أساتذته فى إنجلترا نفسها عن رأيهم فى الحرب ؛ فوجدهم حانقين على مايفعله " إيدن" فى مصر ..وقال أحدهم بسخط.. إن الإمبراطورية التى لاتغيب عنها الشمس فى طريقها نحو الذبول ،وسمعة التاج تقتضى ألا تضع بريطانيا نفسها فى هذا المكان ..

لكنه دهش حين وصلته أخبار الصمود الباسل الذى أبداه ناصر، والمصريون فى وجه العدوان .. كان الجميع يتوقعون ألا تصمد مصر أمام هذا العدوان الثلاثى أكثر من ثمان وأربعون ساعة .. فمصر فى النهاية دولة حديثة التحرر،

ومازالت مثقلة بالأعباء والديون .. لكن المصريين خذلوا هذه التوقعات وصمدوا..

وذهل حين فوجئ بالدكتور" جورج ليكتر " ..أحد أكبر أساطين الطب في إكسفورد يحدثه بنشوة متخلياً عن وقاره المعهود قائلاً:

-لك أن تفخر ببلدك، وعبدالناصر ...المقاومة التي يبديها هذا الشعب الصغير ستدل ناصية بريطانيا العظمى والتاج ..سوف تنتهي الحرب، وأنتم أكثر قوة ..وستكونون أنتم الرياح الأوحده منها ..لقد اعتدتم أيها المصريون أن تذهلونا دائماً.

انتابه الفخر؛ لأنه مصرى ،وعاد إليه حينه للعودة إليها ،لذا ما أن انتهى العدوان بانتصار معنوى لعبد الناصر، وهزيمة مدلة لإنجلترا وفرنسا حتى قرر العودة إلى مصر ..بالطبع تلقفته كلية الطب؛ لتدريس الطب النفسى الذى تخصص فيه؛ والذى كان طفلاً يحبو فى ذلك الوقت فى مصر .

بعدها سافر مرة أخرى إلى الخارج ..إلى الاتحاد السوفيتى هذه المرة .. وظل هناك لثلاثة أعوام حصل فيها على درجة الدكتوراة فى علم النفس .. هناك استهوته عوالم ما وراء الطبيعة والحوارق؛ فالتحق بأحد المعاهد المتخصصة فيها .. وقد شغفته الدراسة فى هذا المجال بشدة ..

عاد لمصر بعد اعوام أخرى..وافتح عيادة صغيرة للعلاج النفسى ذاع صيتها مع الوقت ..وبعد أعوام قصار صار رئيساً لقسم الطب النفسى .. إلا أنه ظل منجذباً إلى عوالم ماوراء الطبيعة، فأخذ فى كتابة الكتب والمقالات عنها، وأخذته الحماسة فأخذ ينادى بإنشاء معهد لتدريس هذا العلم الجديد الذى رأى فيه أحد علوم المستقبل ..

بالطبع لاقى الرجل الكثير من السخرية والاستخفاف ، واتهمه الكثيرون بالدجل ..صمد في البداية .. لكنه في النهاية قدّم استقالته من الجامعة، وأغلق عيادته، و سافر إلى الخارج مرة أخرى لعدة أعوام أخذ فيها يبحر في عوالم ماوراء الطبيعة ويتعلم الكثير من خفاياها.. وفي النهاية عاد لمصر ثانية

كان يعيش الآن بمفرده في فيلته التي أقامها بعيداً عن الزحام والعيون في هبضبة عالية بالمقطم..حيث يواصل قراءته ودراساته في المجال الذي أحبه ..لم يتزوج ولايدرى أحد السبب في عزوفه عن الزواج .

نشر الرجل العديد من الأبحاث المهمة بمجلات متخصصة .. وكتب كتابين عن عوالم ماوراء الطبيعة في التراث العربي .. إلا أنه نشرها بالخارج ؛لأنه ظن أن القارئ العربي لن يتقبل ما يكتبه، وسيقبله بالكثير من الاستخفاف..

وبالرغم من جهل الكثيرين بوجوده ،إلا أنه مشهور بشدة في الأوساط الضيقة التي تهوى الخوارق والغيبات وأحداث ما وراء الطبيعة ..كان هو الأفضل في تلك الأمور ولهذا غسّعتان به الدكتور محمود والدكتور مصطفى ليساعدهما بعلمه ومعرفته في فك طلاسم هذا الامر ..

لكن السؤال الحقيقي ..هل ينجح أم يخذلها ؟..

لا أحد يدري ..

فى تمام السادسة كانت سيارة الدكتور محمود الصغيرة أمام منزل الدكتور مصطفى ، كان الأخير بانتظاره ، فانطلقا على الفور إلى المقطم؛ حيث يسكن الدكتور محمد شاهين .. وفى الطريق تساءل الدكتور مصطفى :

-هل يعيش الدكتور محمد بمفرده فى فيلته؟.

-نعم .. فهو لم يتزوج أبداً.. سمعت ما يقال أنه كانت هناك طبيبة إنجليزية أحبها إلا أنهما لم يتفقا فى النهاية، وانفصلا ، ولم يفكر بعدها فى الارتباط بأخرى ..

- إنها إذأً عقدة الحب الفاشل التى تظل تلاحقك طوال عمرك .. هذا يعنى أنه الطبيب النفسى معرض هو الآخر لأن يسقط فريسة عقدة ما كما يبدو.. لكن كيف يقضى وقته إذن ،وقد أغلق عيادته على ما أعلم.

-الرجل يعيش بين كتبه، وأبحاثه ،ولا أظنه يشكو الفراغ ..ستذهل بشدة حين ترى مكتبته ،ومعمله حيث يجرى أبحاثه.

نظر إليه الدكتور مصطفى بتعجب ،وقال:

-وهل يقوم بأبحاث ما؟..

ابتسم الدكتور محمود مجيباً :

-بالتأكيد .. إن أبحاثه هى التى تقودنا إليه الآن .. إنه يعمل فى مجال الخوارق ، وما وراء الطبيعة كما تعلم ..

لم يفهم الدكتور مصطفى كنه هذه الأبحاث التى يقوم بها فقال بتعجب:

-وكيف تكون مثل هذه الأبحاث ..هل يقوم مثلاً بتحضير الأرواح والجان مثلاً

؟.. أنا لا أفهم كيف تكون هناك أبحاث فى تلك الأمور

أطلق الدكتور محمود ضحكةً قصيرة قبل أن يجيب:

-ربما يفعل هذا.. إن كل شيء ممكن مع الدكتور محمد شاهين.. هذا ما ستدركه حتماً حين تعامله .. لكنى أعتقد أن الأمر أكبر من ذلك .. فهو مثلاً يهتم برصد الأصوات الصادرة من الفضاء ،وتلك الصادرة من المقابر .. لاحظ أن فيلته قريبة من منطقة المقابر، وربما كان هذا أحد أهدافه حين اختار مكانها.. كما أخبرني مرة أنه يقوم برصد الهالات التي تحيط بالإنسان في حالاته المزاجية المختلفة ،ربما تكون تجاربه تلك غريبة حقاً.. لكنه يقوم بها بجدية تامة . صمت الدكتور مصطفى مفكراً في الأمر بجدية ..متسائلاً عن الفائدة التي ستعود علينا من هذه العلوم ..إنها علوم هلامية من الصعب أن تعرف بدايتها من نهايتها كما أنه من الصعب أن تستطيع إثبات نتائجها..

كان أمر الدكتور محمد يحيره ،فالرجل كان كما يعلم ينتظره مستقبل واعد في مجال الطب النفسى ،وعبادته صارت ذا صيت في فترة قصيرة، فكيف من الممكن أن يتجاهل رجل ما كل هذا النجاح ؛لينهمك في دراسة علوم غير مجدية .. بالطبع كان من العسير عليه أن يتفهم هذا إلا أنه أوعزه في النهاية لفضول العلماء للمعرفة الذى لاينتهى مهما كان نوعها .

لم يستغرق الطريق منهما أكثر من نصف الساعة حتى كانوا أمام فيلته الصغيرة ..توقفوا بالسيارة أمام الباب الخارجى للفيلا ،حيث هرع حارس متقدم في السن نحوهما حين رأى السيارة ؛فابتسم الدكتور محمود، وبادره قائلاً:  
-كيف حالك يا عم إسماعيل؟ ..هل أنت بخير؟ ..

تعرفه البواب العجوز ؛فتهلل وجهه فرحاً ،وقال مرحباً :  
الحمد لله يادكتور ..مرحباً بك ..مضى زمن طويل لم تأت فيه إلى هنا .  
-إنه العمل أيها العجوز ..لكن أخبرني ..هل الدكتور محمد بالداخل؟

-نعم يادكتور ..إنه بداخل الفيلا الآن ..تفضل يادكتور..سوف أقودكما للدخل.

قالها، وفتح لهما الباب الحديدى المليء بالزخارف الأنيقة، فمرت سيارة الدكتور محمود عبره للدخل ..

هبطوا من السيارة، واتجهوا إلى ممر مبطن بالأحجار خصص للسير عليه .. كان جانبي الممر مزينا بأنواع شتى من النباتات والأعشاب والزهور ..وكانت النباتات ترسم بأشكالها وألوانها لوحات فنية بديعة بالرغم من الظلام، بفضل بعض كشافات الإضاءة التى تم توزيعها بطريقة هندسية رائعة؛ فأشاعت فى المكان ظلالاً محببةً ..

تأمل الدكتور مصطفى منبهراً، الحديقة المرتبة على شكل أحواض مربعة، ودائرية تحوى أنواعا لاحصر لها من الشجيرات والورود والأزهار المختلفة ألوانها وأشكالها.. فقال له الدكتور محمود، وهو يلحظ إعجابه، وانبهاره:

-الدكتور محمد من عشاق النباتات ..هو يرى أنها هى الأخرى تملك طاقات وقدرات نجعلها ..كما أن لها لغات تتحاور بها مثلنا تماماً ..وأظن أن بعض أبحاثه تشمل هذه الناحية.

ثم مال على أذنه، وقال بصوت خافت بمرح:

-بعض هذه النباتات تساوى ثروة ..فهى نادرة للغاية، وبعضها تم جلبه خصصياً من أجله من خارج مصر، كما أن الرجل يهتم بحديقته بنفسه.

كان مرأى النباتات والورد مبهجاً، وقد انتشر عبقها الطيب فى المكان؛ فأضفى إلى متعة الحديقة البصرية التى تسلب الأبصار متعة الرائحة الطيبة التى تفوح من كل مكان فيها ..ظلت أعينهم معلقةً بالحديقة، وراحت تنتقل بين جنباتها المبهرة، حتى دلفوا إلى داخل الفيلا .

لاحظ الدكتور مصطفى على الفور الطراز الكلاسيكى الإنجليزى الذى صبح كل شيء بالداخل ..لابد أن الدكتور محمد قد استوحاه من معيشته بإجلترا ..انتظمت أرضية الفيلا على مستويين يفصلهما عدة درجات من الرخام ، وقد بُنيت الأرض بالرخام والجرانيت ،وتوزعت فى جوانب الفيلا الكثير من الأعمدة، و التماثيل الحجرية أو البرونزية..

كانت هناك مدفأة حجرية تتوسط البهو ..ذُكرت هذه المدفأة الدكتور مصطفى بمدافئ البيوت الإنجليزية الريفية التى طالما رآها فى القصص المترجمة.. اتجه بصره نحو الحوائط التى زينتها الكثير من اللوحات الفنية والصور الشخصية..كان هناك صورة تمثل باشا لو أن لك أن تتصور شكل الباشاوات بلامح صارمة، وأنف مستقيم حازم، وشارب كث طويل ملفوف لأعلى ..لابد أنه المرحوم داود باشا شاهين والد الدكتور محمد .. لم يسترح الدكتور مصطفى لملاحمه، وخاصة عيونه الحادة التى أشعرته بالتوتر .. كانت العينان تحملان نظرةً مخيفةً توحى بالصرامة والعنجهية والتعالى، وشيء آخر مرعب، ومبهم لاتدرى ماهو .. بالتأكيد كانت تجربة التعامل مع شخص كهذا لو كان حياً ماكانت لتكون سارة أو محببة للنفس ..

كان هناك صورة أخرى لسيدة شابة و فاتنة بفستان بسيط أنيق يعود لثلاثينيات القرن الماضى ..كانت تبسّم بود ودفء أضفى لملاحمها إحساساً بالألفة والراحة ..خمن الدكتور مصطفى أنها لابد أن تكون والدة الدكتور محمد ..كانت هناك أيضا بعض صور الدكتور محمد، عرفها الدكتور مصطفى على الفور ، فهو قد رآة من قبل، وإن لم يتبادلا التعارف أو الحديث ألاما .. اتجهها إلى الصالون ؛حيث جلسا فيه على أرائك مذهبة ؛لابد أنها تعود لأحد نبلاء العصور الوسطى ..هكذا خمن الدكتور مصطفى، وهو يتحسسها بتعجب

وانبهار، بينما انسحب البواب العجوز بعد أن أخبرهم أن الدكتور قادم إليهم على الفور.

تطلعا بانبهار إلى اللوحات الكثيرة المتنوعة، و المنتشرة على الجدران حولهم مائحةً للفيلا طابعاً محبباً من الرقى الممتزج بالذوق الرفيع .. مما دفع الدكتور مصطفى لإطلاق صفير خافت منبهر وقال:

-الفيلا بأثاثها ولوحاتها وتصميمها وحديقتها تحفة فنية حقاً .. إننى أحسد هذا الرجل من كل قلبى عليها.. أن يعيش المرء هاهنا يشبه العيش بالجنان.

ضحك الدكتور محمود، وهو يلاحظ انبهار الدكتور مصطفى بكل شيء .. هو نفسه كان منبهرًا مثله تماماً حين أتى للمكان لأول مرة.. لذا قال :

-من حسن حظك أن الدكتور محمد لا يتطير، ولا يخاف من الحسد .. بل سيدهشك أنه سيطرب لمديحك هذا ..

ارتفع فى المكان صوتُ خطواتٍ قادمة من أعلى الدرج الخشبي، فانتبها إلى الدكتور محمد القادم نحوهم بقامته المتوسطة وملامحه الأرسقراطية التى تحمل ملامح والده، وإن أذابتها ابتسامته الدافئة...

كان يرتدى ملبسه كاملةً، ويحمل غليوناً بجانب فمه كما يفعل الرجال الجنتلمان الإنجليز .. رحب بهما بود كامل، وأشار إليهما بالجلوس ..

كان قد التقى بالدكتور مصطفى من قبل؛ فلم يَحْتَجِ لأن يقدمه الدكتور محمود له .. وقال له محاولاً إشعاره بالود والترحيب:

-هل أعجبتك فيلا تى الصغيرة هذه ؟.

-فى الواقع لم أر شيئاً مبهرًا مثلها من قبل .. كل شيء بها هو قطعة فنية لاتوصف .. إنها تصلح بكل ثقة أن تكون متحفًا للفنون.

أطربت كلماته الدكتور محمد ؛ فقال بأسى حقيقى :

- أنت لم تر قصر والدى قبل أن تأممه الثورة، وينهبه لصوصها.. كان شيئاً رائعاً من الصعب أن تقارنه بمذه الفيلا الصغيرة.

واكتسى صوته رنة ألم، وهو يضيف:

- للأسف تم نهبه تماماً.. مايجزني أن أمي قد تعبت كثيراً في تنسيقه، وجلب الكثير من التحف، واللوحات الأصلية له من الكثير من أنحاء العالم ليبيدها العسكر واللصوص بلا وعى لقيمتها الحقيقية.. بالمناسبة إن والدتي نفسها كانت فنانة لها الكثير من اللوحات الرائعة .

وأشار بيده إلى بعض اللوحات المعلقة على ركن من أركان الفيلا، وأكمل :  
- هذه اللوحات كلها بريشتها هي .. أعتقد أن بها بعض الأصالة والموهبة ؛ كما ترون .

تطلعا إلى اللوحات التي أشار إليها.. كانت تصور الطبيعة في صور مختلفة .. كان هناك لوحة تصور البحر وقت الغروب، وأخرى كانت تصور شجرة في مقتبل غابة، وقد حلقت الطيور فوقها، وثالثة صورت وردة حملت أوراقها ألوانا مختلفة .. عبققت اللوحات بالموهبة، والحساسية الشديدة في اختيار الألوان .. في نفس اللحظة ظهرت لهم سيدة متوسطة العمر ذات ملامح جميلة لكنها صارمة، رمتهم بنظرة متشككة غير مريحة .. فسألهم الدكتور محمد عما يرغبان في تناوله، فطلب الاثنان قهوة، فطلب منها بلطف أن تحضر القهوة لهم جميعاً . انصرفت بعد أن رمتهم بنظرة أخرى متفحصة .. فمال الدكتور محمود نحوه، وقال بمكر :

- أمازلت محتفظاً بمديرة بيتك هذه .. أنا لا أدري كيف تحتمل نظراتها الصارمة تلك، والتي لاتفارق وجهها أبداً .. أحيانا أشعر أنك تخشاه .. ألا تفعل يارجل؟ .  
أطلق الدكتور محمد ضحكةً صاخبةً، وقد راقته له الدعابة وقال:

-لن تصدقني لو قلت لك إنني أخشاها أحياناً .. لكنها، والحق يقال نظيفة ،وتقوم بأعمال المنزل بمهارة وتفان..أظن أنني قد اعتدت عليها ،ولم أعد أستطيع أن أدبر أمري بدونها.

خيم بعدها الصمت للحظة، ثم قال الدكتور محمد ،وقد وضع غليونه في فمه ورفع ساقها فوق ساق:

-والآن ماذا تنتظران من الساحر أن يقدم لكم ؟.

أدرك الدكتور محمود مايعنيه بقوله هذا فأجاب على الفور :  
-في الواقع إننا في ورطة .. وقد جئنا طلباً لمساعدتك .

كان هناك الشيخ عبد العاطى ...

كان أحد أشهر الدجالين فى ذلك الوقت .. اشتهر فى البداية فى المناطق الشعبية كالقلعة والسيدة وغيرها.. وبعد فترة ذاع صيته واشتهر ؛ حتى يقال إن بعض الفنانين والمشاهير صاروا لا يقدمون على شيء إلا بعد مشورته.. كتب البعض عنه مقالات ببعض الصحف والمجلات الأسبوعية تمدح كراماته، وتعددها أحياناً .. وتتهمه بالدجل والنصب أحياناً أخرى، إلا أنه مات فجأة فى ظروف غامضة، تناثرت حولها الكثير من الحكايات، والأقاويل وإن لم يعرف أحد الحقيقة فيها..

لكننا نعرف ..

أخبرت باتعة زوجة متولى جارتها أم كريم بما حدث لزوجها فأخبرتها انه لن يحل لها هذه المشكلة، إلا الشيخ عبدالعاطى.. فالرجل سره باتع ، و يخشاه كل الجان وأعوانهم ؛ لأنه يسخر ملوكهم .. ثم راحت تعدد لها الكثير من كرامته التى شهدتها بنفسها . ألم تكن كريمة زوجها محروس العجلاتى عقيماً، وبعد زيارته حدث لها الحمل؟ .. ألم يرغب أحد الجان فى الزواج بسناء ابنة الحاج محمد أمين ، وأصابها بالمرض ، ودار بما أبوها بكافة الأطباء والمشايخ ، ولم يخلصها من هذا الجان إلا الشيخ عبدالعاطى.. ألم يسرق ذهب أمينة القاضى جارتهم، وبعد أن يئست من معرفة السارق ، وكادت أن تموت كمدأ، ذهبت إليه فاستطاع معرفة السارق ..

كان هناك الكثير من الحكايات الأخرى .. وكالعادة لا أحد يدري ما الحقيقة ولا الضلال فيها.. ولكنها الفطرة المتوارثة فى نفوس الكثير من المصريين الذين

يقفون في الشيوخ والأولياء .. ويتكفل دوماً خيالهم بصنع كرامات لهم عن حق كانت أو باطل .. ولذا نجد أن باعة لم تكذب خيراً، وقررت أن تزوره فرمما يحل مشكلة زوجها مع تلك الجثة اللعينة في المشرحة، والذي كان قد قص عليها كل مافعلته بهم ، وكل ما قيل عنها ؛ فصارت لاتنام من الفزع خشية أن تصحو؛ فتجد نفسها بين الجثث كما حدث لزوجها.

تطوعت أم كريم، وأخبرتها أنها ستصحبها إليه، وهمست إليها:

- إن الرجل أتعابه عالية بعض الشيء ... لكنه مضمون .

وبالطبع مادام الأمر يتعلق بالنقود؛ فقد وافق متولى على مريض دفعه إليه خوفاً.

بعد العصر اتجهوا إليه حيث مقره بالقلعة.. وفي شقة بالدور الأرضي في عمارة قديمة كان يقيم.. دخلوا الشقة ففوجئوا بسيدة بدنية ترتدى جلباباً زاحراً بالألوان الصاخبة تستقبلهم، ثم طلبت منهم أن ينتظروا دورهم في مقابلته .. كان المكان يعجُّ بالكثيرين ممن أتوا للشيخ بحثاً عن كراماته .. فمالت أم كريم على أذن باعة قائلةً بفرح:

- انظري كم واحد هنا قادم للشيخ .. ألم أقل لك إنه ذو سر باع ، وسوف يحل مشكلتك إن شاء الله.

غمغمت باعة بأمل :

- يارب يا أم كريم .. يارب

تشاغلا بمتابعة الكثير من رواد المكان القادمين بمختلف أنواع المشاكل .. هذه هجرها زوجها لأفعى أخرى، وتلك ممسوسة ، وهذا قد صنع له أحدهم عملاً فصار لا ينجب وآخرون بمشاكل شتى .. ظلنا هكذا إلى أن حان دورهما، فنادت

المرأة البدينة ،فنهضتا بسرعة ،واتجهتا إلى حجرته ،وقالت باتعة لها هامسة قبل أن يصلا لبابه :

-هل سندفع النقود الآن؟.

أسرعت المرأة البدينة تصيح بصوت عال صارم ،تعمدت أن يسمعه الجميع :

-الشيخ لايتقاضى نقوداً ..إنها طلبات ملوك الجان ،يحددها الأسياد له.. فيخبرك بما بعد معرفة مشكلتك.. لو أراد الشيخ اموالا لفتح له ملوك الجان خزائهم وكنوزهم .

دخلتا الحجرة المظلمة بارتباك..كان هناك الكثير من الدخان ورائحة بخور زيتي خاقق تفعم المكان ،وقد امتزجت برائحة عضوية غامضة .. في منتصف الحجرة كان يجلس الشيخ عبدالعاطى بلحيتة الشعثاء ،ونظرة ماكرة خبيثة من السهل إدراكها تملأ وجهه .. كان هناك أمامه موقد فخارى كبير توهجت فيه أحجار الفحم المشتعلة ،وبجواره كانت هناك بلورة زرقاء معتمة تغوص في حامل خشبي ..وفي الجوانب ،وعلى الحائط كان هناك الكثير من التماثيل المرعبة ،والأقنعة البشعة .. في الواقع ،وكى لانظلم الرجل .. فإنه قد فعل كل ماوسعاه كى يبدو نصاباً ،ولكنهم كانوا حمقى فلم يدركوا هذا.

شعرت باتعة بالخوف من هذا الجو المظلم الخائق ، بينما كانت أم كريم أكثر جرأة وهو تحيه :

-السلام عليكم يامولانا.

أجابها الرجل بصوت خشن ،وفمه لايكف عن المهمة بأشياء غامضة :

-السلام على من اتبع السلام ،وقبلهم السلام على عشتروش وشهورش ملوك الجان.

ألقى ببخوره في الموقد المشتعل؛ فوجلت بائعة، والدخان يتصاعد من النار.. وأكمل بصوت تعمد أن يكون مخيفاً بارداً:

-ملوك الجان ها هنا حاضرون، فتأدبوا في الحديث.. أوجزا واحكيا لهم مشكلتكما، ولديهم الحل بإذن الله

لم تستطع بائعة التحدث من الخوف، فجف ريقها، وصمتت، فاندفعت أم كريم تقص عليه كل شيء أخبرتها بائعة به، و استمع إليها، وفمه مستمراً في هممته الغامضة، وحين انتهت من كلامها؛ صاح فجأة بصوت جهورى مخيف:

أعوذ بالله.. الغوث الغوث.. العون العون.. النجدة يا ملوك البحار السبعة وأمرء الجزائر..

أسرعت أم كريم تقول، وقد لاحظت امتقاع وجه بائعة التي لم تنفوه بكلمة واحدة، وراحت تنففس بسرعة مضطربة:

-ماذا هناك يامولانا؟..

ألقى الرجل بالمزيد من البخور قبل أن يقول:

-هذه أعمال سفلية شريرة وقديمة.. أعمال مخيفة لا يقوم بها إلا الجان الأحمر.. عشتروش يقول إن ملك الجان الأحمر بنفسه يشرف عليها.. يحفيظ أرحمنا برحمتك.

فوجئت بائعة بنفسها تتهف برعب :

-ومن صنع هذا العمل لزوجي ..

-هذا ما لا يجوز الإجابة عنه.. إنها أسرار ملوك الجان، ولا يحق لأحد معرفتها، أو السؤال عنها.

هنا قالت أم كريم بتوتر:

-والحل يا شيخ عبدالعاطى!؟!

لم يرد عليها، وألقى المزيد من البخور على النيران التي أمامه، فتوهجت ،  
واندفعت سحب البخور الكثيفة نحوهما حتى شعرتا بالاختناق، بينما استمر هو  
في مهمته المهمة، وهو يرجع رأسه للخلف؛ كأنما يحدث أشخاصاً خفيةً، قبل  
أن يعلوا حاجبه الأيسر، ويصبح بفرح مصطنع :

-أبشروا..لقد أتى الفرج ..إن عشتروش سوف يبطل العمل ...لقد وافق الآن  
على مواجهة ملك الجان الأحمر، وإبطال سحره..لكنه يطلب الكثير .  
أجابت عليه أم كريم على الفور:

-أخبره أن طلباته كلها مجابة ..كل شئ يريدُه سوف نلبيه .  
ارتسمت ابتسامة لزجة على ملامحه قبل أن يقول :  
-عشرة جنيهات تدفعونها الآن، وخمسة أخرى مع ديكين يافعين بعد قضاء  
الحاجة ..ماردكم؟.

غمزت أم كريم لبائعة بكوعها، فأسرعت بإخراج ورقة بعشرة جنيهات من كيس  
تضعة بصدرها، وناولته إياه وهي لاتصدق أنها ستدفع له مبلغاً كهذا، فتناولها من  
يديها بلهفة، ووضعتها في جراب أحمر من القماش بجانبه.. قبل أن يخرج ورقة  
صفراء مطوية من كيس قماشي كان يجلس عليه مليئة بشخبطات، وحروف غير  
مفهومة بلون أحمر، وقال، وهو يناولها إياها:

-خذى هذا الحجاب وسمى الله ..أعطيه لزوجك، وأخبريه أن يضعها خلصة في  
فم هذه الجثة دون أن يلحظه أحد أو يراه ، ولاتنس أن تجربيه أن يضع عليها  
بعض بوله عليه قبل وضعه في فمها، فهذا سيحيميه من شرها، ويبطل السحر  
..وسينتهى هذا العمل الخبيث إن شاء الله.

تناولتها منه بلهفة، وهي تدعو له بالستر .. لكنه لم يرد ، ففهمتا أن المقابلة انتهت .. فنهضتا للانصراف .. تابعهما بعينيه اللزجتين متفحصا تضاريس جسديهما البادية خلال عباءتاهما، حتى انصرفتا ،وابتسامة لزجة تزين وجهه ..  
كان الرجل قميء بالفعل ..  
هل ينكر أحد ما هذا ؟ ..

(42)

فى الصباح كان متولى فى المشرحة، وفى جيبيه الحجاب .. وبالرغم من خوفه وتردده ، فقد قرر أن يكون آخر من يخرج من المشرحة، حتى يضع حجاب الشيخ عبدالعاطى دون أن يراه أحد، وبمجرد أن صار بمفرده بالمشرحة اتجه إلى قاعة التشريح؛ ليضع الحجاب فى فم الجثة ..

تذكر أنه لم يتبول عليه كما أمر الشيخ عبدالعاطى ،فانتحى فى أحد الأحواض المنتشرة بجوانب المشرحة، وتبول على الحجاب، وتقدم به بعدها نحو الجثة .. كان يشعر بالرعب منها إلا أنه تماسك، وكشف عن وجهها، ويبد مرتجفة فتح فكها السفلى؛ فاستجاب له بيسر، فوضع الحجاب فى فمها بسرعة، وأغلقه مرة أخرى ، قبل أن يعيد تغطيتها، ويندفع بعدها نحو باب المشرحة مهرولاً ولاهتأً من فرط الإثارة .. كان يتوقع أن يحدث منها رد فعل ما ،ولكن لحسن الحظ مضى كل شيء على مايرام.. فشعر ببعض الراحة.

الآن المشكلة قد حلت كما وعد الشيخ عبدالعاطى.. فهل ينتهى شر الجثة؟.. هذا ما لم يكن بإمكانه ان يعلمه الآن..

**باهتمام** بالغ تابع الدكتور محمد شاهين مايقصه الدكتور محمود، والدكتور مصطفى عن الأحداث الغريبة بالمشرحة .. لم يقاطعهما، وتركهما يفرغان في أذنيه كل مايعرفونه .. في النهاية سحب نفساً عميقاً من غلبونه الموضوع على جانب فمه الأيسر، وأخرج من فمه دخانه الرمادى ببطء، وتراجع برأسه للخلف مفكراً بصمت .. تطلع إليه كلاهما بلهفة منتظرين أن يفيدهما كما تمنيا .

ظهرت قطة مشمشية اللون في هذه اللحظة، وتحركت بتؤده بينهم ورأسها ينظر إليهما ببطء كأنما تتفحصهما، قبل أن تتقدم نحو الدكتور محمد شاهين الذى ابتسم لها ، ومد يده نحوها :فقفزت لتجلس على قدمه مستكينة لأصابعه التى راحت تربت على فرائها بلطف وقال مبتسماً:

-دعوني أقدم لكم عزيزتى ددى ..

ابتسم كلاهما، والدكتور محمد يشير نحوهما مكماً:

-هذا هو الدكتور محمود، والآخر هو الدكتور مصطفى .. إنهم أمام أحداث غامضة، وقد جاءوا طلباً للمساعدة.

قال الدكتور مصطفى، وهو يرمق القطة الجميلة التى أطلقت مواءاً خافتاً :

-إن لها اسماً غريباً .. كما أننى أعتقد أنه لن يهتما ما نواجهه .

- سيدهشك أن تعلم ماهتمم به حقاً، وما يمكنها أن تفعله.

قالها الدكتور محمد بغموض، ثم استطرده:

-أما اسمها فهو اسم ساحر مصرى قديم .. وأظن أن هذا الاسم يروقها لهذا ادعوها به.

تبادل الدكتور مطصفي النظرات الدهشى مع الدكتور محمود .. لكن الدكتور محمد أراد تجاوز هذه النقطة فقال:

- إن مشكلتكم كما أعتقد أنكم لاتدركون ماتواجهون .. الأمر محير بحق ، ولألومكم على حيرتكم هذه ، فهناك عشرات الاحتمالات لما تواجهونه .  
نحض من مقعده ، وأطلق صراح قطته ، واتجه إلى النافذة المطلة على الحديقة ، وأخذ يتأملها بشرود قبل أن يقول :

- هل ما يحدث معكم يسببه شيخ هذه الفتاة .. أم هل يكون أحد الجان أم أنه القرين؟ .. قد يكون الامر ايضا لعنة ما أو مس شيطاني .. وكل هذه احتمالات ممكنة .

قال الدكتور محمود بحيرة :

- يا إلهي كل هذا .. كيف يمكننا أن نعرف ماذا تكون إذا؟  
التفت إليهم ، وتجاهل إجابة سؤاله بلا مبرر ، وقال :  
- في البداية ماذا تعرفان عن الأشباح ؟!

تطلع الاثنان إلى بعضهما البعض قبل أن يجيب الدكتور محمود:

- ليس الكثير .. البعض يتحدث عن أنها أرواح للموتى تظهر في بعض الأحيان في ظروف معينة ، ربما لتخبر عن القاتل لو كانت لقتيل ، أو لتشير الفوضى .. إن الفكرة مشهورة ومنتشرة في الثقافة الغربية أكثر من الثقافة الشرقية .

ابتسم الدكتور محمد ، وسحب نفساً آخر من غليونه ، وهو يقول:

- هذا صحيح إلى حد ما .. إن الشيخ هو الطيف .. هذا الطيف قد يكون لإنسان أو حيوان أو شيء آخر ، لغويًا كلمة شيخ تعنى الرؤية غير الواضحة لجسم ما .. وشيخ الشيء في اللغة هو ظله وخياله ..

بالطبع تعد هذه الظاهرة من أهم ظواهر ماوراء الطبيعة .. فالفكرة نفسها قديمة ، وموجودة في كل الثقافات تقريباً ، حتى البدائية منها .. في الغالب يتم تفسير ظاهرة الأشباح على أنها أرواح الموتى أو أرواح القتلى، لكن هناك تفسيرات أخرى.. فالبعض يرى أن الأشباح هي الجان أو الملائكة أو الشياطين، وهؤلاء يرون أن الأشباح الطيبة هي إحدى صور الملائكة، والشريرة هي أشباح لجان أو شياطين ..

صمت للحظة فقال الدكتور محمود معقباً :

–أعتقد أنني أميل إلى التفسير الأخير .. إن هذا يتوافق مع عقائدنا الدينية ،ولا يتعارض معها كالتفسيرات الأخرى التي ترى أن الأشباح هي أرواح الموتى .. فالروح من أمر الله وحده ؛كما قال الله في كتابه الحكيم (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)..ولهذا لا أميل الى القول بأنها ارواح ..

أجابه الدكتور محمد مبتسماً:

–صدق الله العظيم .. إنني مثلك أرفض فكرة الروح هذ .. لكن أرفض أيضاً اعتبار الأشباح الطيبة ملائكة، والشريرة شياطين .. فكما سنرى حالاً فالأمر شائك بشدة .

غمغم الدكتور مصطفى بصوت خافت متسائلاً:

–أرى أن هناك مبالغة ما في موضوع الأشباح هذه، ولا أعتقد أنها تهم الكثيرين حقاً ؟ .. إن رجل الشارع العادى لن يقابل اشباحا في كل لحظة ،ولن يهتم بها كثيراً كما أعتقد. إنها لن تهم في العادة غير المتخصصين في تلك الأمور ،وعشاق الإثارة والغموض من الشباب .

أجابه الدكتور محمد، وهو يهز رأسه :

- لن تتخيل أبداً عدد الجمعيات، والأفراد المهتمين بالأشباح حول العالم .. مئات الألوف بلا أى مبالغة .. بالطبع فى المقابل هناك أيضا مئات الألوف من الأشخاص الذين يرفضونها أيضا وبشدة .. وكلّ له أدلته القوية وبراهينه .

قال الدكتور مصطفى بإحراج :

- أعتقد أنى حتى وقت قريب كنت أنتمى للمعسكر الراض .. فمشكلة تلك الأمور الخارقة الغامضة أنك لاتدرى أبداً الحقيقة فيها من التدليس .

- هذا أمر متوقع بالطبع .. فمشكلة الأشباح مثلاً أنك تواجه شيء من المستحيل أن تثبته بالدليل القاطع .. أنت تتعامل مع شيء تؤمن به ، أو ترفضه بحسب معتقداتك ، أو ثقافتك ، أو موروثاتك .. ومن المحبط أنه بالرغم من توافر العشرات من وسائل البحث ، والاستدلال لإثبات هذه الظاهرة ، إلا أن مستوى معرفتنا بما لم يتعد معرفة القدماء كثيراً .. إن مانجهله عنها أكثر بكثير مما نجهله ..

قائها ورمق قطته التى إرتكزت على قائمها الخلفين ورفعت رأسها نحوه كأنما تتابع ما يقوله ، وإستطرد:

فى الغرب هناك الكثير من المحاولات الجادة من عشرات الجمعيات المهمة بهذه الظاهرة محاولة رصدها بأدلة مادية؛ مثل تصويرها بكاميرات عادية ، أو خاصة مع تجميع أكبر قدر ممكن من روايات الشهود إنهم يستخدمون التصوير التلفزيونى، وأجهزة لرصد بعض التأثيرات المادية المصاحبة لظهور الأشباح كالأضواء التى تضيء، أو تطفئ بمفردها، أو تحريك بعض الأغراض وغيرها .. وهناك أيضا محاولات لتسجيل الأصوات التى قد تكون مصاحبة لها .. كل هذا قد يفيد أحياناً فى إثباتها، ولكن دوما تصطدم كل تلك البراهين بحجج المنتقدين للفكرة ، مثل إمكانية التزوير مثلاً ..

غمغم الدكتور مصطفى بانتصار:

-بالضبط .. من السهل اللجوء للتزوير لإثبات وجود وهمي لها .. إن الخرافات مرعى خصب للأفكار والنصايين ؛ ولهذا من الصعب أن يتقبل العلم أشياء مثل هذه.

هنا رد عليه الدكتور محمود بسرعة:

-رويدك يادكتور مصطفى .. فالأمر لا يخلو أبداً من حوادث موثقة كان شهودها أناس لا غبار عليهم .. أليس كذلك يادكتور محمد؟  
ظل الدكتور محمد مبتسماً، وهو يستمع لكليهما، وهز رأسه موافقاً على قوله الدكتور محمود، وأكمل:

-بالتطبع هناك العديد من الحوادث الموثقة في هذا الشأن كما ذكرت يادكتور محمود .. لكن مصادرها هنا غريبة . فكما أخبرتكم لا توجد أى دراسات جادة عربية حتى الآن في هذا الشأن . فهناك مثلاً شبح الرئيس الأمريكى الأشهر " إبراهيم لنكولن " الذى رآه الرئيس الأمريكى " تيودور روزفلت " يتجول فى ردهات البيض الأبيض ، وهناك قصة القس الروسى " ديمتري " التى ظلت مثلاً حياً لوجود هذه الظاهرة لفترة طويلة،

ففى عام 1911 م وفى ليلة من ليالى الشتاء شاهد القس " ديمتري " المشهور بصدقه امرأة جميلة شابة طلبت منه أن يدها على الطريق ، وسرعان ما فعل ذلك ، ولكن الصدمة عندما انتبه إلى أن رقبة المرأة تنزف دماً ، وتأكد بعد فترة بأنه فى الليلة السابقة ، قد قُتلت فتاة شابة من النبلاء تحمل نفس صفات الفتاة التى شاهدها ، وقد قُطع رأسها بالكامل عن جسدها ..

هنا يرى الباحثون المؤيدون لظاهرة الأشباح أن هذه الحوادث أكبر دليل على وجود الأشباح؛ فما الذي يجعل من قس مثل "ديمتري" يدّعي هذه المشاهدات التي قد تفقده مصداقيته.

صمت الدكتور محمد، وعاد ليجلس بعدها على معقده، فتبعته القطة على الفور؛ كأنما كانت تنتظره، وتابعه الاثنان بأعينهما فاستطرد قائلاً:

-لاحظنا أيضاً أن ظاهرة الأشباح ترتبط عادة ببقعة معينة كالمنازل، أو السفن، أو المناطق المهجورة، وأ غيرها .. فقد اشتهرت العديد من المناطق، أو البقع بظهور الأشباح، وكثرت فيها الحوادث بصورة لا يمكن أن يتجاهلها أي متابع لتلك الظاهرة .. ومن أشهر تلك البقع قصر "كليمز" التاريخي والموجود في مدينة "ستراثمور الإسكتلندية"، حيث يعتبر هذا المكان من أشهر الأماكن المسكونة بالأشباح في العالم .. ربما يكون سبب هذا الخلفية التاريخية الرهيبة، والمرعبة الأشبه بالأساطير لهذا القصر .. ففي عام 1034م قُتل الملك "مالكولم" في هذا القصر على أيدي بعض المتمردين المسلحين، وبعدها أُحرقت سيدة القصر "جانيت دوغلاس" بتهمة الشعوذة، ولكن بعد فترة من الزمن ثبتت برائتها من التهمة المنسوبة إليها، ومنذ ذلك الحين ترددت الكثير من الأقاويل حول ظهور شبح السيدة "جانيت" يحوم في ممرات القلعة .. وانتشرت بعدها عشرات الروايات التي تؤكد أن القصر صار ملعوناً.. إن كل هذه حوادث موثقة لاغبار عليها لو شئت رأيي.

قاطعته الدكتور محمود محمود قائلاً وهو يتذكر امر ما:

-إنني أتذكر شيئاً قد قرأته من قبل عن تفسير علمي لظاهرة الأشباح .. شيء يتعلق بالجاري المائية أو الكهرباء الإستاتيكية .. أظن أنه كان شيئاً من هذا القبيل.

أجابه الدكتور محمد شاهين على الفور:

- لا بد أنك تشير إلى الأبحاث التي قام بها الباحثون في بريطانيا .. فقد قاموا بإجراء سلسلة طويلة من الدراسات حول معظم البيوت المسكونة بالأشباح، وتبينوا أن غالبية هذه المنازل تحتوي على مجار مائية تمر على صخور الجرانيت، وبسبب احتكاك الماء بهذه الصخور تتولد طاقة كهرومغناطيسية تؤثر على عقول ساكني تلك المنزل الأمر الذي يجعلهم في حالة أشبه إلى الهلوسة؛ فيخيل لهم أنهم يرون أشكالاً هلامية، وأشباحاً قد لا يكون لها وجود.

هنا قال الدكتور مصطفى :

- أعتقد أن هذا قد يكون يكون تفسيراً معقولاً .. ولو قام المهتمون بتلك الظاهرة في الأماكن الأخرى من العالم بأبحاث مماثلة؛ فربما توصلوا لنفس النتيجة

هنز الدكتور محمد رأسه بالنفي، وقال بجدوء:

- يا دكتور مصطفى .. الأمر ليس يسيراً كما تعتقد .. فالأشباح لا تكتفى بالظهور في البيوت فقط .. بل تم رصدها في كل مكان وكل حين، ومثل هذا التفسير لا يفسر حوادث الأشباح التي تم رصدها في السفن، وفي الصحارى، أو حتى في الطائرات ..

- إن كلامك يوحي أنك تؤمن حقاً بوجود الأشباح، وأنت لا تؤمن بالتفسيرات المادية لحدوثها، كنتفسير التيار الكهرومغناطيسى الذى ذكرته منذ قليل.

- لو رأيت ما رأيته .. لكنك أكثر حذراً في رفض الفكرة .. صدقتي إنهم موجودون بالفعل، ومنتشرون في كل مكان بصورة قد لاتصدقها .. ربما يأتي وقت أبرهن فيه لك على ما أزعمه الآن،

قال الدكتور محمود مقاطعاً مناقشتها:

-ولكن هل تعتقد أن ما يحدث في المشرحة هو تأثير أشباح مثلاً؟.

هنز الدكتور محمد شاهين رأسه بنفي، وهو يجيب:

-إنني أميل قليلاً لهذا التفسير.. لكن هناك شيئاً ما يبعدين عن القول أن هناك شبح ما بالمشرحة.. ففي معظم قصص الأشباح لا يعدو الأمر أكثر من رؤية مفزعة، أو أصوات مخيفة.. أو على الأكثر بعض المشاغبات كتحرك قطع الأثاث وغيرها.. لكننا هنا نتحدث عن جريمة قتل، وعامل مشرحة فوجئ بانتقاله بوسيلة ما من منزله ليلاً إلى المشرحة.. ولأظن أنه تم تسجيل أحداث مشابحة فعلتها الأشباح.

خيّم الصمت بعدها عليهم، فأفرغ الدكتور محمد غليونه في مطفأة سجائر، وأعاد حشوه بالتبغ، ثم أشعله، وأخذ يدخنه ببطء بينما راح الدكتور مصطفى يراقب القط، ويلاحظ عينيه العسليتين.. شعر بشيء من الغرابة فيهما.. لاحظته القط فمد رأسه نحوه، وارتسم على فمه ما يشبه ابتسامة ساخرة؛ فوجل الدكتور مصطفى، وأبعد عينيه عنه على الفور.

بعدها غمغم الدكتور محمود بحيرة:

- وماذا عن الإحتمالات الأخرى يا دكتور محمد؟..

-أعتقد أن أقرب الاحتمالات هو أنكم تواجهون أحد الجان.. إن الحوادث التي يحدث فيها البشر مع الجان منتشرة للغاية في الأرياف والمناطق الشعبية، وأنا بنفسى شهدت الكثير من حوادثها.. هنا نجد الكثير من حوادث الاختفاء الفجائي.. التشنجات، ونوبات الصرع.. تدمير الأثاث، أو إشعال الحرائق بالمكان، أو حتى سماع أصوات مخيفة..

في الغالبية العظمى من هذه الحالات، هناك مرض نفسى ما عند الضحية يفسر الأمر كله؛ ولكن في بعض الحوادث يكون المريض سليماً تماماً، ولامرض

هنالك يفسر ما يحدث .. هنا نحن أمام حوادث حقيقية لازيف فيها .. لاحظا أنني طبيب نفسى محترف ،وأستطيع أن أحكم ببسر على الحالة النفسية لأى مريض أو مدعى ..

وصمت شارداً للحظة وأردف :

-ربما يكون الجان أو المس تفسيراً معقولاً و مقبولاً ..ومعنى هذا أننا أمام جثة غير بشرية لأحد الجان .

سرت لشعيرة باردة فى جسد الدكتور مصطفى من هول الاحتمال ،وشاركة الدكتور محمود فى التوتر ،وقال :

-لكن منذ متى يتجسد الجان ..أنا لم أسمع عن هذا إلا فى قصص ألف ليلة وليلة.

ألقى الدكتور محمد بنظرة ناحية القطة ؛فحركت رأسها بعيداً عن عينيه، وقال بلهجة ذات معنى :

-إنهم يتجسدون طوال الوقت ..صدقنى لو أخبرتكم أنهم يملئون شوارعنا بل، ويعيش بعضهم بيننا دون أن نعلم حقيقته.

بدا الاحتمال مقلقاً ومخيفاً ..إن العبث مع الجان له نتائج مخيفة كما اعتادوا أن يسمعوها من عشرات الحكايات القديمة التى طالما قصتها الجدات ،أو حتى القصص الشعبية التى تناولت أمر الجان .. شعر الاثنان بأن هذا الاحتمال مقبول ، وقد يكون أقرب الاحتمالات للصواب ..فقال الدكتور محمود بعدها بصوت مرتعش :

-وهل هناك احتمال ما أن يكون مانواجهه شيئاً آخر .

أغمض الدكتور محمد عينيه مفكراً، ومازال يدخن غليونته وعينا الاثنان معلقتان به ..ثم قال ببطء :

- إننى أتذكر حادثة مشاهمة لما تواجهون ، تلك الحادثة وقعت في بدايات هذا القرن .. كانت هناك جثة، وكان هناك قتلى، وأحداث غامضة .. لكن الجثة هاهنا كانت مومياء فرعونية .

لم يفهم الدكتور مصطفى ماعلاقة مومياء فرعونية بما يواجهونه الآن فغمغم :  
- هل تعنى أن تلك الجثة الفرعونية قد أثارت من الأحداث ما هو مشابه لما نلاقه من جثتنا ؟.

- ليس تماما في الواقع .. ففي عام 1910م فوجئ عالم الدراسات المصرية "دوغلاس موراي" بأحد الأمريكين يعرض عليه أثنى أثر عرض له أثناء مزاولته لمهنته .. عرض عليه صندوق مومياء لأميرة كبيرة في معبد آمون - رع - يعتقد أنها عاشت في طيبة حوالي 1600ق.م .. كانت صورتها محفورة على الصندوق المزخرف بالعاج، و الذي كان محفوظاً بحاله ممتازة وبالطبع لم يستطع "موراي" أن يقاوم الإغراء؛فاشترى المومياء،و بدأ بترتيب الأمور لنقل الصندوق إلى منزله في لندن .

كانت الأميرة ذات منصب رفيع في كهانة الموت ،و قد ذكر على جدران قبرها أنها ستترك إرثا من النحاس، و الرعب لكل من يزعج مكان راحتها الأبدية . بالطبع سخر "موراي" من هذه الخرافات، و لكن بعد ثلاثة أيام، بينما كان في رحلة صيد إلى أعالي النيل انفجرت البندقية في يديه بدون سبب، و بعد أسابيع من العذاب في المستشفى كان لابد من قطع ذراعه فوق المرفق ، و أثناء رحلة العودة مات اثنان من أصدقائه بأسباب غير معروفة ، كما مات اثنان من الخدم المصريين الذين حملوا الصندوق خلال سنة ، و عندما وصل الى لندن وجد أن الصندوق قد سبقه إليها ،و عندما نظر إلى صورة وجه الأميرة المحفور عليها بدا وكأنه أصبح حياً، و نظراته تجمد الدم في العروق ،فقرر أن يتخلص من

الصندوق، و لكن صديقة له أقنعتة أن يتنازل عنه لها ، و خلال أسابيع ماتت والدتها ، و تخلى عنها حبيبها ، و أصيبت بجزال شديد لم يعرف سببه ، و عندما كانت تلمي وصيتها على محاميتها أصرّ على إعادة الصندوق "لموراي" ، و لكن "موراي" خشى المومياء ، فأعطاها للمتحف البريطاني ، و لكن صندوق المومياء لم يوقف شروره حتى في تلك المؤسسة العلمية ، فقد سقط أحد المصورين ميتاً فجأة ، و مات عالم الآثار ، و المستول عن المعروضات في فراشه ، انزعج بعدها أعضاء مجلس المتحف من القصص التي تناقلتها الصحف؛ فاجتمعوا سراً ، و اتفقوا بالإجماع على إرسال الصندوق إلى متحف نيويورك الذي وافق على قبول الهدية إذا سُلمت سراً و بأكثر الطرق أماناً ، و وُضع الصندوق على السفينة العظيمة التي كانت تقوم برحلتها الأولى من "ساوثامبتون" إلى "نيويورك" في ذلك الشهر ، و لكن صندوق المومياء لم يصل إلى نيويورك أبداً؛ لأنه كان في مخزن الشحن لسفينه "التيتانك" عندما اصطدمت بجبل جليدي ، و غرقت ومعها 1498 راكباً من ركابها في 15 آيار.. لقد حمل البعض تلك المومياء ماحدث لتلك السفينة من غرق.

بدا واضحاً ثقافة الدكتور محمد الموسوعية في تلك الحوادث الغريبة .. لكن الأمر بالرغم من مشابته في بعض أحداثه كان مختلفاً.. لذا قال الدكتور محمود معترضاً:

— لكننا هنا لانواجه مومياء فرعونية .. إنها جثة عادية.. ولو صدّقنا الحكايات التي قيلت عنها ، فهي قد عاشت منذ قرنين على الأكثر ، وليست منذ عهد الفراعنة.

هز الدكتور محمد رأسه بشرود ، و عاد لينهض ، و غمغم :

- إننى أعلم ماتقوله ، وأتفهمه .. إننى فقط أحاول تنشيط ذاكرتى بتذكر تلك الحوادث التى أراها مشابه لما يحدث لكم، وأحاول أن أبحث عن رابط ما قد يفيدنا فى معرفة الحقيقة .

صمت بعدها .. وفجأة ارتفع حاجباه، واتسعت عيناه ؛ كأنما هبط على عقله هاجس ما أزعجه فأخرج غليونه من فمه وسعل ، ثم قال ببطء دون أن ينظر لأعينهم:

- هناك تفسير فكرت به الآن .. لكنى أفضل أن أحتفظ به الآن دون أن أصرح به ؛ فهو مخيف فعلاً ، وأتمنى ألا يكون صحيحاً .  
تطلع إليه الاثنان بقلق ، وقال الدكتور محمود:  
- أى تفسير هذا .. أخبرنا به يا دكتور محمد من فضلك .. لقد أقلقتنا .  
إلا أن الدكتور محمد كان مصراً فقال:

- لن أخبركم به قبل أن أرى تلك الجنة بنفسى ، وأتأكد إن كانت شكوكى صادقة أم أننى أبالغ .. أرجو ألا يضايقكم هذا .. لكن أخبرانى هل من الممكن أن نذهب سوياً الآن للمشرحة لرؤية تلك الجنة .

كان طلباً غريباً لم يتوقعاه ، فالليل قد هبط منذ فترة، وليس هذا هو الوقت المناسب للذهاب للكلية ، فلماذا لا يؤجلون هذا الأمر للصباح ؛ كى لا يثيروا الريبة والشك .. لذا قال الدكتور مصطفى بإحراج:  
- ألا يمكن تأجيل هذا الأمر للصباح .. إن الجنة بالمشرحة، ولن تغادرها حتماً .  
أجابه الدكتور محمد بسرعة :

- فى الواقع لدى شكوك ما ، واعتقد أن رؤيتى للجنة الآن ستؤكدها أو تنفيها .. كما أن الوقت الحالى هو الأنسب لو شئت رأيى ؛ فلا طلاب أو أساتذه هناك الآن ، وبالتالي لن نقابل بنظرات الفضول من أحد ما .

تطلع الدكتور مصطفى إلى الدكتور محمود؛ كأنما يسأله بصمت عن رأيه، فهز الأخير رأسه ببطء موافقاً، فقال الدكتور مصطفى متنهداً :  
-حسناً .. كما تشاء يا دكتور محمد .. لنذهب الآن إلى المشرحة.

**كانت** الشوارع غير مزدحمة فلم تمض ثلث الساعة عليهم إلا وكانوا أمام باب الكلية ..

اتجهوا مباشرةً إلى المشرحة ، وهناك أدركوا أنهم نسوا شيئاً مهماً .. كان الباب الخارجي لها مغلقاً بقفل كبير وليس معهم مفتاحه.. فكيف يدخلون؟ .  
وقال الدكتور محمود بضيق، وقد أدرك تسرعهم:

- يبدو أننا تسرعنا حين جننا إلى هنا دون أن نفكر جيداً .. كان علينا أن نتوقع أنها مغلقة الآن مادام لا أحد يبيت بها .  
لم يُعقب الدكتور مصطفى، وعقله يفكر في حل، أما الدكتور محمد فقد قال بدهشة:

- ولكن منذ متى تغلقون باب المشرحة .. فيما مضى لم يكن هذا يحدث كما أتذكر .. فما الذى تحويه المشرحة غير الجثث كى تخشوا عليه .. لا أظن الجثث المحنطة قد تغرى أحداً بسرقتها.

أجابه الدكتور مصطفى مبتسماً :

- للأسف إن هذا ما حدث بالفعل ، فمنذ أعوام تكررت سرقة بعض أجزاء الجثث ، والعظام من المشرحة.. إننى أعتقد أن الأمر لا يعدو بعض الطلاب المتحمسين للعلم ، ولهذا صار إغلاق الباب فرضاً علينا ، بل وحتى الفترة الماضية كان يجب على أحد عمال المشرحة أن يبيت بها .

ابتسم الدكتور محمد لطرافة الأمر .. طالب يسرق جثة من مشرحة الكلية ليتعلم عليها .. فقال ساخراً:

- يبدو أن طلبة الطب هذه الأيام صاروا أكثر حماساً مما كنا .. ففي أيامنا كنا نتحاشى المشرحة.

ابتسم الجميع، قبل أن يقول الدكتور محمود :

-المهم الآن كيف سنفتح هذا الباب ..سيكون سخيفاً أن نصل المشرحة الآن، ولاندخل بسبب هذا الباب السخيف!

لاح حل ما لعقل الدكتور مصطفى ؛فقال وعيناه تلمعان:

- أظن أنني أعلم أين سأجد نسخة من مفتاح هذا الباب ، انتظرائي للحظة واحدة.

كان يدرك بحكم منصبه السابق كرئيس للقسم أن نسخة من مفتاح باب المشرحة يكون دوماً بحوزة رئيس القسم تحسباً لطارئ ما .. وقد اعتاد هو ومن سبقوه من رؤساء القسم على الاحتفاظ بتلك النسخة الاحتياطية في مسمار بالحائط خلف باب حجرة رئيس القسم.. لهذا صعد إلى غرفة الدكتور نعيم بحثاً عنه.

وجده بالفعل في مكانه ، فعاد إليهم باسماً ، وهو يفتح باب المشرحة به ، ثم دخلوا على الفور ..أضاء المصابيح البيضاء للمشرحة، ثم ساروا نحو قاعة التشريح ..أنارها هي الأخرى ..وتسمروا حينئذ بفرع لماأروه بها.

فأمام أعينهم سبحت في الفراغ أربع جثث عارية معلقة من أرجلها لأعلى ورؤسها لأسفل ،وقد تقاطعت أذرعها على صدورها في وضع المومياءت الفرعونيه المميز ..صنعت الجثث نفس الوضع التي رآه عبدالدايم من قبل.

هذه المرة لم تكن الجثث ساكنه في الفراغ ..بل راحت تدور ببطء كأنما تحركها خيوط خفية ، ورفدت في المنتصف جثة الفتاة بلاغطاء، عارية تماماً هي الأخرى تماماً ..

كان المنظر مفرعاً للغاية ومرعباً ..لذا تراجع الثلاثة للخلف بإضطراب، وقال الدكتور محمود بصوت مرتعش:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..لقد كان العمال على حق ..إنها تسبىح فى الفراغ بالفعل !؟

بينما همهم الدكتور مصطفى بذعر:

- أيفهم أحدكم ما يحدث هاهنا ؟..

لم يجبه أحدهم ،فارتفع صوته فجأة، وهو يقرأ آية الكرسي من سورة البقرة بصوت مرتفع ..وبدا صوته مرتجفاً متقطعاً من الإثارة والفرع.

صمت الدكتور محمد شاهين متأملاً ما يحدث..كانت هذه أول مرة يرى فيها شيئاً كهذا ..لم يكن هذا بالتأكيد من عمل الأشباح أو حتى العفاريت أو الجان.. إن مايدور الآن ضرباً من ضروب السحر القوى للغاية ،سحر لا يقوى عليه إلا القليلون ..إن ما يراه هو شيء أكثر خطورة وقدماءً.. شيء قرأ عنه منقبل ،ولا يتمنى أبداً أن يواجهه أو يلقاه ..

أخذ الدكتور محمد يفكر فى ماعليه أن يفعله ،وهو يغالب شعوراً بالانقباض يضيق به صدره.. وقال الدكتور محمود مضطرباً، وقد لاحظ تجمدهما جميعاً:

-ألن نفعل شيئاً ما ؟..

التفت نحوه الدكتور محمد ،وغمغم بقلق :

-وهل لديك فكرة ما ؟..

-لا أدرى ..ربما علينا أن ننزل هذه الجثث.

تأملوا الجثث المعلقة فى الهواء بصورة تجمد الدم فى العروق، فهز الدكتور محمد رأسه رافضاً الفكرة، وقال، وهو يشير لجثة الفتاة :

-أعتقد أن علينا أن نترك كل شيء كما هو .. لا ندرى ماذا سيحدث لو  
تدخلنا ، وقمنا بأى شيء قد يغيظها ..

وسرت رعدة في جسد الدكتور محمود ، وهو يتخيل أن يحدث شيء ما من  
الجثث أثناء إنزالها ، أو أن تنهض جثة الفتاة فجأة لتعاقبهم ..

فوجئوا في نفس اللحظة بالجثث ، وهي تمبط ببطء إلى طاولتها لترقد عليها  
برفق كأنما تعتنى بها أيد حانية خفية ، قبل أن يهدأ كل شيء .. حُبست الأنفاس ،  
والأصوات ، وكف الدكتور مصطفى عن قراءة القرآن .. وتسمروا جامدين  
بصمت وترقب ، قبل أن يقول الدكتور مصطفى باضطراب:

-والآن ماذا سنفعل ؟

تطلع إليه الدكتور محمد في تردد قبل أن يحسم أمره ، ويتحرك بخطوات تنقصها  
الشجاعة نحو جثة الفتاة قائلاً :

-سأفحص جثتها بنفسى .

بدا رده مفاجئاً أذهلها ..أيرغب في فحص جثة تلك الفتاة بعد كل ماحدث  
.. لا يتخيلان أبداً أن يقدم على شيء مثل هذا ، وخاصة في تلك اللحظة .. هذا  
شيء يحتاج لشجاعة عظيمة أو حماقة لاحد لها ..وأخذاً يتابعان مايفعله بترقب ،  
وكل منهما يتمنى لو امتلك شجاعة الهرب الآن من هنا ..

فتح الدكتور محمد جفنى الفتاة ، وتأمل عينيها البراقنتين الجامدتين قبل أن يخرج  
مصباحاً صغيراً من جيبه ، ويوجه شعاعه الرفيع إلى مقلتيها ، تأملهما للحظة ثم  
أغلقهما .. وقال له الدكتور مصطفى مقاطعاً بتوتر:

-لقد فحصتها بنفسى يادكتور كما أخبرتك من قبل ..إنها بالرغم من كل  
مايحدث تبدو جثة لا حياة فيها .

صاح فيه الدكتور محمد بحزم وعصبية ، وهو يغالب توتره :

-اصمت من فضلك.

وصمت الدكتور على مصطفى على الفور شاعراً بالخجل.. ورأى الدكتور محمد يخرج محقناً صغيراً من جيبه، وأقحمه في ذراعها، ثم سحب المحقن.. كانت هناك دماء قانية تملأه، فاحتقن وجهه بشدة، وهو يقول باضطراب، وهو يقرب المحقن من أعينهم :

-انظروا..إنما دماء طازجة..هل تتخيلون هذا!؟!

تطلع الاثنان بدهشة للمحقن الممتلئ بالدم، وهتف الدكتور محمود باستنكار، وهو يضع يده خلف رأسه :

-دماء طازجة في عروقيها، هذا ليس حقيقاً بلا شك، هذا مستحيل!.

لم يعقب الدكتور مصطفى، وكذلك الدكتور محمد الذى التفت إلى أحواض الماء الرخامية الموجودة بجوانب المشرحة، واتجه إلى إحداها، وفتح الصنبور، ثم ملأ كفه ببضع قطرات من الماء، و اتجه ثانية للجنة، وصب تلك القطرات على كف يديها.. لدهشتهم تصاعد بخار رمادى من الذراع؛ كأنما تتفاعل تلك المياه مع جلدها.. هنا تراجع الدكتور محمد في فزع، فغطى الجنة بسرعة، وهو يقول بلهجة خائفة لم يسمعوها منه من قبل :

-إن هذا ماكنت أحشاه..رحمك يا إلهي!..

قالها، ثم صاح بهما، وهو يهرول مندفعاً للخارج:

-دعونا نخرج من هذا المكان بسرعة.. هيا تحركوا .

هرول للخارج فأسرعاً خلفه يتبعونه بذعر، وهم لا يفهمون مايعنيه، وهتف الدكتور مصطفى به:

-ماذا اكتشفت يا دكتور محمد؟ ولماذا تهرول هكذا؟.

كانوا قد تجاوزوا باب المشرحة في تلك اللحظة ،دون أن يهتم أحدهم بإغلاقها ،ولاحظوا وجه الدكتور محمد المختن ..وسمعه يردد بذعر:

-لقد عبثتم بشيء خطير للغاية .. فحتى الشياطين تخشى ما تواجهونه ..  
يا لكم من تعساء ..بل يالنا جميعاً من تعساء.

تصاعد الجزع في أعماقهم ،وزادت كلماته من توترهم، فقال الدكتور محمود ،وهو يلهث كي يلحقه:

-ماذا هناك يادكتور محمد.. توقف من فضلك لثانية ،وأخبرنا ماهذا الذى تقوله ..لقد أفرعتنا .

كانوا قد ابتعدوا عن المشرحة وتجاوزوا ميناها كله وصاروا في فناء الكلية الآن، فتوقف الدكتور محمد في مكانه، والتفت إليهم قبل أن يقول بصوت غريب، وعيون جاحظة:

-إنها أحد القدماء..أحد الكيانات القديمة تحديداً..ألم تدركوا هذا؟ .. إنها شر حقيقى لا قبل لأحد به على الإطلاق.. إن هلاكنا هذه المرة مؤكداً .. هل أدركتم لماذا ذعرت؟ ..

كانت كلماته مخيفة صاعقة ..

قالها وعاد لخطواته السريعة متوجها للخارج ..

وأسرعوا خلفه واجمين ..

**اشتعلت** عقولهم بالتفكير، وشابت نفوسهم الكثير من المشاعر المتشابهة ما بين الرهبة والخوف؛ مما قد يحدث لهم من خطر، وما بين الحيرة الممتزجة بالإثارة لما رأوه منذ قليل، وما أخبرهم به الدكتور محمد، فجلسوا في السيارة واجميين طوال طريق عودتهم مرة أخرى إلى فيلا الدكتور محمد بالمقطم .. وراح الدكتور مصطفى يقودها بشرود، حتى كاد أن يصطدم بما بالرصيف غير مرة. أخبرهم الدكتور محمد أنه سيفسر لهم الأمر بالفيلا، إلا أن فضولهم اشتعل وتأجج .. وبالكاد كتموا بداخلهم أسئلتهم. ماهذه الكيانات القديمة التي قالها لهم؟.. وما ماهيتها؟.. ولماذا يخشاها الدكتور محمد هكذا ..

إن أحداً منهم لم يسمع عنها شيئاً من قبل.. أتكون خلقاً كالشياطين والجان، أم تكون شيئاً آخر لا يتخيلونه..

ودوا لو يحدثهم الدكتور محمد، ويخبرهم بأمرها الآن، فتناً لفضولهم، وتهدئة لأذهانهم المتوقدة .. لكنه استمر في صمته، فتمنوا لو يعلمون ما يدور بعقله الآن، لكن ملامحه الجامدة حجبت عنهم ما يدور بخلدته؛ فصمتوا، ولم يعد أمامهم إلا أن ينتظروا وصولهم لفيلته؛ كي ييوح لهم بما يعرفه كما وعدهم..

ظل الدكتور محمد صامتاً في وجوم دون رغبة حقيقة في الحديث .. لو يعلم أن هذا ما يواجهه في البداية ما اشترك في الأمر أبداً .. لقد شاهد الكثير، وتعلم الكثير في حياته.. وتعلم درساً مهماً للغاية..

هناك أشياء في هذا العالم إياك أن تعبت معها ، أو تقرّبها .. فالعيب معها قد يساوي ما هو أكثر من حياتك نفسها .. وهاهو قد تورط في أبشع تلك الأشياء الخطيرة، ولم يعد أمامه إلا أن يدعو الله أن يرحمهم جميعاً .  
وصلوا الفيلا فدخلوها واجمين ، واتجهوا مباشرة إلى الصالون؛ حيث جلس الدكتور محمود والدكتور مصطفى .. أما الدكتور محمد فقد اتجه إلى المكتبة، قبل أن يعود بمجلد جلدى ضخيم قديم .. وضعه أمامهم على طاولة خشبية تتوسطهم .. لاحظوا أنه مكتوب بخط اليد بلغة خمّنوا أنّها لا بد أن تكون اللاتينية .. قرءوا العنوان المدون عليه فلم يفهموا شيئاً ..

## Pluralitas ad senem Historiasive maledictio

التفت الدكتور مصطفى إلى الدكتور محمد، وأشار للعنوان وقال:

- ما الذى يعنيه هذا ؟! ...

نطق الدكتور محمد الكلمات المكتوبة، ثم ترجمها قائلاً:

- إنّها تعنى الكيانات القديمة .. تاريخ لعنتهم .. إن هذا هو العنوان الأصلى لهذا الكتاب .. لكنه اشتهر فيما بعد ب(كتاب اللعنات) .

تأمل الدكتور مصطفى الكتاب البنى المدبوغ البادى الأصالة والقدم بإعجاب ، وقال :

- أعتقد أنه نسخة أصلية ؟.

- هذا صحيح .. إنه نسخة أصلية بالفعل .. بل ولا يوجد في العالم أجمع إلا نسخة أخرى غير هذه .. لكن لا أحد يدري بالتحديد أين تكون النسخة الأخرى تلك ..

وصمت للحظة ليتركهم ، وتأملاتهم في الكتاب ، ثم أكمل :

- لقد كلفني هذا الكتاب ثروة حتى استطعت أن أجلبه إلى هنا .. إنه كتاب  
خطير للغاية ، وهناك من قد يفعل أى شيء للحصول عليه ..  
قالها ، وابتسم ، وهو يلاحظ القطة التي غادرت الغرفة ما إن أخرج الكتاب من  
مكمنه ، وسمع الدكتور محمود يقول له :  
- ولماذا تحتفظ به مادام خطيراً ، وما دام هناك من قد يتعقبه .  
- لأنني لا أقدر على التخلص منه .. فما به يستحق أن أجازف باقتنائه ..  
وأيضا لا أستطيع أن أتضمن عليه أحداً ما لأهبه إياه .. هذا كتاب لا يستطيع المرء  
أن يتخلص منه ببساطة .  
ثم تراجع على كرسيه ، والتقط غليونه من فوق المنضدة المجاورة لمقعده ، وقال :  
- إن لهذا الكتاب قصة مثيرة ، وكذلك حصلت عليه بقصة مثيرة أخرى .. لقد  
كان دوماً كتاب اللعنات ، والدم بالفعل .  
غمغم الدكتور مصطفى ، وعيناه تنتقل بين الدكتور محمد وبين الكتاب :  
- وهل هو كتاب للسحر مثلاً ؟ .. أم أنه يحتوي على قوى خفية ما ؟  
- لا هذا ولا ذاك على الإطلاق ؛ فبالرغم من أنه يحوى الكثير من الطقوس  
السحرية ؛ فإنه لا يختص بالسحر أبداً .. إنه كتاب عنهم .. كتاب عن القدماء !  
شعروا بالدهشة من لهجته الغامضة ؛ فنظروا إليه بترقب ، فأكمل بعد أن أشعل  
غليونه ونفث من فمه بعض دخانه :  
- إن عمر هذا الكتاب كبير للغاية ، فقد وُضع في القرن السادس  
الميلادى ، كتبه راهب روماني يدعى " ارتيماتسوس كالاميتاسيس .. يقولون إن هذا  
الراهب كان معنياً بكائنات الظلام والشياطين .. ويبدو أنه كان أحد القليلين  
الذين تعاملوا مع الكيانات القديمة ..

قام هذا الراهب بكتابة أربع نسخ من الكتاب بخط يده ، لكنها اختفت جميعاً فور كتابتها.. بل ووجدوا الراهب نفسه بعد أن فرغ من كتابتها مصلوباً محروفاً ومشوهاً فوق أحد أبراج كنيسته التي عاش فيها، الغريب أن الراهب بالرغم من إصاباته المميتة ظل حياً بعدها لأيام يغالب آلاماً لا حد لها، ويعاني عذاباً لا يحتمله أى مخلوق، دون أن يقدر أحد على نجاته، إلى أن مات فالتهمته الجوارح.. يبدو أن موته هكذا كان عقاباً شنيعاً له عن تدوينه لهذا الكتاب.

لم يعلم أحد من فعل هذا به.. وكيف رفعه هكذا فوق البرج العالى فى موضع المستحيل أن يصل إليه أحد..

اختفى الكتاب بعدها تماماً، ومنع الرهبان محاولة البحث عنه ،أو تداوله لما زعموه عن حياة ذلك الراهب الذى كتبه ،والذى اتهم سراً بممارسة السحر والهرطقة، والاتصال مع الشياطين ..

مع الوقت نسى الكثيرون الكتاب ،حتى عدّه البعض من الأساطير والاختلافات.. لكن كان هناك دوماً من علم بأمره وحازه طوال الوقت.. إن بعضهم حتى الآن مازال يعلم بأمره ،ولا بد أنه يبحث عنه الآن محمواً.

شعر الدكتور مصطفى ببعض المبالغة فى تلك القصة ؛فقال معترضاً:

-أعتقد أن هناك بعض المبالغات فى أهمية هذا الكتاب، أو ظروف نشأته .. بالطبع لا أتهمك يادكتور محمد باختلاق ماذكرته ..لكننى أعلم أن العصر الذى كتب فيه الكتاب كان مليئاً بالخرافات ،والاتهامات الباطلة ، وكان أشهرها اتهام أى أحد ما مختلفاً أو غريباً بالهرطقة ،وممارسة السحر بل وقتله من أجل هذا.

أجابه الدكتور محمد بثقة :

-لكن هذا الكتاب مختلف بحق ..لقد قرأته مراراً، وأجزم أنه بعيد كل البعد عن الاختلاق والتزييف..

-وكيف وصل إليك الكتاب إذاً مادام قد إختفى لقرون كما تقول؟.

سأله الدكتور محمود ، فأغمض عينيه كأنما يتذكر ، وقال :

-لقد علمت وجوده للمرة الأولى من خلال أحد أستاذة علوم ما وراء الطبيعة الروس .. يبدو أنه قد توصل بوسيلة ما إلى معرفة مكان إحدى نسخه في أحد الأديرة المجهورة" بسبيريا"؛ فاحتال حتى يحصل عليه ، كنت أدرس في ذلك الوقت بموسكو .. وفوجئت به ذات ليلة في مسكني ، ومعه الكتاب .. كان فرعاً مضطرباً، وأخبرني باقتضاب أن أحتفظ به ، وأن أخفيه تماماً عن الأعين ، وألاً أخبر أى مخلوق عنه .. طلب مني كذلك أن أعود به إلى مصر في أقرب وقت ممكن مؤكداً أنه سوف يستعيده مني حينها بوسيلة ما لو لم يصلوا إليه .. قالها وانصرف في عجلة دون أن يفهمنى من هم الذين يطاردونه ومما يخاف بالضبط .. بالطبع شعرت أنه مطارد وخشيت أن يكون قد تورط في جريمة ما مع السلطات الروسية ، ولم أكن أرغب بالطبع في التورط أنا الآخر معهم لأى سبب كان ، إن الروس ليسوا لطفاء أبداً مع من يختلف معهم لو عايشتهم .. إلا إننى بالرغم من هذا لم أملك أن أرفض الكتاب ..

بعدها بيومين علمت أنهم قبضوا عليه، وأرسلوه إلى " سبيريا" ، كما اعتاد الروس أن يفعلوا مع المعارضين .. شعرت بالخطر حينها وفكرت في التخلص من الكتاب كى لا يعثروا عليه معى لو عملوا منه أنه قد أعطاه لى ؛ لكننى تذكرت تحذيره لى من فقد الكتاب ووصيته بالحفاظ عليه، فقررت حينها العودة إلى مصر، ولا أخفى عليكم كيف استطعت بمعجزة تهريب هذا الكتاب من روسيا عبر الحدود، وكم دفعت من أجله.. لكن بعدما قرأت هذا الكتاب وطالعت مابه أستطيع أن أجزم أنه يستحق ما عانته في جلبه إلى هنا.

تطلعا بدهشة للكتاب بلونه البنى المدبوغ، وتحسساه بأيديهما؛ فشعرا بغرابة الورق المصنوع منه، فقال الدكتور مصطفى وهو يتحسسه مرة أخرى:  
- مما صنع ورق هذا الكتاب؟ لا أظن أنه البردى، أو جلود الحيوانات.  
غمغم الدكتور محمد بغموض:  
- خمننا؟

تحسساه بتدقيق، ولكنهما فشلا في التخمين.. في النهاية قال الدكتور محمد بهدوء:

- إنه مصنوع من الجلد البشرى.. جلد الموتى تحديداً، ظننت هذا واضحاً لكم وأنتم تتعاملون مع الجثث طوال الوقت.. يدهشني أنكم لم تتعرفوه في البداية.  
أبعدا يديهما عنه بتقزز، كالملسوعين على الفور، وقد ارتسمت على وجوههم نظرة استنكار ونفور، وهتف الدكتور محمود بتأفف وهو يتأمل يده التي لامست الكتاب؛ كأنما خشى أن يلتصق شيء ما بها:  
- ياللبشاعة.. لا أدري كيف تقبل أن تقبني شيئاً مثل هذا.. هذا شيء مبالغ فيه حقاً!...

أجابه الدكتور محمد ببساطة:

- ألا تعلم يادكتور أن كل كتب السحر المكتوبة باللاتينية في تلك العصور قد كتبت على ورق من الجلد البشرى.. لقد اعتقدوا دوماً أن كتابة السحر على جلد الموتى يكسب الطقوس قوة لا حد لها.. في الماضي كان كافياً أن تحوز كتاب كهذا؛ لأن تُعدم بأبشع وسيلة ممكنة دون محاكمة حقيقة.  
- أظن إنني قرأت شيئاً كهذا من قبل.. الأمر يتعلق بمحاكم التفتيش على ما أتذكر.

قالها الدكتور محمود ،وهو ينظر إلى الكتاب المفتوح ،فأوماً الدكتور محمد موافقاً، وعقب قائلاً :

-هذا صحيح ..لقد حاربت الكنيسة في ذلك الوقت كل شيء .. العلم والفنون ،وبالطبع السحر بتهمة الهرطقة ،ومحاربة الكنيسة ،والاتصال بالشياطين ..لقد مات الالاف من أجل هذا بالحق حيناً والباطل أحياناً، إن هذا أحد أسباب تسمية تلك العصور بالعصور المظلمة .

وفتح الكتاب بعدها ،وأخذ يبحث بداخله عن صفحة ما ،وقال :  
-دعونا من هذا الآن ...فلقد جلبته ؛لأشرح لكم ما نواجهه.

وقلب صفحات الكتاب ثم استقر على صفحتين من الكتاب .. في الشمال كانت هناك الكتابة اللاتينية ،وفي اليمين كان هناك رسم بخطوط سوداء غير ملونة تمثل رجلاً طويلاً يقف فوق تبة مرتفعة قليلاً وممتسماً ابتساماً مخفيةً ،وفي يده اليسرى امتدت سلاسل معدنية تنتهي بقيود لكائنات مخيفةً مربوطة بحلقات معدنية حول أعناقها ،كأطواق الكلاب التي نستعملها الآن .

بدا الفزع على هذه الكائنات المقيدة ،وأبصارها شاخصة بفرع نحو الرجل الذي يقيدها .. كان الكائن الأول يمثل رجلاً منحني الظهر نحيل الجسد ،وكان رأسه رأس جدى ينتهي بلحية طويلة، وعلى جانبي رأسه قرنان غير كاملي الاستدارة، بجواره مباشرة قبع مخلوق آخر بملامح بشرية، لكن وجهه كان كبيراً مقارنةً بجسمه بعض الشيء، وكان فمه مفتوح عن آخره، واسعاً مظلماً كالمغارات ،وقد سألت بعض الدماء من جانب فمه.. أما الكائن الثالث، فكان في هيئة امرأةً طويلة، بشعر طويل للغاية، ولكن مقلتيها كانتا سوداوين تماماً بلا ألوان أخرى، وفي آخر اللوحة كان هناك رجل ضئيل للغاية منحني حول نفسه في وضع جنيني برعب .

صورة مخيفة للغاية، ودقيقة جداً، رسمتها أنامل بارعة، نجحت في أن تنقل إليهم شعوراً مبهماً بالفزع، وقال الدكتور محمد، وهو يشير إليها شارحاً :

- هكذا تخيلوا القدماء أو الكيانات القديمة فيما مضى .. لقد ظنوهم السادة الحقيقيين على هذا الكوكب .. فكما ترون في هذه الصورة المخيفة، فإن ذلك الرجل المنتصب ذو النظرة الظافرة الصارمة هو أحد القدماء .. لم يكن مسخاً أو حيواناً أو حتى شيطاناً.. فقط كان شكله بشرياً تماماً، وقد راح يتحكم في الكائنات الأخرى، ويذلها.

إن الرجل الذى ترونه برأس التيس هو الشيطان كما تخيلوه ، وتلك المرأة هى الجان أو الساحرات كما إعتقدوا.. وذلك الرجل الضئيل هو الإنسان الحقيقى الضعيف .. وأخيراً فذلك الكائن ذو الرأس الكبيرة يمثل الوحوش ، أو ربما رمزوا به للغيلان مثلاً .. المهم أنهم هنا يريدون أن يخبرونا أن القدماء ذوى قوة مريعة، وأن الكل يخشاهم ، وأنهم هم السادة الحقيقيون على ظهر هذا الكوكب.

إعتدل بعدها على كرسيه ثم النفث إليهما، وأخذ نفساً عميقاً من غلبونه قبل أن يكمل، وهو يترك الكتاب على الطاولة أمامة مفتوحاً كما هو :

- فى الواقع إن القدماء أو الكيانات القديمة ظلوا دوماً مثار اهتمام الكثيرين طوال الوقت ،ربما لغموضهم ،وربما لكثرة الأساطير المنسوجة حولها .. البعض يتحدث عن أنهم أول الكائنات خلقها الله لتعمر الأرض؛ لكنها كانت قاسية كافرة عصت الله، وقامت بأعمال شريرة للغاية للدرجة التى استوجبت أن يرسل الله عليهم ملائكة لتدميرهم وتشبيبتهم ..

طبعاً هناك بعض الإشارات لشيء مثل هذا فى الكتب المقدسة؛ فقد تم ذكرها فى القرآن والتوراة، وإن لم تحدد اسمها .. البعض الآخر أشار إلى أنها كانت إحدى التفسيرات لنشوء فكرة الآلهة الوثنية .. هل كانت الآلهة الوثنية كائنات قديمة

أبجرت البشر ،وأفزعتهم بقوتها وقدراتها المخيفة مقارنةً بضعف البشر ، فعبدها  
البشر اتقاءً لشرها ،ولنبيل رضاها ؟ .. شيء محتمل ..

هنا قال الدكتور محمود مقاطعاً ومعتزاً على الفكرة:

- وهل يعبدهم البشر فقط لأنهم يخشونهم ويخافون شرورهم ؟ .. ألا ترى أن  
هذا الحديث يحوي مبالغة بعض الشيء ؟

- لقد جافيت الحقيقة يادكتور محمود هذه المرة .. لقد عبد البشر دوماً كل  
شيء يخشونه أو يجهلونه .. عبدوا السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم  
والبحار والجبال والحجارة والأصنام والحيوانات ؛ كما عبدوا ملوكهم ، وكهنتهم  
أحياناً .. فليس غريباً أن يعبدوا هؤلاء ، وقد رأوا قوتهم ..

تفهم الدكتور محمود الأمر ، واكتفى بجز رأسه ، فأكمل الدكتور محمد:

- بالطبع كانت الكيانات القديمة ، أو القدماء مثار اهتمام الباحثين في قوى  
السحر والخوارق دوماً على مر العصور .. البعض تحدث عن كتاب فرعونى قديم  
يتحدث عنها بصورة تفصيلية .. لكن أين هذا الكتاب ، ولماذا اختفى وما اسمه ؟  
.. لا أحد يملك الحقيقة ..

هتف الدكتور مصطفى بجذر:

- ربما كانوا يقصدون كتاب "أينوخ" .. لقد سمعت عن هذا الكتاب من قبل ..  
- ربما .. أن "أينوخ" هو كتاب سحر شهير ترجمه الساحر البريطاني الأشهر  
(دانييل دي) .. الكتاب منسوب للفرعنة وكهنتهم ، ومن المفاهيم الأساسية فيه ،  
أن هناك عشرين شيطاناً جاءوا الأرض ، وتزوجوا بنات البشر فأنجبوا ذريةً مخيفةً  
.. يقولون إن أفراد هذه الذرية كانوا  
متقدمين علمياً جداً عن الآخرين ، وقد صنعوا أسلحةً متقدمةً متقنةً ، ومجوهراتٍ

عجيبةً، كما أنهم كانوا يقتاتون على الدم.. هل كان هؤلاء الشياطين العشرين هم القدماء .. من يدري؟..

في القرون الوسطى شاع ذكرهم في بعض كتب السحر اللاتينية، ولكن كالعادة كانت كلها إشارات مقتضبة لا تعنى ولا تثنى من جوع .. إلى أن نأتى إلى أكثر من تحدث عنها، وأكثر من كتب عنها .. المفارقة هنا أنه كان عربياً هذه المرة .. كان يدعى عبدالله الحظرد.. زعموا أنه كان شاعراً يمينياً قد اشتغل قديماً بالسحر وتعلق بالقوى الخفية.. بالمناسبة هل سمعتم عنه من قبل؟..

تطلعا إليه بدهشة، وتبادلا النظرات .. ثم هزا رأسيهما نغياً.. فأكمل :

-المفترض أنه شاعر عربي ولد في صنعاء...لقبه البعض بالشاعر المجنون لعجب أفعاله وغرابتها..تعلم السحر، وادعى إنه اتصل بالكائنات القديمة، ليؤلف بعدها كتاباً شنيعاً عن الكيانات القديمة مؤكداً وجودها ، واصفاً بدقة كيفية استحضرها والاتصال بها .. الكتاب اسمه " العزيف"، وحين تمت ترجمته إلى اللاتينية صار اسمه" نيكرونوميكون" ..

بالطبع وقبل أن أتحدث عن الكتاب يجب أن تعلموا أنني لم أحصل على أى إفادة عن حقيقة هذا الشاعر العربي حين حاولت أن أتتبع وجوده في كتب التراث العربي، فلاذكر له على الإطلاق في كتب التراث العربي، ولا آثار شعرية باسمه .. إنه في التراث العربي كأنه العدم.. لم يوجد قط ..

الغريب أن أول من ذكر هذا الشاعر كان كاتب الرعب الأمريكى "لافكرافت"..حيث ذكر كتابه في الكثير من قصصه.. هل كان هذا الشاعر من بنات خيال ذلك الكاتب الأمريكى الموهوب ..مرة أخرى نحن نلعب في منطقة لا شيء فيها يقينى.. فكل شيء يحتمل طرفي الحقيقة.

وصمت مرة أخرى .. كانت القهوة أمامه، وقد قدمتها إليهم مديرة المنزل، فارتشف رشفةً منها، وأعاد الغليون لقمه، وسحب نفساً طويلاً ثم أطلقه ببطاء، وأكمل :

- هذا عن الكاتب فماذا عن الكتاب .. إن اسمه في اللاتينية يعنى أشياء كثيرة، مثل كتاب الموتى .. كتاب أسماء الموتى .. كتاب تصنيف الموتى .. أسماء مخيفة كما ترون .. ي قولون إن الكتاب تبلغ عدد صفحاته حوالى 900 صفحة في سبعة أجزاء .. طبعاً التسمية العربية الأصلية "العزيف " تعنى في العربية الأصوات التي تصدر ليلاً من الحشرات، والتي كان يعتقد العرب أنها أصوات الجن والشياطين.

تمت ترجمة الكتاب إلى الإغريقية بواسطة "ثيودور فيلاتاس"، وأخذت اسم "نيكرونوميكون" من وقتها.. تم إحراق هذه النسخة (بعد محاولات من قبل البعض لعمل أشياء مريعة) بواسطة البطريك "مايكل" الأول في عام 1050م. ويذكر "لافكرافت" أن النسخة اللاتينية ظهرت مجدداً في القرن الخامس عشر في ألمانيا، والقرن السابع عشر في إسبانيا، وظهرت النسخة الإغريقية في القرن السادس عشر في إيطاليا. ويعتقد أن الساحر "جون دي" قام بترجمة الكتاب إلى الإنكليزية إلا أن "لافكرافت" قال أن الكتاب لم يطبع أبداً. ويزعم البعض أن هناك نسخة وحيدة متبقية في مكتبة الفاتيكان.

أما النسخة العربية فقد اختفت تماماً من الوجود في الوقت الذي مُنعت فيه النسخة الإغريقية من الكتاب. حيث بحث عنه "إدريس شاه" في جميع المكتبات العربية والهندية، ولم يجد له أثراً. ويذكر "لافكرافت" أن النسخة العربية من الكتاب ظهرت في القرن العشرين "بسان فرانسيسكو" إلا أنها أُحرقَت فيما

بعد. يقال كذلك بأن الكتاب ترجم إلى العبرية على الأرجح في عام 1664م بواسطة "ناثان غزة" وسُمي "بسيفر هاشاري حداث" أي كتاب بوابات المعرفة. والكتاب على عكس ما يعتقد ليس بكتاب سحر بل تأريخ للكيانات، والحضارات القديمة، والعديد من الأحداث التي تم التلميح لها في القرآن، و في سفر التكوين، وكتاب "أينوخ" الفرعوني، وبعض الأساطير القديمة..كلها تتحدث عن الكائنات القديمة التي سكنت الأرض قبل البشر..وأنها تعيش وراء هذا العالم..وأنه يمكن الاتصال بها، وأنها تسعى دوماً للعودة إلى الأرض لاستعادتها من البشر بعد التخلص منهم.

أيضاً يذكر الكتاب كيف أن هذه الكائنات اتخذت هيئة البشر بل، وأيضاً تزوج بعضها من البشر؛ ليتكاثروا لأن أعدادهم قليلة للغاية .

كل هذا حتى الآن كلام مرسل..حتى الكلام الذي قيل عن قيام الساحر الريطاني الشيطاني "كروالى" باقتباس الكثير من كتابه البشع في السحر المسمى بالقانون من ترجمة دى لكتاب "النيكرونوميكون".

صمت مرةً أخرى وابتلع ريقه ، وهو يترقب تأثيره على نفوسهما قبل أن يقول مبتسماً، وهو يشير إلى الكتاب المفتوح أمامهم :

- بالطبع يتبقى هذا الكتاب الذى يتحدث عنهم بصورة أكثر تفصيلاً ..هيئتهم ..الاتصال بهم ..أعمارهم ..بل وكيفية مواجهتهم ..من الغريب أن أن شهرته أقل بكثير من عزيز ، بالرغم من الفرق الجلى فى الكتابين ..إن عزيز كتاب شهرته أكبر بكثير من قيمته الحقيقية ، وهذا كتاب قيم بحق لكن بلاشهرة.. فى الواقع إن هذا أمر رائع ، فلا يجب أبداً أن يعلم الكثيرون أو يتحدثوا عن هذا الكتاب.

كانت أنفاسهم محبوسة من الإثارة .. وهم يستمعون إلى كم المعلومات الذى ينثال على آذانهم .. هناك أشياء أخرى فى العالم يجهلونها بشدة .. ربما كان هذا ؛ لأنهم لم يتخيلوا وجودها قط ..

كيف ومتى عرف هذا الرجل كل هذه المعلومات الغزيرة، ومن أين استقاها؟ ..  
وغمغم الدكتور مصطفى بصوت مبحوح من الإثارة :  
- لكنك لم تجربنا كيف عرفت أن هذه اللجنة لأحد هذه الكيانات القديمة كما تسميهم ؟.

- هناك أشياء تميزهم .. إن هيتهم بشرية تماماً .. أعمارهم طويلة للغاية حتى إنها تتجاوز آلاف السنين .. ما أمامكم ليست جثة ميتة .. بل إنها أحدهم ، لكنها فى سبات عميق .. شيء يشبه البيات الشتوى الذى تمارسه بعض الحيوانات .. لكنه هنا قد يصل لعدة قرون ..

لو لاحظتم فالجنة لم تتحلل على الإطلاق ، ولم يظهر عليها أى عامل من عوامل التحلل .. إنها تبدو كفتاة نائمة لا أكثر .. ثم إنكم قد حقنتموها بالفورمالين لحفظها .. وكما رأيتم ، فإن جسدها قد لفظ هذا الفورمالين من خلال مسامه ، حتى أن عروقتها مازال بها دماء كما رأيتم حين سحبت بعضه بالحقن .. هل لاحظ أحدكم الرائحة الزكية المنبعثة منها .. إنها من مميزاتهم .. أنهم فى غاية الرقى ، وليسوا متوحشين بدائين كما قد يتوهم البعض .. كما أن أجسادهم فى حاله الثبات تطرد المياه عنها ، وتبخره كى يبقى الجلد جافاً دائماً .. لقد رأيتم كيف تصاعد البخار منها ؛ حين وضعت قطرات الماء عليها .

- هل تعنى أنها حية ، وتدرى بما يحدث حولها .

قالها الدكتور مصطفى بحيرة ، فأجابته الدكتور محمد :

- ليس بصورة كاملة.. إنها مازالت في مرحلة الثبات.. شئ كالنوم أو الخدر عندنا مثلاً.

-ولماذا لم تفق بعد، وتعلن عن نفسها إذا.. هل هي بانتظار شئ ما؟  
-إنها مازالت تحت تأثير بياثها الطويل هذا .. إنه ليس نومنا الذي نألفه، والذي يكفي فيه مؤثر ما، لتستيقظ منه .. إنه طقس سحرى قوى ، ولا بد من طقس مقابل له كى تفيق .. لكنها بالرغم من ذلك ليست معزولةً بالكامل عن العالم الذى يحيط بها .. فهى تتأثر بما يحدث حولها بصورة ما .. وحين الخطر هى قادرة على حماية نفسها بصورة تفوق تخيلكم .. إن ما يحدث لها الآن يشبه حلم حلمه، ولكن نظراً لقواها الخارقة ، فالكثير مما تحلم به تحققه فى الواقع ..  
هل قتلت فى حلمها تلك الطالبة .. ربما هذا ما حدث .. وهل قتلت الطبيب الشاب كذلك؟ .. احتمال مؤكد .. فهو كما ذكرتم كان يهتم بتشريح جثتها، وكان عليها حماية نفسها منه .. لماذا تراءت لعمال المشرحة .. ربما تتسلى بارهاجم أو تحذرهم منها .. لاحظوا أن كل هذا الرعب الذى تعيشونه، وهى لم تفق بعد من سباتها هذا؛ فماذا ستفعل بكم لو كانت يقظة واعية؟ .. إنني أترك هذا لخيالكم! .

كان تفسيراً خفيفاً لما يحدث .. وغمغم الدكتور محمود ، وهو يزدرد لعابه بصعوبة :

-هل تعنى أن هناك احتمال لأن تفيق من سباتها كما تقول؟  
-إنها فى سبيلها لهذا بالفعل .. لقد بدأت منذ البداية فى ممارسة طقوس العودة .. إن القدماء اقبوا لل غاية وليسوا بحاجة لمن يقوم بعملهم بدلا منهم .. إنها من قامت بطقس البيات الطويل وهى أيضا من تقوم بإعداد العدة لطقس العودة.

وشعر الدكتور محمود بجفاف في حلقه، من هول الفكرة المفزعة ، فقال وهو  
يبتلع ريقه بصعوبة :

-ماذا تعنى أنها تمارس طقوس العودة؟.. إن كلماتك تثير الفرع حقاً في نفسى.  
-وهل يمكنى أن ألومك على فزعك؟! .. ذلك الطقس يسير على قدم وساق  
منذ البداية .. ألم تلحظ حين قمت يادكتور محمود بتشريح جنثى الفتاة والطبيب  
أثما خالية من الدماء ..إنها بحاجة لدم بشرى .. البعض يتحدث على دماء  
بشرية لثلاثة بالغين، والبعض يتحدث عن أكثر ، لقد ذكر كتاب اللعنات هذا  
الأمر وفصله كثيراً..

-ولماذا تحتاج إلى كل هذه الدماء؟.. هل تتغذى عليها مثلاً؟.

سأل الدكتور محمود ،فصمت للحظة ثم أجاب ببطء:

-ربما.. وربما كانت تحتاجها لتجديد دمائها مثلاً .. لقد حصلت بالفعل على  
دماء بشريين ،ولن يكون عسيراً عليها أن تحصل على دماء ثالث أو أكثر .. أيضاً  
هناك الجثث المخلقة حول جسدها.. لو لاحظتم كانت الجثث ترسم أضلاعاً خفية  
لمربع ..هنا هي بحاجة إلى جثتين أخريتين ليكونوا ستة .. وما يستحق الرعب من  
هذا، هو من سوف تختاره، وتقنتله لتكمل طقوس عودتها .. إن كل واحد احتك  
بها ،أو آذى جسدها هو ضحية محتملة لها ..وكلنا كما ترون قد فعل ..ولهذا قد  
تختار أحدنا ..فلا أحد يعلم مايجول برأسها ، وفيما تفكر.

وقال الدكتور مصطفى هذه المرة بصوت مخنوق:

-ولماذا يجب أن تكون الجثث ست ..بل ولماذا تلك الجثث في الأساس .. لا  
أعتقد أنها ستتغذى عليهم مثلاً .

ضحك الدكتور محمد ،وأجاب:

-الطقوس تتطلب جثثا ستة .. كل واحدة منها في رأس من رءوس نجمة سداسية .. نجمة داود لو شتمت الدقة ..أعتقد أن النجمة السداسية، ولأدري في الواقع لماذا نجمة داود وليس النجمة الخماسية التي تملك قوى سحرية ما، والتي يزعم هذا كل من عمل بالسحر والخورق.. أما لماذا الجثث فلان الطقوس لا يشهدها الأحياء، لابد من ضحايا وقرابين كي تتم الطقوس بصورة سليمة. وغمرهم الصمت للحظة قبل أن يقول ثانية:

-بقى شيء أخير.. يجب أن تمر عليها دورة قمرية كاملة ؛كي تتم الطقوس، ولو كانت المواعيد التي أخبرتموني بها دقيقة، فهذا يعني أن الطقوس ستكتمل بعد غد مساءً ..حينها سوف تفيق ولا أريد في الواقع أن أتخيل ماسيحدث بعدها معنا ؟ .

رمقوه بوجوم ويأس،وهم يتخيلون الفوضى التي سوف تحدث لو استيقظت هذه الفتاة من سباتها .. وقال الدكتور مصطفى بصوت مرتجف:  
-لكن ألا يمكن إيقاف هذه الطقوس، أو تعطيلها مثلا، أو حتى القضاء على الجثة نفسها بوسيلة ما.. يمكننا أن نحرقها مثلا، أو نذيبها في الحمض.

عدّل الدكتور محمد من وضع غليونه ، وثبت نظره على عينيه وأجاب بهدوء:  
-يبدو أنك ياسيدى لم تعي ماذكرته عنهم ..إنهم مختلفون تماماً عنا ، ولايمكن القضاء على أحدهم بطرقنا المعهودة، نحن كبشر أضعف من أن نقوم بشيء كهذا ..لاحظ أنهم يمتلكون قوى خارقة حتى بالنسبة للشياطين ، وكائنات الظلام الأخرى ..كما أن قدراتهم هائلة في الحفاظ على أنفسهم من أى سوء. لا تنتظر أن تؤثر النيران أو الحمض على اجسادهم أو حتى أى شئ أرضى آخر .  
وازداد إحباط الدكتور مصطفى ،فتتمت بعجز:

-هذا يعني أنه لا أمل إذاً ؟

-أنا لم أقل هذا ..إني أفكر في طقس مضاد قد دُكر بكتاب اللعنات ، قد يعطل طقس العودة هذا .. لكنني لست متيقناً إن كان هذا الطقس حقيقى أم أنه مجرد هراء .. لسوء حظنا أن الكتاب لم يذكر إن كان أحد قد قام من قبل بهذه الطقوس أم لا .. لهذا فليس أمامنا إلا أن نجرب ، ونتحمل النتيجة كاملةً ، حينها ربما ننجح ، أو نهلك لو فشلنا ..

ثم أغلق الكتاب ، وتهدد قائلاً بصوت غريب مرتفع:  
-والقرار لكم الآن ، وقد أخبرتكم ما أعلمه ، وما نواجهه .. فماذا أنتم فاعلون؟  
امتقتت وجوههما ، وتبادلا النظرات الحائرة ، دون إجابة.

فى نفس الوقت كانت هناك أشياء مثيرة تجرى فى المقطم  
كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل ببضع دقائق.  
إنه بيت الشيخ عبدالعاطى ..

ولم يكن الرجل بمفرده فى المنزل .. كان قد أقنع إحدى زبائنه التى جاءت به بضع  
مرات ؛كى يجد لها حل ما لزوجها الذى هجرها وطلقها .. ليتزوج أخرى، أن  
تقضى ليلتها ببيته معه ..

كان الرجل قذراً، لا يتوانى عن فعل أى من الموبقات مادامت سترضيه،  
وترضى شهواته ..

فالرجل قد بدأ حياة قواداً بشارع الهرم .. ليتحول بعد سجنه إلى لص .. ثم  
أطلق لحيته بعد أن خرج من السجن مرة أخرى وتحول لمهنة أخرى .. صار  
نصاباً هذه المرة وقد عمل دجالاً.

سكن فى مكان جديد مغيراً اسمه إلى الشيخ عبدالعاطى، مقنعاً الجميع أنه ببركة  
الأولياء، صار قادراً على تسخير ملوك الجن، وأنه قادر بإذن الله على قضاء  
كافة الحوائج، وحل كل المصائب .. كان قد تحول بسهولة من قواد إلى لص  
، وأخيراً إلى نصاب ودجال .. لكنه ظل كما هو، لا يتورع عن فعل أى من  
الموبقات ولا يتناهى عنه ..

كانت المرأة البيضاء البدينة بانتظاره داخل حجرته وقد تخفتت من الكثير  
مما تلبسه وإرتدت قميص نوم أحمر فاقع لونه .. بينما كان هو بالخارج جالساً  
على بساط مفروش بالصالة، وأمامه لوازم طقوسه التى يقوم بها فى كل مرة يكون  
لديه واجب منزلى؛ كما يجب أن يطلق على السيدات اللاتي يعاشرنه .

الطقوس المعتادة كانت قطعة أفيون مُرةً يضعها تحت لسانه، ويمتصها ببطء لتصفية دماغه، كيلو من الكباب والكفتة أو دجاجة مشوية كاملة، لشحن طاقته.. وزجاجة بيرة لتنشيط دورة الدموية.. وفي النهاية حجر من الشيشة الممزوجة بالحشيش.

كان جالساً يأكل بتأن، وهو يفكر في اللحظات السعيدة القادمة.. ومن الداخل أتاها صوت المرأة رفيعاً رقيقاً، مائعاً ومنادياًً بشبق:

-ألن تات ياشيخ عبد العاطي..لقد تأخرت يا رجل!..!

أطلق ضحكةً خشنَةً، وهو يرد:

-اصبري على رزقك يا امرأه، ولا تتعجلي.. إنها بضع دقائق فقط وسأتيك؛ لأعلمك أسرار ملوك الجان كلها.

أجابته بضحكة مائعة؛ فابتسم برضا عن نفسه..وأخذ يكمل طعامه.

تحركت عيناه نحو آخر الصالة في منزله، فرأها تختفي في الظل، وجل قلبه للحظة، وهو يتساءل من هذه، وكيف دخلت منزله؟..

هل نسي أن يغلق الباب؟..

بنعومة وتؤدة تقدمت نحوه، ليكتشف بعد ثوان بعد أن دخل وجهها دائرة الضوء أنه أمام امرأة فاتنة للغاية..سبقها لأنفه عطر مثير أخاذ تفاعل مع الأفيون الذي امتص بعضه منذ قليل في خلايا دماغه الرمادية، فاحتقن وجهه باحتياج، وابتسم ببلاهة، ولعابة يسيل ملوثاً جانبي فمه من الإثارة..

لم يسأل نفسه بعدها كيف دخلت إليه ومن هي، ولا ما تريده؟.. إنها فاتنة جذابة، وفي منزله الآن بعد منتصف الليل..كان هذا يكفيه منها ليفكر في أمور

أخرى..

ظلت الابتسامة البلهاء على وجهه، وظلت الفاتنة تتطلع إليه بابتسامة مثيرة لعوب، وقد صارت أمامه الآن.. وارتكنت على الحائط بذراعيها، وبدأ أنها تنتظره أن يبادرها بالكلام.

طال الصمت، فقطعه قائلاً بصوت مبحوح من الإثارة:

-أنا الشيخ عبدالعاطى، لو كنت جئت من أجله.. كيف يمكننى أن أخدمك  
؟.. اطلبى ماشئت فأمرك محاب ..

أجابت بصوت مثير :

-لقد جئت من أجلك أنت ؟

شعر بالدماء الحارة تندفع إلى رأسه بشدة .. ويح صوته بشدة وهو يردد:

-وأنا فى الخدمة.. تعالى إلى.

لم ترد عليه، ولم تجب يده التى امتدت نحوها، ومن الداخل جاءه صوت المرأة التى بالداخل، متسائلة بقلق وقد وصلت إلى مسامعها حديثه مع الفاتنة الغريبة :

-مع من تتحدث ياشيخ عبدالعاطى... هل معك أحد بالشقة؟

شعر بالإزعاج .. ليس هذا وقته أبداً.. وقال مرتبكاً، وهو يتطلع إلى الحسنة التى أمامه؛ خشيةً أن تتركه؛ لأن هناك أخرى معه :

-إنها إحدى الزبائن ..وسوف أطردها حالاً .. لاتدعى هذا يزعجك أرجوك.

إلا أن الفاتنة قالت له فى غموض وابتسامتها تتسع:

-لا داعى لهذا يا فتناى، فأنت من ستأتى معى.

ومدت يدها إليه؛ فمد يده بلهفة؛ كى يلامس أناملها.. لكنها قبضت فجأة على يديه بقوة فصرخ ألماً وفزعاً ..

وأظلمت الدنيا بعدها في عينيه للحظة، قبل أن يعود الضوء إليها ثانية .. لكن هذه اللحظة بدلت كل شيء..

لم يعد مداره .. ولم تعد هناك الفتاة .. كان معلقاً من قدميه في الهواء ورأسه لأسفل .. وبالرغم من الظلام إلا أن بعض خيوط ضوء القمر الفضية استطاعت اختراق النوافذ الزجاجية فرأى مذعوراً ما حوله .. كانت هناك أجسام ساكنة معلقة مثله في الهواء ..

أغمض عينيه المحتقنة، وعاد يفتحهما برعب ليرى إن كان يحلم .. لكنه لم يكن يحلم .. كان كل شيء حقيقياً تماماً، وأدرك فجأة كنه الأجساد الساكنة المعلقة حوله .. إنها جثث بلاشك .. أخذ يصرخ بفرع ويصيح طلباً للنجدة، حتى أتاه صوتها مخيفاً من أحد الأركان المظلمة قائلةً بغضب:

-الآن قد حان وقت الحساب أيها الغبي .. هل تعتقد أنك بحجابك السخيف، والبول القذر ستتخلص مني .. ما رأيك لو فعلت الأمر نفسه الآن معك .. مارأيك لو جريت البول أنت الآخر؟ ..

هنا فوجئ بصراخه يُكتم في حلقه .. ووجد نفسه مرغماً على فتح فمه باتساعه .. وراح سائل لزج من مكان خفيّ يندفع إلى فمه مرغماً إياه على أن يبتلعه .. وأخذ يبتلعه رغماً عنه شاعراً بطعمه الحامض، ورائحته الكريهة المثيرة للغثيان؟

وحين تعالت الرائحة أدرك أنه يبتلع بولاً بشرياً ..

حاول أن يغلق فمه، وأن يمتنع فلم يقدر. حاول أن يتحرك فلم يتمكن .. ظل يبتلع، ويبتلع المزيد شاعراً بالاختناق، حتى بدا السائل ينهمر نحو رئتيه، فكان الألم مرعباً وقد أزاح البول الهواء من مسكنه الدائم بالشعبيات الهوائية .

ومع آخر دفقة من وعية ، وقبل أن يفقده للأبد، كانت أمامه تبتسم ساخرةً  
قائلةً:

-هل أعجبك البول أيها الأحمق!..؟

(47)

فى تمام الثالثة فجراً شعرت باتعة بصوت ما خارج حجرة نومها فوجلت ،  
نفضت وهمست فى أذن زوجها النائم بجوارها محاولةً اختراق الظلام بعينيها وهى  
تهز جسده برفق..

-استيقظ يا متولى ..أشعر أن هناك أحد ما بالخارج.  
انتبه على الفور لما تقوله؛فجلس بجانبها يلهث ،وأخذ يصغى السمع قبل أن  
يقول بتوتر، وهو يدعك عينيه:

-إننى لاأسمع شيئاً.

-هناك من كان يسير بالخارج ..أنا متأكدة مما أقوله.

-ربما كان أحد الأولاد ..أو ربما يكون جرذاً يعبث فى مكان ما .  
إلا أنها لم تشعر بالارتياح لتفسيراته ،فعدت تقول بإصرار:

-إننى أعرف خطوات أبنائى ..ليسوا هم من يتحرك بالخارج..  
وبرجاء وخوف أكملت:

-اذهب أرجوك لترى من هناك ..ربما كان لصاً وقد يؤذى الأولاد.

شعر بالخوف على أبنائه فنهض ..أمسك بهراوة خشبية يحتفظ بها أسفل  
الفراش لمثل هذه الظروف ،واندفع سائراً على أطراف أصابعه نحو باب الحجرة  
..فتحه ثم خرج بتردد.. كان الصالة غارقةً فى الظلام ،فتحسس بيده الحائط  
باحثاً عن مفتاح الإضاءة وهو يحاول عبثاً اختراق الظلام بعينيهِ ..لم يعثر عليه  
فى مكانه المعتاد ..فمد يده موسعاً من دائرة بحثه ،محاولاً الوصول إليه ..  
-لن تجده !

دوى هذا الصوت العابث فى أذنه فجأة، فأفلتت صرخةً منه دون وعى..

بعدها حدث كل شيء سريعاً ..أخذت زوجته تصرخ برعب كما لم تصرخ من قبل حين سمعت صرخاته ..

في نفس اللحظة امتدت يد باردة لتمسك بمعصمه بإحكام ،وشعر بقوة هائلة تسحبه إلى مكان بعيد .. مكان آخر

وعادت الإضاءة للشقة التي مازالت الزوجة تصرخ فيها ،موقظَةً للمرة الثانية كل الجيران في منتصف الليل..

وظلت تصرخ بشدة، وتولول حين أدركت أن زوجها لم يعد بالشقة ..

لقد اختطفته الجنية مرة أخرى ..راحت تظلم خديها،وتصرخ ببأس ..

التف الجيران حولها بحيرة حقيقة، وشفقة ..وراحوا يبحثون عنه في كل مكان .

لكنهم لم يعثروا عليه أبداً..

كان في مكان آخر وبعيد ..كان في الشرحة الأن معلقا وسط الجثث ..

حيث انتهى أمره الآن للأبد..

كان اليوم التالي هو الخميس ..

كان هذا هو يوم الأجازة بالكلية .. لهذا لم يذهب أحد إلى المشرحة، ولم يدرك أحد أن جثتين جديديتين قد أضيفتا إلى الجثث الموجودة هناك بالفعل .. لقد صاروا ستّ الآن بخلاف جثة رومية، أو الكيان القديم بمعنى أدق .

في اليوم السابق طلب الدكتور محمد شاهين من الدكتور مصطفى والدكتور محمود أن يقضيا ليلتهما معه بالفيلا .. فقد رأى أن هذا أكثر أماناً لهم جميعاً، ولأسرهم، وهم حتماً لا يرغبون في إثارة فرعهم بأى أحداث غامضة ، أو زيارات غير متوقعة من تلك الفتاة ..

لقد حدث هذا من قبل مع عمال المشرحة، وكانت زيارة غير محببة على الإطلاق..

كان متأكداً من أن الفتاة قد شعرت بهم .. وربما أدركت أنهم سيحاولون أن يمنعوها من إتمام طقس عودتها.. وكتاب اللعنات اللاتينية القديم الذى كتبه الراهب، يتحدث طويلاً عن المصير المظلم لمن يحاول هذا، لو أدرك أحد من القدماء بهذا.

لذا قرروا أن يقضوا هاتين الليلتين المتبقيتين سوياً.

جلس الدكتور محمد شاهين بحجرة مكتبه على أحد المقاعد الجلدية، وراح يدخل غلبونه ببطء وشروء، وعقله يسبح فى الكثير من الذكريات ..

راح يفكر فى حياته العجيبة التى واجه وشاهد فيها الكثير .. لقد اعتقد من قبل أنه شاهد كل شيء غريب .. لقد رأى أشباحاً.. واجه جاناً .. اصطدم بكائنات مخيفة .. تعامل مع جماعات غريبة وخطيرة .. لكنه كان ينجو دوماً.

لكن هذه المرة تختلف.. إنه لأول مرة في مواجهة أحد الكيانات القديمة .. لم ييخل الكتاب اللاتيني القديم الذى طالما قرأه من قبل في التحدث عن القدرات اللامحدودة لتلك الكائنات .. كانت أقوى من عاش على الأرض يوماً ،فهى تمتلك قوة السحر والظلام نفسه .. إنها أصل القوة والشور ..

المشكلة الحقيقية أنه لا أحد يزعم أنه يعلم كل شيء عن هذه الكائنات .. وبالرغم من تواجدها بيننا دائماً ،لكن أحداً لم يقترب منها إلا وأصابه شرها .. الكتب الجادة التى تناولتها على مر العصور قليلة للغاية، لاتعدى أصابع اليد الواحدة، ولاتقدم الكثير للباحث الحقيقى .. ومن حسن حظه أنه يمتلك أحد أهم تلك الكتب ..

كتاب اللعنات .. ذلك الكتاب الذى ألفه ذلك الراهب الرومانى القديم قبل أن يهلك .. لكن ما أدراه أن ما ذكر فى هذا الكتاب من معلومات صحيح .. أليس هناك احتمال ما ،أن ما بالكتاب من معلومات ،وطقوس قد تكون مزيفة لا قيمة لها ..

شعر بجفاف فى حلقة حين وصل تفكيره لهذه النقطة .. لو كان صحيحاً أن المعلومات التى يحتويها الكتاب عن الكيانات القديمة مغلوطة فهذا يعنى هلاكهم بالتاكيد ..

فهذا الكتاب والطقوس التى يتحدث خلالها عن طقوس العودة والطقوس المضادة لها هى كل سلاحه الذى يملكه الآن ..شعر بالتشتت، ومرة أخرى تمنى لو لم يشترك فى الأمر من البداية ..ولكن وقد دارت العجلة، فليس أمامه إلا الاندفاع معها للنهائية .

لاحت ابتسامة خفيفة على ثغره حين تذكر كيف أنه قد تمنى يوماً حين كان أصغر سناً أن يقابل أحد هذه الكائنات ..بل وراح يبحث عنها حثيثاً مقتنيا

العلامات الدالة على وجودها والتي ذكرها الكتاب.. كانت رغبةً حمقاء .. تأكد من هذا الآن .. فأمنيته السخيفة على وشك التحقق الآن ، ولكن في صورة مواجهة يدرك أن احتمالات هلاكه فيها عالية للغاية .

لكنه لن يصرح لمرافيقه بمخاوفه، وإن لن يخفى عليهم كل الاحتمالات القائمة .. لا يريد أن يخدعهم؛ فيدفعهم إلى هلاكهم لو فشلت المواجهة، ولا يريد أيضا أن يتحمل مسؤولية الأمر بمفرده ، فهذا أكبر منه .

قضوا ليلتهم حتى الفجر دون نوم .. فلا أحد منهم كان قادراً على النوم الآن. ولكنهم بعدما أدوا صلاة الفجر شعروا ببعض الراحة؛ فداعب النعاس أعينهم، وناموا في حجرة واسعة معاً ، فقد اقترح الدكتور محمد ألا يبيت أحدهم بمفرده .

في تمام الحادية عشر صباحاً أيقظهم الدكتور محمد .. تناولوا إفطارهم معاً، وبعدها انتهوا ذهبوا إلى مكتب الدكتور محمد؛ لتناول القهوة هناك .. ارتشف الدكتور محمود قهوته وقال:

-والآن ماذا علينا أن نفعل؟..ألن نستعد لتلك المواجهة بشيء ما.

أجابه الدكتور محمد بهدوء :

- لا حاجة بكم للقيام بأى شئ الآن .. يمكنكم العودة إلى بيوتكم الآن ، كي تطمئنوا زوجاتكم وأبناءكم عليكم، وليكن لقاءنا مساءً.. سنبئت معاً مرة أخرى ، فلا زال الخطر قائماً كما تعلمون .

-فكرة صائبة .. لكن ماذا عن الغد .. لم نخبرنا حتى الآن ما الذى سنقوم به؟

قالها الدكتور مصطفى .. فأجابه الدكتور محمد، وهو يزفر سحابة صغيرة من الدخان من جانبي غليونه :

-سنفعل ما اتفقنا عليه ..سوف نذهب إلى المشرحة ؛لنحاول أن نمنع طقس العودة ..مرة أخرى أذكركم أنها قد تكون رحلة بالعودة ، وربما نفشل ؛ فتكون نهايتها حينها ، لا أقول هذا لأخيفكم ،ولكن من حقكم التفكير في عواقب ما نحن مقدمون عليه الآن ،والقرار مازال بأيديكم .. ففكروا جيداً.

ابتلع الدكتور محمود ريقه بتوتر، وغمغم :

-وماذا لو لم نذهب..أعنى ماذا لو تجاهلنا الأمر؟...

- ستتم طقوس العودة، وحينها أؤكد لك أننا سنكون في أول قائمة ضحايا هذا الشيء.. إننا نتعامل مع شيء كالنار ،من يلهو بها ،حتما سيحترق بلهيبها.

صمت الجميع بعدها..كان الدكتور محمد يشعر بالصراع الدائر في صدورهم وعقولهم، لقد واجه نفس إحساسهم هذا من قبل ؛حين كان عليه أن يواجه شراً ما أو لعنةً ما ..وكان يعلم أن أفضل شيء هو أن يتركهم ليقرروا مصيرهم بأنفسهم .. فتركهم لحظات أخرى مع أنفسهم، وأكمل هو شرب قهوته ،حتى قال الدكتور مصطفى ،وقد حسم أمره :

-أعتقد أنني سأتى معك..إن الأعمار بيد خالقها ،ولن يصيبنا إلا ماكتب الله

لنا..توكل على الله يا رجل ودعنا نمنى في الأمر معا للنهاية.

كانت نبرته قوية لا تردد فيها ..وكطبيب نفسى أدرك الدكتور محمد أن مايقوله ليس إحدى محاولات إدعاء البطولة الزائفة .. الرجل بالفعل يؤمن بما يقول.. وسيكون مفيداً له بشدة لو تسلح بمثل هذه الإرادة حتى المواجهة المرتقبة .

فقال له مبتسماً بإعجاب ،ومشجعاً:

-قرار شجاع بحق يستحق التحية ..أنت رجل شجاع بالفعل.

ثم التفت إلى الدكتور محمود مكماًلاً:

-وماذا عنك يا دكتور محمود؟...

ارتسمت ابتسامة متوترة على وجه الأخير ،وأجاب :  
-إننى معكم طبعاً ..أنا فقط أتساءل .. هل من شيء ما نفعله استعداداً للغد .  
-لاشيء على الإطلاق ..فأنا من سيقوم بإعداد العدة لهذا الطقس السحري ،  
وأنا من سيقوم بأدائه، وأنتم ستشاركوننى فقط فى إتمامه .. وحين أنتهى من  
إعداد المواد التى سنحتاجها سأخبركم بما عليكم أن تفعلوه .  
-وهل سنحتاج لمعاونة ما لمساعدتنا ،أعنى هل سيكفى ثلاثتنا أم علينا أن  
نبحث عن متطوعين آخرين؟

سأله الدكتور مصطفى :فأجاب الدكتور محمد:  
-هذا مؤكد ؛فسنحتاج لتواجد آخرين معنا ..فيجب أن يكون عددنا ستاً  
كى نقوم بالأمر .

-هل تقترح أحد ما بعينه ،أم أن أى شخص يمكنه أن يشارك؟..  
-أى انتحارى أو مغفل لايعنيه حياته يصلح لهذا.. هناك عمال المشرحة مثلا،  
اختاروا منهم اثنين ممن تثقون فيهم.. ومن الممكن أن يكون الشخص السادس  
هو الدكتور نعيم لو رغب فى التواجد معنا..  
-لا أظن أنه سيوافق على المشاركة معنا ..إنه يرفض الاشتراك فى الأمر بأى  
صورة،لأنه يرفضها تماما .

قالها الدكتور مصطفى ،فقال الدكتور محمود بسرعة :  
-لا مشكلة فى هذا .. أظن أنى أعرف شخصاً سيرحب بأن يشاركنا الأمر..  
إنه الدكتور هشام الطبيب الشرعى بوزارة العدل .  
- حسناً ..هذا يعنى أننا سنصبح ستة .. إن هذا هو كل شيء .. يمكنكم  
العودة الآن إلى أسركم ،ولكن أرجو أن تكونوا هنا قبل الثامنة مساءً .

انصرفا بعدها ،فاتجه الدكتور محمد إلى كتابه اللا تبنى ،وفتحه مرة أخرى ،  
وجلب ورقة صغيرة وقلم ؛ليكتب منه المواد المطلوبة لتنفيذ الطقس..  
-ست جماجم لأشخاص بالغين .. كان يمتلك أربعة بالفعل ،ومن السهل أن  
يوفر الدكتور مصطفى مجتمتين آخرين.  
-دماء بشرية ..لامشكلة في جلبها ..هناك بنك الدم الذى يتأسه أحد  
الأطباء من أصدقائه .  
- قط حالك السواد بلاشعرة بيضاء واحدة .. هذا أيضا يمكن إحضاره من  
أى من محلات بيع الحيوانات الأليفة.. كان هذا هو الجزء السيء فى الأمر.. لكنه  
أهم جزء فى الطقس.  
-بعض البخور والروائح الزيتية..وكانت متوافرة لديه.  
-شمع أسود وأحمر .. يمتلكه بالفعل.  
-وبعض الأشياء الأخرى التى لاداعى لذكرها .. لكنها عنده بالفعل ..  
إذا كان كل شيء متاحاً ..ولم يبق إلا التوفيق ليتم الأمر بخير ..لكنه لم يكن  
واثقاً من هذا .

## الجمعة...

بعد العصر...

فيلا الدكتور محمد شاهين...

كانوا ست بخلاف الدكتور محمد شاهين نفسه...

الدكتور مصطفى ..الدكتور محمود.. الدكتور هشام ..وكيل النيابة الشاب

..عم منصور .. وأخيراً عبدالدايم ...

نجح الدكتور هشام في إقناع وكيل النيابة بضرورة الحضور ..أخبره أن حل  
جريمتي القتل سيكون متاحاً هذه الليلة .. وبالرغم من عدم قناعة وكيل النيابة  
بالأمر، إلا أنه في النهاية حضر ..

قدمت الخادمة المتشككة لهم الشاي والقهوة ،وبعض الكيك والحلوى التي  
أمرها الدكتور محمد بإعدادها خصيصاً لهم ..وكان الانزعاج بادياً تماماً على  
وجهها، وهي لا تعلم ما هم مقدمون عليه.

أنهمك الجميع في بعض المناقشات الجانبية، وهم يتناولون الكيك والشاي ..  
ومال الدكتور هشام نحو الدكتور محمود وقال بانفعال:

-حتى هذه اللحظة لا أصدق ما نحن بصدده .. هل تفعل انت؟.

أجابه الدكتور محمود بابتسامة قلقة :

-أما أنا فقد صرت على استعداد لأن أصدق أى شيء ..أنت لم تكن في

المشرفة ل ترى مارأيت ..إن مشهد الجثث المعلقة في الهواء، لايفارق مخيلتي قط..

-وهل سينتهي الأمر على خير ؟.

-هذا ما أتمناه وأدعو الله به في كل لحظة ..

أما وكيل النيابة الشاب الذى جلس بجوار الدكتور محمد شاهين ، فقد أخذ يلتهم قطعة الكيك التى أمامه بالشأى باستمتاع ، وهو يقول:  
-ألست ترى الأمر غريباً أن أكون فى مكان به أطباء ذوى مكانة علمية مرموقة ، ثم أراهم يستعدون لمطاردة أشباح وعفاريت؟.

رد الدكتور محمد ببساطة كمن اعتاد مثل هذه التعليقات السطحية:  
-إننا لن نطارد أشباحاً.. ولو كان الأمر يتعلق بالأشباح لما كانت هناك مشكلة على الإطلاق ولما كنت بحاجة لمساعدة أحد ما ..ما نواجهه اليوم أخطر بكثير ..أشعر أنك لا تدرك ما نحن مقبلون عليه ..

-لنتكلم بصدق ..إننى لا أصدق شيئاً مما أخبرتمونى عنه ..ولا أعتقد أن شيئاً ما سيحدث الليلة..لقد أتيت فقط ؛لأن الدكتور هشام ألح فى هذا ..لكننى أشك أننا سنخرج من ليلتنا هذه بأى شئ سوى تضيع الوقت .

لم يبال الدكتور محمد بتصديقه من عدمه ،فقال بهدوء:

-أتمنى أن تحافظ على قناعتك هذه فى نهاية اليوم..

-هل تعلم يادكتور ..إن هناك أمر آخر يجيرنى ..فحتى لو إفترضنا أننى رأيت بعينى أشباح أو عفاريت أو وحوش حتى ،وتيقنت أنها المتسببة فى حادثتى القتل بالمشرحة، فلن أستطيع أن أذكر هذا فى تحقيق رسمى .

- على الأقل ستعلم الحقيقة حينها، ولن تبحث عن متهم بريء .

أما عم منصور فقد شعر بالكثير من التوتر والقلق منذ فوجئ بالدكتور مصطفى يطرق باب بيته ،ويطلب منه أن يأتى معه .. مرا بالبيت الذى يسكن فيه عبدالدايم ؛فلحقهما هو الآخر، وفى الطريق شرح لهم بإيجاز ماسيفعلونه ..

أخبرهم بطريقة مبسطة أنهم سيواجهون شيئاً خارقاً يشبه في أفعاله أفعال الجان، وخيرهم إن كانت لديهم الشجاعة ليشتركوا في هذا الأمر أم ينسحبوا دون تريب عليهم.. بالطبع وافقا، وإن لم يُظهرا له كم شعرا بالرهبة والخوف ..

تراءت في مخيلة عم منصور أثناء الطريق إلى فيلا الدكتور محمد عشرات الأحداث منذ بدأ الأمر .. الحكايات التي قصها متولى عن صاحبة الجثة، وأفعالها المخيفة .. الطالبة التي وجدوها ميتة بالمشرحة، وكذلك جثة الدكتور شريف .. ماحدث مع متولى حين قضيا ليلتهما معاً بالمشرحة، ومارآه عبدالدايم من الجثث المعلقة، ومتولى يطير بينها .. الأمر مخيف ولكنه حياءً لم يكن بمقدوره أن يظهر أمام الدكتور مصطفى بهيئة الرجل الجبان..

نفس الأمر لم يختلف كثيراً بداخل عبدالدايم ، كان يشعر بالخوف فعلاً، وإحساس غامض مقبض بداخله يطالبه بالانسحاب وعدم خوض الأمر معهم، وهمس بقلق لعم منصور كى لا يسمعه أحد:

- هل سيمر الأمر بخير يا عم منصور.. إننى لست مطمئناً لما نحن مقدمون عليه.. إن الهواجس والمخاوف لا تفارق عقلى لحظة.

-وأنا مثلك يا عبدالدايم ..أنا أيضاً خائف وبشدة ، لكن لا أرى مجالاً للتراجع الآن ..لندع كل شيء بيد الله، ولنندعوا الله أن يمر الأمر بسلام.

صمتا بعدها ،وسرح كل منهما مرة أخرى في أفكاره، وبعد أن انتهوا من الشاى والقهوة والكيك ،جاءت الخادمة ،ورفعت من أمامهم الأكواب ،والأطباق الفارغة.

وأشعل الدكتور محمد غليونه ،وقال موجهاً كلامه للجميع بصوت مرتفع :  
-مرة أخرى إننى أرحب بالجميع في منزلى ..ولكن دعوى أذكركم للمرة الأخيرة بما نحن بصدده ..إن علينا أن نوقف أمراً شريراً للغاية متجسداً في هيئة جثة

الفتاة التي بالمشرحة.. والأمر هنا ليس أحد الجان أو حتى الشياطين .. إنه شيء أخطر.

وصمت وعيناه تنتقل بين الوجوه المترتبة، فأكمل :

إننا سنواجه إحدى الكائنات التي عاشت على الأرض قبلنا منذ آلاف السنين .. كائنات قوية، وشريرة، وملعونة.. يكفي أن أخبركم صادقاً إن مواجهتنا لهذا الشيء قد تحمل هلاكنا .. وأن تعلموا أن احتمالات الفشل فيها أوفر حظاً من فرص النجاح ، ولاداعي لأن أذكركم أن الفشل فيها يساوي هلاكنا جميعاً .  
سرت همهمات خافتة بين الجميع وتبادلوا النظرات ، إلا أنه لم يدعهم وهمماتهم وأكمل قائلاً :

-لا أريد أن يظن أحدكم أنني أبالغ فيما أدعيه أو أنني أرغب في إفراغكم..إنها الحقيقة أيها السادة ..الحقيقية مجردة كما أعلمها، وإنني أعرضها كاملةً عليكم .. والقرار الآن بأيديكم ..من يرغب في الانسحاب فليفعل الآن ،ولن يلومه أحد .فهذه آخر فرصة للانسحاب لمن يرغب .

نفض بعدها من مقعده، واتجه نحو النافذة ،وأولاهم ظهره ، وأخذ ينفث دخان غليونه بمدوء في انتظار قرارهم الأخير..

بينما تبادل الجميع النظرات الحيرى المضطربة دون أن يتكلم أحد منهم .. بعد هنيهة قال الدكتور مصطفى محاولاً السيطرة على مشاعره:

-سيمضى كل شيء بخير إن شاء الله يادكتور محمد ..توكل على الله وأفعل ماتراه صوابا ، وكلنا معك في محاولتك هذه.  
هنا التفت نحوهم الدكتور محمد، وقال بحسم :

-سأعتبر صمتكم جميعاً ترحيباً بالاستمرار في الأمر ..دعوني أحييكم  
لشجاعتكم أولاً، ودعوني الآن أشرح لكم ماعلينا أن نقوم به الليلة..فأعبروني  
آذانكم، وأذهانكم من فضلكم .  
وشرح لهم بعدها كل شيء بالتفصيل ..

فى العاشرة مساءً كانوا أمام باب الكلية ..

وفوجئوا هناك بالرائد محمد وهدان فى انتظارهم .. كان وكيل النيابة قد أخبره قبلها بما سيفعلونه ، فقرر ألا يفوت الفرصة عسى أن يصل للحقيقة .. إنهما قضيته فى النهاية ، ومازال هناك قتيلان لم يقدم قاتليهما بعد .. اتجهوا الى المشرحة بخطوات هادئة ، وتعاون عم منصور وعبدالدايم فى حمل الأغراض التى اصطوحبها معهم ، بينما اكتفى الدكتور محمد بحمل حقيبة صغيرة بيده ..

أمام باب المشرحة تقدم الدكتور مصطفى ، وأخرج من جيبه مفتاحاً صغيراً فتح به الباب فدخلوا واجمين .. وصلوا إلى قاعة التشريح ، فأضاءوا النور ليشاهدوا أسوأ كوابيسهم هذه المرة ..

ارتفعت جثة الفتاة عن الأرض ، وقد أسدلت عليها عباءة سوداء فضفاضة غطت جسدها كاملاً ، وفردت ذراعيها على اتساعهما ؛ فبدا مع أكمام العباءة الواسعة كجناحين هائلين .. وفى أركان ستة من فراغ الحجر ، سبحت الجثث الستة فى الهواء فى وضع مقلوب ، أرجلها لأعلى ورأسها لأسفل ، وقد عقدت كل جثة ذراعيها أمام صدرها ..

كانت هناك جثتان قد أضيفتا إلى الجثث دون أن يعلم أحد منهم .. جثة متولى ، وجثة عبدالعاطى ..

تدلى فك مفتش المباحث فى بلاهة ، وشعر بذعر لاحدود له حتى أنه كاد أن يثب للخارج هارباً من المكان .. وشعر وكيل النيابة بنفس مشاعره ، وصاح وهو يمسك بكلتا يديه فى ذراع الدكتور هشام شاعراً بأنفاسه تضيق فى صدره :

-انظروا للجثث إنها تطير بالفعل ..إي هراء هذا؟ ..  
أما الدكتور هشام ،فشعر بجفاف شديد في حلقة، وبغيوبة تجتاح عقله فراح يلتقط أنفاساً سريعة كي يمنعها.

أخذ عم منصور يردد الكثير من الأدعية ،وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ..ولاحظ عبدالدايم جثة متولى بين الجثث فتقلصت أحشائه جزعاً، وصاح بصوت باكٍ:

-يا إلهي .. إنه متولى..لقد قتلته اللعينة..إنه بين الجثث.  
تطلعوا حيث أشار بقلق...فهتف عم منصور بألم،وهو يغالب دموعه :  
-إنه متولى بالفعل ..إنه متولى .

صاح فيهم الدكتور مصطفى ،وقد تعرفه هو الآخر ،وهو يتجة نحو جثته المعلقة:

-ليساعدني أحدكم في إنزاله ، فرما مازال على قيد الحياة .  
لكن الدكتور محمد صاح فيهم بحزم وصرامة ، وهو يجذبه من ذراعه مانعاً إياه من الاندفاع :

-إياكم أن تفعلوها .. لقد مات بالفعل.. لا أحياء في مثل هذه الطقوس، دعوه مكانه، ولاتستفروها بفعل كهذا، فهي لن تسمح لكم بإفشال طقس العودة .

تجمدوا في أماكنهم بفزع وترقب، وهم يتطلعون إلي الجثث المعلقة .. كان شيئاً مريباً، ولم يكن أحد منهم أن يتخيل بشاعته .. هنا كان مفتش المباحث قد فقد كل ذرة من شجاعة باقية في نفسه؛فاندفع نحو الخارج،وهو يصيح:  
-لن أمكث في هذا المكان لحظةً واحدةً ،وليذهب كل شيء الى الجحيم..

وقطع جملته حين اكتشف أن مكان باب المشرحة الخارجى لم يعد هناك، لقد صار حائطاً كباقي حوائط المشرحة.. هنا شعر بذعر لا حدود له، فأخذ يصرخ وهو يضرب بكلتا يديه الجدار الذى حل مكان الباب :

-أخرجونى من هنا ..لا أريد أن أموت..أخرجونى عليكم اللعنة .

اندفع الجميع نحوه، ثم توقفوا أمام الحائط الذى حل محل الباب بذهول، وغمغم الدكتور هشام، وعيناه تتفحصان الجدار الذى جاء من العدم:

-ماهذه العبث الشيطاني ..أين ذهب الباب؟..

غمغم الدكتور محمود ،وقد أدرك أنه لا تراجع الآن :

-يبيدوا أننا صرنا محبوسين هنا .

هنا هتف فيهم الدكتور محمد شاهين بصرامة، وقد شعر أن الامر بدأ يخرج من يديه نحو الفوضى:

-ماذا دهاكم أيها الجبناء..لقد أخبرتكم أنه بمجرد أن ندخل المشرحة فلا مجال للتراجع بعدها ..إنها لن تسمح لكم بهذا .. فلماذا هذا الذعر الصياني إذاً؟ .. كونوا رجالاً، وعودوا لصوابكم، ودعونا نفعل ما أتينا من أجله أو استمروا في المولولة هكذا كالأرامل حتى تقضى علينا جميعاً بعد قليل .

أطرق الجميع رءوسهم لأسفل فى خجل، وتوتر قال عم منصور :

-نحن طوع أمرك يادكتور.. ماذا تريدنا أن نفعل ؟

زفر من فمة نفس طويل، وقال وهو يعود لقاعة التشريح:

-هيا بنا جميعاً إلى القاعة لنبدأ عملنا .

انتقل إليهم الحماس للحظة، ولكن قبل أن يتحرك الجميع انطلقت من المشرحة ضحكة أنثوية ساخرة ،وعالية فارتجفوا ،وغمغم وكيل النيابة ، وهو يتلفت حوله برعب:

-هل استيقظت .؟

الا أن الدكتور محمد قال بسرعة كيلا يطول ذعرهم:

-تجاهلوا أى شيء.. أمامها أكثر من الساعة كى تتم طقوسها ..الطقوس تنتهى فى منتصف الليل تماما ، فدعونا نسرع ولا تلتفتوا لما فعله..إنها ترغب فى إفزاعكم .

أخذوا يراقبون الجثث المعلقة برعب وحذر، وبخاصة جثة الفتاة التى أخذت تدور حول نفسها فى الفراغ ببطء ..

وتجاهل الدكتور محمد شاهين كل هذا ، وبدأ فى إعداد المكان بمساعدة عم منصور وعبدالنواب .

فى البداية أخرج دلواً يحتوى على الدماء التى جلبها من أحد بنوك الدم .. وأخرج فرشاة كبيرة، وعلى مساحة واسعة وفارغة من أرض المشرحة أخذ يرسم بالدم نجمة سداسية كبيرة حتى أنها كانت لتسعهم جميعاً.. انتهى منها ثم رسم حولها دائرة لامست حواف النجمة الستة..

راقبه الجميع أثناء ذلك، وقال وكيل النيابة للدكتور هشام بجزع:

-أهذه دماء حقيقه .؟

-أعتقد ذلك ..لابد أنها لازمة لإتمام الطقوس!.

تصاعد الغثيان فى جوف وكيل النيابة، وشعر بالرغبة فى القيء ، فحاول كتم إحساسه هذا مكتفياً بالصمت ومراقبة مايدور حوله ،وعقله لا يصدق أن هذا يحدث أمام بصره ..

أتم الدكتور محمد رسم النجمة السداسية والدائرة، ثم أخرج فرشاة أصغر وغمسها فى إناء الدم وبدأ فى رسم بعض النجوم السداسية والخطوط المتقاطعة

الصغيرة في كل ركن من أركان النجمة .. كان يرسم الكثير من الخطوط الصغيرة العجيبة والطلاسم الغامضة ..

هنا توقفت جنة الفتاة عن الحركة .. لاحظها أولا الرائد محمد الذى لم يرفع عينه عنها قط ، فأشار إليها برعب وصاح :  
-لقد كفت عن الدوران .. ماذا يعنى هذا؟! ..

اتجهت عيونهم إليها برعب وتوجس .. وارتفع صوت الدكتور محمد بينهم دون أن يلتفت إليهم، أو يكف عن رسم الدوائر والخطوط المتشابكة:  
-لاتلتفتوا إليها وتجاهلوا وجودها تماماً .. إنما لن تؤذيكم الآن.  
إلا أن الفزع في أعماقهم كان هادراً كإعصار ؛ فلم يلتفتوا إلى كلماته ، واستمروا في مراقبتها ..

وفجأة سقطت الجثث المعلقة إلى الأرض بعنف فأحدثت دويماً مفرعاً ، وشعروا جميعاً بالرعب وقد التصقوا ببعضهم في فزع، وصرخ الدكتور هشام :  
-أخبرنا يادكتور محمد بالله عليك .. ماذا يحدث هاهنا ؟.

الا أنه لم يعيرهم انتباها، وهو يسرع في عمل الخطوط، والعزائم، والطلاسم التي يرسمها .. كان يرسم تلك الرموز والطلاسم السحرية التي رآها في الكتاب، والتي يزعم الكتاب أنها قادرة على الحماية من شر هذه الكائنات القديمة وسحرها. كان الوقت يمضى بسرعة مخيفة، ومنتصف الليل يقترب مهولاً ،وعليه قبلها أن يبدأ الطقس ،ويردد التعاويذ .. فلو انتصف الليل قبل أن يتم عمله ،فستفقد .. وحينها لن يكون لما يفعله أى جدوى.

فصرخ فيهم محذراً، ويده تسارع الزمن ؛كى تنتهى من رسم الرموز ،والطلاسم التي سوف تحميهم:  
-قلت لكم تجاهلوا أى شيء .. لا تلتفتوا إليها مهما حدث.

-وماذا عنهم؟.. هل تضمن أن يتجاهلونا؟!..

قالها الدكتور مصطفى برعب حين لاحظ أن حركة ما دبّت بالجنث الملقاة على الأرض .. كانت تحاول أن تنهض من سقطتها ببطء ، فصاح الرائد محمد بفرع:

-إنها تعود إلى الحياة ،انظروا إلى الجنث ..إنها تتحرك!؟

إلا أن الدكتور محمود صاح باستنكار محاولاً أن يجعل صوته متماسكاً:

-الجنث لا تعود إلى الحياة أبداً ،هذا شيء لا يقدر عليه الا الخالق..

وهتف الدكتور هشام بصوت مخنوق ،وهو يشير للجنث التي كانت على وشك الانتصاب واقفةً :

-وماذا تسمى هذا إذا؟!..

-ربما تحركهم بحيلة ما ..إنها مجرد حركة ميكانيكية لا أكثر.. لا تدعوا الخوف يزلزل معتقداتكم .. إنهم موتى .. موتى لن يعودوا للحياة أبداً .

وارتفعت بينهم آيات القرآن التي يتلوها معظمهم في هلع .. بينما أكملت الجنث نَهْضتها ، وانتصبت في صف واحد كجنود في انتظار معركة حاسمة .

التفتت الجنث إليهم بعيون مغلقة .. وفتحت فمها ، وأصدرت أصواتاً مخيفةً متحسرةً ، قبل أن تبدأ التحرك نحوهم ببطء مفرع ..

تراجعوا بفرع تاركين الدكتور محمد بمفرده .. ولاحظ الدكتور محمد ما يحدث؛ فشعر بالقلق .. يبدو أن تلك الشيطانة قد شعرت بما ينوون أن يفعلوه، فرغبت في بث الفرع بينهم كي تمنعهم ..

رأى الجنث المتحركة نحوهم، فألقى بنفسه وسط النجمة الكبيرة التي رسمها محتمياً بما .. فطلاسمها سوف تحميه من سحرها ..وما إن دخلها بجسده حتى مد ذراعه خارجها مكماًلاً بسرعة رسم الطلاسم الباقية.

بالفعل تجاهلته الجثث ، واستمرت في اندفاعها نحو الباقين، الذين تراجعوا في فرغ ، وتعالّت صيحاتهم، وبخاصة مفتش المباحث الذى أخذ يصرخ فيها :  
-ابتعدوا عنى .. لا تلمسونى أيها الشياطين.. ابتعدوا عليكم اللعنة..

قالها وأخرج مسدسه من حزامه، وراح يطلق على الجثث طلقات مدوية راحت تغوص في أجساد الجثث دون أن تعيق تقدمها .. ظل يطلق نيرانه حتى فرغت خزينة مسدسه فألقاه بيأس ،وعاد ليعدو مع زملائه.

في النهايه اصطدموا بالحائط ، ولم يعد هناك من مهرب.. أخذوا يلتصقون ببعضهم في رعب ، وأجسادهم ترتعش ، وتنتفض، وهم يرقبون الجثث التى تقترب منهم بحركة بطيئة رتيبة ومخيفة، وحين بلغتهم امتدت أيديها نحوهم كأنما تبغى القبض عليهم، فأخذوا يحاولون بجنون تحاشي الأيدي الممتدة نحوهم .

كانت جثة متولى في المقدمة ، واتجهت مباشرة الى عم منصور كى تمسكه.. لم يكن هناك مكان ما يهرب إليه ، فأخذ يدفع الباقين الملتصقين بالحائط وهو يصرخ بهلع، بيأس حتى أمسكت به الجثة، فصاح فيها بفرغ ، وهو يدفعها بيده بكل قوته:

- لا تؤذنى يامتولى .. أفق يارجل.. إنى منصور .. اتركنى بالله عليك.. ابتعد عنى ولا تلمسنى..

لكن يدي الجثة لم تتركه بل ارتفعت نحو رقبتنه كى تخنقه، فدفعها بقوة ليعدها عنه.. ترنخت الجثة للحظة، وكادت أن تسقط قبل أن تستعيد توازنها وتعود إليه مرةً أخرى بآلية لتكمل ما بدأتها.

اندفعت باقى الجثث نحو الباقين، وانقضت عليهم.. أخذ الجميع في ضربها ، وإبعادها بأيديهم عنهم برعب هائل .. وفقد رئيس المباحث ، والدكتور

مصطفى وعيها رعبا؛ فسقط جسديهما على الأرض ، فانحنت جثتان نحوهما وأحاطت بيديهما عنقهما لتخنقهما ..

تعالت الصرخات أكثر ، واستمرت الاستغاثات اليائسة دون جدوى، وشعر الجميع أنها النهاية .. وقد ينسوا من قدرتهم على التصدى للجثث إلا أنهم فوجئوا بالدكتور محمد يندفع نحوهم لاهثاً، وييده الفرشاة الصغيرة الملوثة بالدماء ، ثم اتجة إلى أقرب جثة، ورسم مثلثاً بداخل دائرة ، وحرف عجيب على ظهرها؛ فتجمدت الجثة بمكانها على الفور.. واندفع بسرعة إلى غيرها، وفعل نفس الشيء؛ فتجمدت هي الأخرى.. وشعروا بالأمل، وصاح الدكتور محمود، وهو يدفع بكل قوة الجثة التي تحاول الوصول إليه بإصرار:

-أسرع بالله عليك يا رجل ..أوقف هؤلاء الملاحين أرجوك.

أسرع الدكتور محمد بالفعل ،وبعد دقيقتين كانت الجثث جميعاً واقفة متجمدة في مكانها بثبات غريب.. كان مشهداً مفرعاً تهتز له القلوب ولا تتخيله العقول مهما أوتيت من خيال..

وتطلعوا إليها بفرع وترقب .. وقال الدكتور هشام بدهشة:

-ماذا فعلت بهم يادكتور محمد؟.. هل انتهى خطرهم؟.

- ليس لفترة طويلة ..إنما مجرد تعويذة لتجميدهم، وإيقاف السحر الخاصين له مؤقتا .

ثم أشار إلى جسدى الدكتور مصطفى ،ومفتش الشرطة ،وأكمل بتوتر:

-احملوهما ،وتعالوا بسرعة إلى الداخل ؛لتحتموا بالدائرة التي رستمها.. إن تأثير التعويذة التي أوقفتمهم قصير المفعول ،وربما يفيقون منها في أى وقت .

تعاون الجميع في حملهما في رعب ،واندفعوا إلى الدائرة المرسومة بالدم على أرض المشرحة ،والتي اتسعت لهم جميعاً، فشعروا ببعض الطمأنينة، بينما أكمل

الدكتور محمد عمله بخارج الدائرة بعدما رسم على ذراعاه الأيسر بعض الخطوط المتشابكة بالدم.

أفاق الدكتور مصطفى ومفتش المباحث الذى هتف ما أن أفاق ،وهو يتلفت حوله بملع :

-هل متنا ؟..

ابتسم الجميع ،وأجابه وكيل النيابة:

-لقد أنقذنا الدكتور محمد فى اللحظة الأخيرة..

وفجأة انطلقت من فم جثة الفتاة ضحكة عالية وساخرة كعادتها .. وبصوت مخيف قالت:

-لن ينفع هذا ..ستفشلون وستدفعون جميعاً الثمن.. فلا شيء يوقفنى..  
لاشيء يقادر على فعل هذا!.

دارت رءوسهم نحوها بفرع .. وصرخ فيهم الدكتور محمد دون أن يتوقف:

-إياكم أن تستمعوا لها ..سدوا آذانكم بأيديكم ؛كى لاتسمعوا أى شيء.  
إلا أنها استمرت فى التحدث مثيرةً الفزع فى إمعاقهم:

-هل تعلمون مصيركم الذى ستنالوه بعد قليل..دعوا عقولكم المرتجفة تخمن هذا، وأعدكم أن أفعل بكل واحد منكم أبشع شيء تخيله ..

اقشعرت أبدانهم، واحتبست أنفاسهم ،وتوتروا أكثر، وكل منهم يفكر فى أبشع مخاوفه .. بعضهم كانت مخاوفه سيئة بحق ،فأكملت بجزل:

-أنا جائعة للغاية .. أنتم لاتتخيّلون كم اشتقت لتذوق الطعام مرة أخرى ..  
لكن هل تعلمون ماهو طعامى المفضل؟.. لن اخبركم يا صغارى ..سأترك هذا لتخمينكم .

وتعالت ضحكاتهما المخيفة مثيرةً مزيداً من الفزع إلى قلوبهم، ومرة أخرى صرخ فيهم الدكتور محمد، وهو ينتقل إلى بقعة جديدة، مواصلاً رسم المزيد من الدوائر، والخطوط بالدماء:

-لا تستمعوا إليها.. إنها تبغي تشتيت انتباهكم.. أديروها ظهروكم ولا تلتفتوا إليها.. لقد أوشكنا على البدء.

وقالت، وهي تطلق ضحكةً ساخرةً:

-إفزعاهم فقط؟.. يبدو انك لاتراهم.. إنهم يرتجفون من الرعب كفرخ مبلول في ليل شتاء.. إنهم ليسوا بحاجة لما أقوله لكي يفزعوا.. إن قلوبهم لتوشك أن تغادر أماكنها هلعاً.. ياللمساكين الصغار!. لن يطول عذابكم طويلاً، فسوف آتيكم بعد قليل.

لم يجيبها، واستمر بإصرار في اتمام عمله.. فوجهت كلامها هذه المرة له قائلةً بلهجة مخيفة:

-هل تظن أن هذه الخطوط التافهة التي ترسمها ستحميكم مني.. أنت واهم أحرق.. إنها لاقيمة لها أيها المغفل.

ومرة أخرى تجاهلها.. كان في عجلة من أمره.. الوقت يمضي بلا توقف، ولا بد أنما تحاول إعاقته بشغله وإثارة توتره.. فتجاهلها، وهي تقول:

-أعلم أنك تمتلك ذلك الكتاب الذى كتبه ذلك الراهب المأفون.. إنه لا يساوى ثمن الخبر الذى كتب به.. إنه تافه مليء بالأكاذيب المسلية.. سوف أثبت لك هذا بعد قليل حين ترى بعينك أن تعويذاتك هراء.

شعر بالبلية والرهيبة.. بداخله كان يعلم أنها ربما كانت محقة.. فلا أحد جرب هذه الطقوس والتعويذات التى بالكتاب من قبل.. إلا أنه لم يكن يملك غيرها، فلم يكن أمامه إلا أن يستمر، ويمضى في عمله للنهائية..

فجأة تعالت همهمات قوية من الخارج، وخطوات أقدم تتردد في المكان.. لقد أفاق الجثث من جمودها.. هنا صاحت بصوت مخيف تردد في جنبات المكان؛ فارتجت له جدران المشرحة :

-تعالوا إلى يا عبيدى .. إنه وقت العودة ..

دلقت الجثث القاعة بخطواتها الآلية، وتجاهلت الجميع هذه المرة.. ثم ارتفعت أجسادها في الفضاء مرة أخرى متخذة وضعها السابق الذى رأوه من قبل.. صممت الفتاة تماما ، واتخذت هى الاخرى وضعها السابق، وأخذ جسدها في الدوران فى الفراغ حول نفسه، وذراعاها مفرودان تماماً ..

وأظلم المكان بغتة فى تلك اللحظة، وتعالت أصوات مبهمه، وحشرجات غريبة بدت وكأنها تأتي من كل مكان حولهم، وتدرجياً راحت حدتها فى التصاعد .. كانت أصواتاً مخيفه ومرعبه .. وفى أركان الغرفة كلها بدأت دوامات هوائية صغيرة فى التكون ..

بلغت القلوب الحناجر هلعاً، وارتجفت الأبدان، وتقلصت الأحشاء ، وقد أدرك الجميع أن طقس العودة يقترب من الاكتمال .. ولم يتمالك الدكتور مصطفى نفسه فسقط فاقداً الوعى مرة أخرى بداخل الدائرة.

كان الدكتور محمد قد انتهى هو الآخر من رسم الخطوط والطلاسم ، فانتقل بسرعة إلى وسط النجمة السداسية الكبرى وصاح فيهم:

-هيا بنا نبدأ ... فالوقت يكاد أن ينفذ.

وكما أخبرهم اتخذ كل منهم قمة رأس من رؤوس النجمة السداسية، وجلس فى منتصفها، ثم التقط كل منهم جمجمة وضعها بين قدميه .. قاموا بعدها بإشعال شمع سوداء، وثبتوها على الأرض، ثم وضع كل واحد منهم الجمجمة التى

يمسكها فوقها فتوهجت فجوات عيون الجماجم بضوء لمبي مخيف كأنه منبعث من الجحيم ..

أما الدكتور محمد فقد أشعل شمعةً أخرى في منتصف الدائرة حيث جلس ، وألقى عليها بعض البخور والمواد الغريبة؛ فتعالى دخان كثيف في المكان، وصاح فيهم الدكتور محمد بصوت عالٍ صارم :

-ليمكث كل واحد منكم في مكانه.. إياكم أن تتحركوا أو تغادروا أماكنكم مهما حدث ..امسكوا أيدي بعضكم البعض بقوة ..ولا تتركوها أبداً.

أسرع الجميع بتنفيذ الأمر ، وقلوبهم تتوالب في فرع ..وتعال أصوات مخيفة في المكان راحت ترددها الجدران ؛ كأنما حضرت شياطين الحجيم لتشهد الحدث .. تعالى صوت الدكتور محمد في المنتصف، وهو يردد باللاتينية التعويذة التي حفظها عن ظهر قلب ..

**Spiritus est munus satiatur Tkxhmdy tenebris,  
et vado ad Spatk..**

**Anima eius in sempiternum, et tenebras  
luceam Tnami Talny..**

**Avis et redire ad mandatam Spiritus Thxmdy**

**Spiritus munus satiatur tenebris .. Ahpty**

**Amkty et Inferno**

لم يفهم أحد ما يردده ، إلا أنه ظل يردد بقوة وحماس ..تحول حينها إلى شخص آخر بدا لهم أكثر قوة وسيطرة.. بدا وكأنه ينتمي للجحيم الذي يعيشون فيه الآن

في الوقت نفسه ازدادت سرعة الدوامات في جوانب الحجره ؛حتى صنعت عواصف صغيرة .. وكلما ارتفع صوت الدكتور محمد مرددا التعويذة، تعالت في فراغ الحجره أصوات غاضبة تطلق صرخات مريعه ارتجفت لها الجدران .. وبغته وفوق رأس الفتاة التي تسبح في الفراغ نشأت صواعق صغيرة من العدم..وراحت الصواعق في التواثب بين الجثث التي بسطت أذرعها الآن ..تعالت الزمجات والأصوات المخيفة، حتى شعر الجميع أن شياطين الكون تشاركهم المكان الآن، وإنما اللحظات الأخيرة في حياتهم.. وصرخ الدكتور محمد بأقصى قوة محاولاً جذب انتباههم وتحفيزهم:  
-أغمضوا أعينكم وتجاهلوا ما حولكم ..إننا سننجح ..إننا سوف ننجح بإذن الله...

أغمضوا عيونهم بقوة .. فلم يكن هناك من يرغب في أن يرى أى شيء مما يدور حولهم ..فقط تمنوا جميعهم أن ينتهى كل شيء بسرعة..مهما كانت النهاية... تعالت الصرخات في المكان .. صرخات شياطين غاضبة تخلع الأفئدة .. ومعها تواثب القلوب في الصدور كأقصى ما يكون..  
تعالي زئير قوى في المكان ،وأعقبه آخر ثم آخر ..كأنما كان هناك أسود تتصارع في المكان ،إلا أن أحداً لم يفتح عينيه .. شعروا بالهواء العاصف يكاد أن يقتلعهم من أماكنهم..فقبضوا على أيديهم بقوة محاولين الصمود .  
الوحيد الذى ظل يتابع بعينيه كل شيء كان الدكتور محمد ..كان يتابع الأمر برعب حقيقى .. سمع الصرخات والهمهمات والزئير، فتلفت حوله بقلق ، وهو لا يرى أى شيء، فاستمر في ترديد التعاويذ اللاتينية بوتيرة أسرع، محاولاً التغلب على فرعة...

فجأة انفتحت أبواب الجحيم أمامه فأخلع قلبه في رعب .. فعشرات العيون الحمراء كانت هناك في الفراغ ترمقه بغضب .. كانت مجرد عيون في الظلام بلا رءوس أو أجساد .. هل يكونون شياطين الجحيم ، وقد حضروا ؛ لكي يشهدوا الحدث ..

أغمض عينيه وفتحها... لكن العيون لم تختف .. كانت هناك رياح قوية تحاول اقتلاعه من مكانه؛ لكنه تشبث بالأرض بقوة ، واستمر بأقصى قوة لديه في تلاوة التعاويذ.

اندفعت الجثث بأكملها نحوهم؛ لتطير بسرعة حول دائرته وتمد أيديها نحوهم؛ كأنما تحاول أن تمسكهم ، وفمها يصدر أصواتاً مفزعةً.. تجاهلها وقد بدا اليأس يدب في أعماقه وشعور مفزع بالفشل يجتاحه..

لاحظ الفتاة التي توقفت ، وأخذت تحملق في أحدهم .. فشعر الدكتور محمد أنها تدبر شيئاً ما ..

فجأة جذب عبدالدايم يديه من يدي عم منصور والدكتور هشام الجالسين بجانبه .. رآه الدكتور محمد يفعل هذا .. فصرخ فيه بفزع :

-إياك أن تفعل..

إلا أن صرخته كانت متأخرة للغاية...

وفجأة امتدت أيد خفية نحو عبدالدايم الذى ما إن حرر يديه حتى قفز خارج الدائرة .. وأمام عيني الدكتور محمد المفزوعتين تمزقت جثة عبدالدايم إلى أشلاء على الفور ..

وأغرقت دماء عبدالدايم الجميع ، وأشلاؤه الممزقة تضرب وجوههم وأجسادهم؛ فصرخوا بجزع دون أن يفلتوا أيديهم ، بينما اندفع الدكتور محمد على الفور نحو

مكان عبدالدايم الخالى ، ومد ذراعيه ممسكاً بأيدي عم منصور ، والدكتور هشام .. كان يخشى أن تنكسر الدائرة السحرية اللازمة لإنجاح التعويذة .

هنا استيقظ الدكتور مصطفى في منتصف الدائرة ..

بدا غريباً مختلفاً حين نهض فجأة متجاهلاً ما يجرى قبل أن يفتح فمه، ويقول بصوت غريب:

-لن تفلحوا في هذا !..

فتح الجميع أعينهم ورأوه في فرع وهو ينقض على الدكتور محمد، كأن هناك مايسيطر علي عقله، واضطر الدكتور محمد لترك يدي منصور والدكتور هشام للدفاع عن نفسه ..

كان الدكتور مصطفى يحاول جاهداً دفع الدكتور محمد خارج الدائرة .. وامتدت ناحيته عشرات الأيدي المخليبة من الفراغ نحوه بانتظار تمزيقه فور خروجه من الدائرة ..

شعر الدكتور محمد بالعجز، وقد أدرك أن الطقس الذى يقوم به قد فشل ..لقد أفلت يدي زملائه :فكسرت الدائرة السحريه ومازال هناك الجزء الأخير من الطقس الخاص بالقط الأسود الذي لو لم يتمه لفشل الأمر، ولن يستطيع أبداً القيام به مع المحاولات الحثيثة للدكتور مصطفى -الذى سيطر على عقله شيء ما - لإخراجه من الدائرة للتخلص منه .

كانت صرخات كائنات الجحيم على أشدها الآن احتفالاً بفشلهم .. وتملكت الدكتور مصطفى قوة غريبة، فوجد الدكتور محمد نفسه يُدفع رغماً عنه إلى خارج الدائرة؛ فأغمض عينيه متمتماً بالشهادة في انتظار الموت السريع القادم بعد لحظات ..

لكنه فوجئ في اللحظة التالية بتراخي ذراعي الدكتور مصطفى عن عنقه ،  
ففتح عينيه على الفور ليجد الدكتور هشام واقفاً ، وقد ضرب الدكتور مصطفى  
بجردل الدماء المعدني في رأسه فشح رأسه وأفقده وعيه .. وصاح الدكتور هشام  
، وهو يشب نحو مكانه ثانية :

-أسرع بالله عليك يادكتور محمد قبل أن ينتهي الأمر .. هيا انتهى من عملك .  
هنا أسرع نحو صندوق خشبي في وسط الدائرة .. أخرج منه القط الأسود  
الذي خدره قبل ذلك .. هنا التفتت إليه الفتاة بفزع حقيقي ومقت ، وصرخت  
صرخةً اهتزت لها الأركان ...

-إياك أن تفعلها .. سوف أقتلك لو فعلت .  
إلا أنه لم يبال .. أخرج سكيناً فضياً ، وامتدت يده نحو عنق القط بضيق وتردد  
.. لم يكن يرغب في هذا ، ولكنها الطقوس .. هنا فتح القط المخدر عينيه فجأة  
وأطلق مواء غريباً؛ فوجل الدكتور محمد .. حاول القط أن يهرب من يده حتى أنه  
مزق بمخالبه كف يده ، فسالت منه الدماء ، إلا أن الدكتور محمد أمسك به  
بإصرار أكبر ..

ودون تردد هذه المرة اندفعت السكين الفضية نحو عنق القط فذبحه .. عوى  
القط للمرة الأخيرة ، وتدحرج رأسه الصغير على الأرض ، واندفعت نافورة من  
الدماء من الجسد المنتفض ؛ فألقي الدكتور محمد جثمان القط ، ودمائه المنهمرة  
نحو جثة الفتاة السابحة في الفراغ ..

أصاب تيار الدم المتدفق من جثة القط وجهها ؛ فصرخت برعب وألم ، وارتج  
المكان بآلاف الزمجرات الغاضبة الصاخبة ، واهتزت الجدران كلها حتى كادت أن  
تميد بهم .

وامام عينيه راحت عشرات العيون تخفى وبدأت الدومات الهوائية في الإنقشاع  
،وبدأت الظلمة الرهيبة في الإنحسار  
وصاحت بغضب ومقت للمرة الأخيرة...  
-سأعود أيها البائس وستدفع الثمن..سوف أعود إليك قريباً جداً..تذكر هذا  
وانتظرنى ...

هنا ردد الدكتور محمد تعويذته الأخيرة بأقصى ما عنده من قوة وامل:

**Modo malum CADO, somnus apud**

**Tranquilla**

وفجأة وكالسحر همد كل شيء ..  
سقطت الجثث على أرض المشرحة ..  
هبطت جثة الفتاة بهدوء إلى مكانها على منضدتها بالمشرحة..  
اختفت الأصوات والعيون والعواصف الصغيرة ..  
حُبست الأنفاس في ترقب وخيم السكون على المكان .. وبعد قليل فتح  
الجميع عيونهم بترقب ..  
كان المكان يموج بالفوضى..  
لاحظ عم منصور أشلاء عبدالدايم الممزقة ودمائة التي تغرق كل شيء حوله  
؛فأخذ يصرخ ويبكى ،وهو يحتضنها ويدها تلتوثان بدمائه وأنسجته..  
راقبه الجميع بوجوم، ولم يعرف أحد منهم مايقوله ليواسى عم منصور ويخفف  
ألمه لفقده عبدالدايم ..  
لكنهم وبرغم الحزن على عبدالدايم، إلا أن شيئاً من الارتياح اجتاح أعماقهم  
.. وقد انتهت لعنة تلك الجثة..  
وبقى في أنفسهم سؤال معلق بلا إجابة..

هل انتهى الأمر حقاً ..  
لكن أحداً منهم لم يعرف الإجابة ..

تمت

فصل لم يكتبه المؤلف

obeikan.com

أنتم حمقى.. ومنذ متى لم يكن البشر كذلك..

هل ظنوا أن دفتى بالصحراء بعيداً عن العمران كافياً لأن يتخلصوا منى؟..  
لم أقل أنكم حمقى ..

لو راجعوا كتاب الراهب جيداً لعلموا أنه لاشيء يوقفنا .. وأنا قادرين على  
العودة حين نشاء .. إن ما قاموا به ما هو إلا هُو لاجدوى منه .. أيعتقدون حقاً  
أنهم قادرين على هزيمة أحد القدماء ودحره؟..  
وبعد أعوام محدودة، لاتقاس بعمرى الطويل للغاية - بصورة لا تتصورونها أيها  
الهالكون - كان على أن أعود ..

كان فجرنا فى طريقه للبزوغ ثانية، ومعه نهايتكم أيها الفانون  
إن سيد الكيانات القديمة يدعوننا كى نستعد للمعركة الكبرى..  
وكان على أن أستيقظ وأستعد..

وكان هناك طلاب الجامعة الأمريكية..  
ثلاث فتيات وثلاثة فتيان..

إنهم محبوبون، أو عشاق، أو عابثون .. إن هذا ليس مهما..  
كانوا يرغبون فى الخلاء .. مكان ما بعيد عن العيون يمارسون فية طقوسهم  
الجنونة .. ومجوثم..

ودون أن يعلموا، أهتمهم إلى مكاني فى الصحراء..  
لم يعلم أحد منهم أن حسام قد جلب معه سرّاً دماء بشرية اشتراها من بنك  
الدم .. هو نفسه لم يدر لماذا فعل..

كما لم يعلم الجميع أنّ لنا الشقراء الجميلة، قد جلبت معها في حقيبة يدها جمجمة بشرية اختلستها من أختها طالبة الطب ..دون ان تدري لماذا فعلت، ولا لماذا أخفت عنهم هذا.

ولم يكن هاني مسئولاً عن جلب المخدرات والخمر فقط ..فما لا يعلمه الجميع أنه جلب معه مخدراً، وأنه وضع الكثير منه في الشراب دون أن يعي لماذا فعل .. وكانت سالى فتاة متحررة ..تعشق رسم الأوشام على جسدها كله ..لكنها لسبب غامض استبدلت الوشم المرسوم على بطنها بوشم آخر غريب ومخيف ..وشم لنجمة سحر سداسية الرؤوس ..الغريب أنها للمرة الأولى تردى فستاناً بلا أكمام لتغطي بطنها كي لا يرى الوشم أحد منهم ..ولو سألتها لماذا فعلت؛ فستنظر إليك حائرة بصدق .

لماذا جلب عمرو في السيارة الجيب التي جاءوا بها هذا الفأس والجاروف .. لا أحد يعلم ..

ولماذا اختارت رودي تلك المنطقة البعيدة من الصحراء؛ كي يخيموا بها، وكيف عرفت بمكانها .. ولماذا لم يعترض أحد منهم .. كان هذا لغزاً...

حفروا الصحراء، ونبشوا الرمال بنشوة ليعثروا على جسد الفتاة الفاتنة .. وضعوها بوسط نجمة سداسية ضخمة، وجاءوا بالأشياء التي جلبوها سرّاً، وبدعوا في احتساء الخمر، ثم بدأت الطقوس المجنونة ..

وانتهت الطقوس بلا أحياء كما تجرى دائماً .. واستيقظت !

وعدت إليكم مرةً أخرى أيها الفانون ..

سيكون بيننا الكثير من المرح .. فأنا البداية فقط ..

بداية النهاية التي لا تعلمونها ..

لكن عليّ في البداية أن أنهي بعض الأمور العالقة القديمة ..

هناك ثأر أرغب في إنجائه أولاً.. ولاشك أن بعضكم يدرك ما أقصده.  
ركبت السيارة الحديثة التي جاء بها هؤلاء الحمقى إلى هنا ..  
كانت جيب حمراء بلون الدم الذي أعشقه ..  
وارتفعت الموسيقى الصاخبة من المذياع ..  
إن (pharel willams) يعني باستمتاع (Happy) وكذلك أنا..

**Because iam happy..**

**Clap along if you feel like a room without a roof..**

**Because iam happy..**

**Clap along if you feel like happiness is truth..**

**Because iam happy..**

**Clap along if you know what happiness is to you..**

**Because iam happy..**

**Clap along if you feel like that is what you wanna do..**

**Here com bad news talking this and that..**

**Yeah.give me all you got donot hold back..**

\*\*\*

كنت فتاةً جميلةً فاتنةً ورقيقةً ترقص باستمتاع على نغمات صاخبة بداخل  
سيارة جيب حمراء تنهب الطريق نهباً، حتى تخالها تطير بين السيارات..  
أسكرت فتنتي كل من يراني..  
فهل رأيتني؟..  
إن كنت قد فعلت فانتظرنى ..

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



[Noon\\_publishing@yahoo.com](mailto:Noon_publishing@yahoo.com)

ت-35860372 02-27772007 011-